النشأة البرزخيّة بين العقل والنقل

عرض و تحليل

مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية

النشأة البرزخيّة بين العقل والنقل
عرض و تحليل

الشيخ عباس الغراويّ



النشأة البرزخيّة بين العقل والنقل
عرض و تحليل

تأليف: الشيخ عباس الغراويّ
الناشر: مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية
البريد الألكتروني: al.orfan@yahoo.com
توزيع: مؤسسة المصباح الثقافية
عدد النسخ المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

الطبعـــــة ١٤٣٥هـ
الأولــــــى ٢٠١٤م

تنفيذ طباعي
دار القـــارئ للطبـــاعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠٣/٤١٣٢٥٦- بيروت لبنان
dar.alkari2012@gmail.com





﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾

(المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

الإهداء:

- إلى من نعته الله تعالى في كتابه بـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾.

- إلى من قال له رسول الله ﷺ: (**أنت قسيم الجنة والنار**).

- إلى الحقّ السّاطع، والنور المبين.

- إلى وليّ ربّ العالمين، ووصيّ سيّد المرسلين.

- إلى قائد الأمّة وإمامها علي بن أبي طالب عليه السلام.

- إلى جميع الشهداء في خط عليّ عليه السلام، الذين بذلوا مهجهم لإعلاء كلمة الحقّ، وسقوا بدمائهم الزكيّة شجرة الدّين والإيمان على مرّ العصور.

- إلى المجاهدين في سبيل الله ممّن حملوا أرواحهم على أكفّهم، وتلبّسوا بصفات الشهداء في استعدادهم للفداء.

هذه بضاعتي أطمع مخلصًا فيها أن أكون محلاً للشفاعة يوم يجادل كلّ إنسان عن نفسه راجيًا القبول.

المحتويات

الفصل الثاني

حقيقة الموت وفلسفته

الفصـــل الثالــث

أدلّـــــة عالم البرزخ

الفصل الرابع

مراحل الحشر البرزخيّ

الفصل الخامس

الثواب والعقاب في النشأة البرزخيّة

كلمة المؤسّسة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد، وآله الطيّبين الطاهرين...

وَبعدُ: عالم البرزخ، أوّل محطّة للإنسان بعد الحياة الدنيا، حيث طلائع البشرى بنسيم الجنان، أو لسع من حرّ النيران، عالم كبير، وفيه من المراحل الكثير الكثير، يرِده الإنسان على وجل، وهو لمّا تغادره بعد مرارة الموت، وحسرة الفوت على مافرط في جنب الله ...

لم يُفرد هذا العالم - إلى جانب أهمّيّته - بدراسةٍ شاملةٍ مستوعبةٍ لتفاصيله، ومراحله، وأحواله، تعطيه حقّه، وتميط الغموض عن مبهمات مواطنه، وتضيء درب السالك في طرقه، كما أُفرد لعالم الآخرة من كتب، وما أُلِّف فيه من مؤلفات، بل ظلّ مخنوقًا ومحسوبًا على عالم الآخرة، ومبحثًا من مباحثه، برغم أنّه برزخ متوسّط بين العالمين ... اللهمّ إلا القليل ممّن أعطاه حقّه.

وللبحث في مسائل هذا العالم أهميّةٌ كبيرةٌ، وصعوبةٌ أكبرُ، أمّا أهميّته فلأنه يمثّل الوقودَ الحقيقيَّ الذي يدفع الإنسان للصلاح، والفضيلة، ويُعمِّق الشعور بالطّاعة لله تعالى، وأمّا صعوبتُهُ فتكمن في كون موضوعه غيبيًّا ما ورائيًّا (ميتافيزيقيًّا)، فتكون الفطرة، والإيمان عاملين ضروريّين للتعاطي معه، وممَّا يزيد البحث صعوبة في ما إذا تناولنا فيه مسائل تكون فيها مهمّة الدليل العقلي للوصول إليها صعبة، فيتطلب جهودًا

إضافيّةً، كما هو الحال في موضوع هذا البحث المتعلّق بالنشأة البرزخيّة، والذي حمل عنوان:(النشأة البرزخيّة بين العقل والنقل... عرض وتحليل).

ومن هنا استطلع المؤلف مرويّات أهل البيت ﷺ، وأقوال العلماء، وما ذُكر عن هذا العالم في عقائد الشعوب والملل، فحدد ملامحه ، وبين حدوده ، راسماً خريطته، وموضحاً أبعاده، حتى لا يظلّ البرزخ مصنفًا على عالم الآخرة، ومطويًّا في صفحاته.

وهذا ما دعاه للبحث في معنى الموتِ وفلسفتِهِ، وفي معنى الروح التي تمثّل حقيقة الإنسان في حياته، وحشره، ونشره، وبعد عرضه لمراحل الحشر البرزخيّ شرع الباحث في بيان مسألة (الثواب، والعقاب) في البرزخ، وهل أنَّ موضوع الثّواب والعقاب هو الروح، أو الجسد العنصريّ، أو الروح بجسدٍ مثاليٍّ ؟ وهنا أثبت الباحث أنَّ هنالك جسدًا مثاليًّا في البرزخ، يعيش فيه الإنسان فيتنعّم أو يتعذّب، فساق أدلّتَهُ، وشيّد أركانَهُ بجناح العقل، ليعبِّد طريق الولوج؛ لمعرفة هذا العالم بكل خفاياه ورهبته.

وممّا وُفِّقَ المؤلف فيه توظيف آيات القرآن الكريم التي ذكرت البرزخ تصريحًا أو إشارة، وعضّدها بمرويّات أهل البيت ﷺ، وأقوال المفسّرين، فتمّ عنده جناحا العقل والنقل، ثمّ خلص بنتائج دقيقة، فقد أثبت أنّ الألم واللذّة في نشأة البرزخ حسّيّان وعقليّان معًا، ثمّ إنّ تجسّم الأعمال لا يختصّ بعالم الآخرة، وأنّ أوّل ظهوراته بعد الموت وفي القبر، وأبدع في موضوع الاستكمال البرزخيّ، وفرّعه على ثلاثة أنحاء:

الأوّل: عن طريق ما تركه الميْت من أعمال جارية، **والثاني:** عن طريق الأعمال الخيريّة التي يُهدى أجرها له، والثالث: عن طريق انفتاحه على كشف الحقائق والأستار

عن تلك العوالم، وعن طريق الآلام والعذابات والعناء الذي يواجهه حال الاحتضار، وقبض الروح، ومخاوف رؤية الملائكة، وظلمات القبر.

ونحن في مؤسّسة العرفان نرى أنّ البحث في عالم البرزخ من صميم ثقافة الإنسان المتديّن، وله فوائدُ جمّة في الاعتقاد والسلوك؛ لذا آلينا على أنفسنا نشر هذا السِفر؛ لنفع المتشوّقين إلى عالم الملكوت ...، وأخيرًا نسأله تعالى التوفيق الدائم لخدمة تراثنا الإسلاميّ بنشر الدراسات المهتمّة بالفكر الدينيّ، والثقافيّ، ولا يفوتنا توجيه الدعوة الصادقة لأساتذتنا الأعزّاء من أصحاب الاختصاص العالي في المجالات المعرفيّة الإسلاميّة -الفكريّة والثقافيّة- بأن يرفدونا بنتاجهم القيّم؛ بغية العمل على طباعته، ونشره، ومنه تعالى نستمدّ التوفيق .

مؤسسة العرفان للثقافة الإسلاميّة.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد المصطفى، وعلى آل بيته الأطيبين الأطهرين.

شغلت حقيقة الموت والحياة جانبًا كبيرًا من تفكير الإنسان؛ لأنّ الموت حادث يختلف عن جميع الحوادث؛ بل يمكن تسميته حادث الحوادث، فهو الذي يوقف دورة الحياة، ويجعلها جامدةً في مكانها عند تأريخ لا يمكن أن يُتقدّم بعده لحظة واحدة.

وقد صدرت الاجتهادات الفكريّة، والآراء الفلسفيّة، والتأملات الماورائيّة عبر التأريخ الحضاريّ للإنسان على مرّ العصور والأزمان؛ وذلك للوقوف على ماهيّة الموت وحقيقته بعد أن أيقن الجميع تمامًا أن وجودهم سينتهي يومًا ما من دون معرفة الزمان والمكان.

وقد برزت تساؤلات كثيرة أمام الإنسان في ماهيّة الروح وحقيقتها، وكيف يمكن التعرف عليها؟، وهل الإنسان عبارة عن هذا الجسد المحسوس أو أنّ وراء هذا الجسد أمرًا آخر؟، ثم ما هو الموت الذي يفصلنا عن هذه الحياة؟، هل الموت إعدام لكلّ شيء أو هو غيب في نشأة، وظهور في نشأة أُخرى؟، بماذا يشعر الإنسان حين الموت؟، وإذا كانت ثمّة حياة أخرى بعد الموت فما حقيقتها وما صفاتها وكيف يعيش الإنسان فيها؟.

ثم هل أعمالنا الصالحة أو السيّئة هي مدار حشرنا، فتسوقنا إلى العذاب أو الرحمة؟، هل من الممكن أن نتعرّف ذلك العالم الغيبيّ و البرهنة عليه؟.

وفي ظلّ ذلك توجد رؤيتان رئيستان لمصير الإنسان:

الأولى: إنّ الموت يمثّل لحظة الوداع الأخيرة لكلّ شيء ، والانفصال التامّ عن مطلق الحياة، فالذات سوف تنحلّ، والنفس ستبطل بسبب هذا الانحلال؛ وبذلك سوف تتلاشى حقيقة هذا الإنسان.

وبهذا الفراق للحياة سيفقد الإنسان الأحبّة والملذّات والأماني، ويرجع إلى الطبيعة بعد أن استحال ترابًا ومصيره العدم كما كان سابقًا.

ومن الطبيعي تبعًا لهذه النظرية الماديّة للوجود أن يعيش الإنسان الهاجس والقلق المستمر من مجيء لحظة الموت فهو يحتضر من اللحظة التي يولد فيها. ومن الطبيعي أن يكون الموت رهيبًا وعنيفًا عندما يقتحم أفكار مثل هؤلاء؛ لأنّه يعني العدم والفناء ونهاية كلّ شيء.

الثانية: وهي رؤية نابعة من الإلهامات الفطريّة المغروسة في الإنسان نفسه، والمؤيَّدة برسالات السماء، ومُلخّصها أنّ الموت ليس ذلك المجهول الذي يبثّ الخوف والرهبة في النفوس، وإنّما هو قضاء الله تعالى، وقدره، وحكمته في أن يعيش الانسان وقتًا زائلاً في الدنيا، ثم ينتقل عنها إلى حياة خالدة في الآخرة؛ فكما للحياة حكمة وهدف عند الله تبارك وتعالى كذلك الموت فإنَّ له هدفًا وحكمةً، وتكتمل الحكمتان في اختبار الإنسان وامتحانه في الدنيا وخلوده وسرمديّته في الآخرة وقد عبّر القرآن الكريم عن حلول الأجل الدنيويّ ورجوع حقيقة الإنسان إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** ﴾[1] .

(١) الشورى: ٥٣.

وقـوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[1] .

وقوله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2] .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾[3] .

وقد جاء الدين ليحاكيَ فطرة الإنسان بأنّك أيّها المخلوق لست مهملاً ولامتفرّدًا بمصيرك عن عالم الوجود؛ ولذا يجب أن تعلمَ أنّك مجبور في انتمائك لهذا العالم، فاعرف الهدف الذي من أجله خلقت وإليه ستنتهي، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (**رحم الله امرءًا علم من أين وفي أين وإلى أين**).

ومن الملحوظ في الخطابات القرآنيّة والحديثيّة التي تصدّت لبيان موضوع عالم الآخرة المتمثّل بالنشأة البرزخيّة أو القيامة الكبرى أنها كانت ذات مساحة واسعة جداً مقارنةً بالموضوعات الأخرى؛ إذ تقرب من الأبحاث القرآنيّة والروائيّة في موضوع التوحيد.

وهذا الاهتمام القرآنيّ والروائيّ يدلّ بلا شكّ على مدى أهميّة موضوع المعاد، ومآل الإنسان في النشآت الأُخرويّة المختلفة.

ولذا فان هذا البحث الذي وسمناه بـ(**النشأة البرزخيّة بين العقل والنقل**) يركّز على مرحلة من هذه المراحل الوجوديّة، وهي حياة الإنسان في النشأة المتوسطة والمعروفة بالحياة البرزخيّة.

(١) السجدة: ١١.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) الانشقاق: ٦.

وتتجلّى أهميّة البحث بالنظر إلى:

إنّ هذا الموضوع من الأهميّة بمكان؛ لأنّه يعالج قضية مهمة ترتبط بمصير الإنسان بعد الانتقال من هذه الحياة الدنيا إلى ذلك العالم البرزخيّ، الذي سوف يصل إليه الجميع، فلا بدّ من معرفة أصوله وقوانينه، وما يحكم تلك النشأة، و توضيح الإشكالات، ودحض الشبهات، وإزالة الأوهام التي علقت في الأذهان بشأن حقيقة النشأة البرزخيّة.

إنّ من لوازم الإيمان بالله تعالى أن يؤمن الإنسان بالمعاد، وهذا العالم البرزخيّ جزء من المعاد، وأوّل عالم الآخرة ؛ فالإيمان به له موقع مهمّ وجوهري في المنظومة العقائديّة للإنسان.

وقد حاولت الإجابة عن كثير من التساؤلات التي تحتاج إلى جواب تفصيليّ في ما يخصّ الموت، والقبر، وسؤال الملائكة، ومصير الأرواح، والحياة المثاليّة التي يتمتّع بها البرزخيون، فضلاً عن دحض الأوهام التي علقت في أذهان عوامّ الناس، أو المنكرين، والمشكّكين لهذا العالم وذلك بالحجّة القرآنية، وروايات أهل العصمة ﷺ ، والعقل الصريح.

إنّ الإيمان بالعالم الآخر، وأنّ الإنسان لن يترك سدًى بعد انتقاله من الدنيا سيكون مصدرًا ومنبعًا لكلّ البركات والكمالات التي يسعى إليها الإنسان، وأنّ هذا الاعتقاد سيؤثّر في سلوك الناس وأخلاقهم؛ فإذا شعر الإنسان أنّ عليه رقيبًا حافظًا لكلّ شيء، وأنّ الإنسان سيحاسب على كلّ صغيرة وكبيرة، وأنّ أعماله سوف تتمثل له بعد الموت؛ صالحة كانت أم طالحة، فهذا الشعور يبعثه على فعل الخير واجتناب معاصي الله تعالى؛ وهذا من أهمّ الأهداف التي دفعني للكتابة بهذا العنوان.

ولمّا كان البحث مرتبطًا بالجانب الغيبيّ فقد ابتعدت قدر المستطاع عن الاجتهادات الشخصيّة في مسائله، والرجوع إلى المصادر الأصليّة من الكتاب الكريم، وروايات أهل البيت ﷺ، ولحاظ آراء المفسّرين ، وعلماء الكلام، والفلاسفة، ثمّ تتبّع الآراء التي قيلت، وتحقيقها أومناقشتها للوصول إلى الرأي المختار.

أمّا خطّة الكتاب فتتكوّن من مقدّمة، وخمسة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:

١- **الفصل الأوّل:** عبارة عن مبحثين تمهيديّين؛ الأوّل: تصوّرات الأديان لعالم ما بعد الموت، مثل الديانة اليهوديّة، والصابئيّة، والمسيحيّة، والزرادشتيّة، وفي المبحث الآخر: الكلام في حقيقة الروح، ومعانيها كما ورد في القرآن الكريم، ولسان الحكماء.

٢- **الفصل الثاني:** في حقيقة الموت وفلسفته، وهو يبحث في نظر القرآن الكريم للموت، فضلاً عن وصف مراحل الاحتضار، وما يمرّ به الإنسان من غمرات وسكرات قبل الانتقال تمامًا إلى الحياة البرزخيّة.

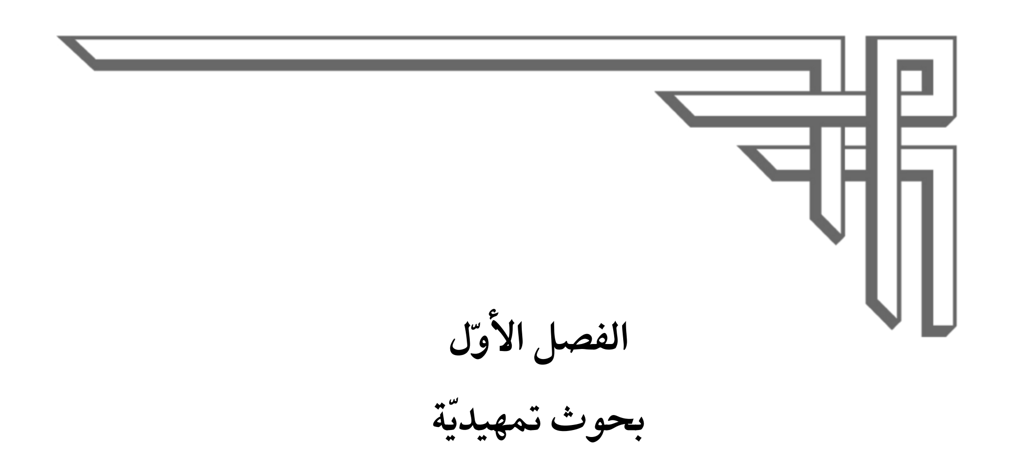
٣- **الفصل الثالث:** في الأدلّة الإثباتيّة التي أُقيمت على عالم البرزخ، وهي التي تضمّ الأدلّة النقليّة القرآنيّة، والروائيّة، فضلاً عن نقل كلمات العلماء، والحكماء، ومباحث أخرى تحليليّة.

٤- **الفصل الرابع:** الحشر البرزخيّ، وقد تناول هذا الفصل مبحثين الأول: ذكر طائفتين من الروايات الدالّة على أنّ السؤال والحساب في البرزخ هل يقع على الجميع أو لطائفة مخصوصة من الناس؟، والمبحث الآخر: في أنّ الضغطة والسؤال تقع على الجسد العنصريّ أم على الجسد البرزخيّ ؟.

٥- **الفصل الخامس:** الثواب والعقاب في النشأة البرزخيّة، وقد تناول أبحاثًا قرآنيّة،

وأُخرى عقليّة في مطالب عدّة عرض لها هذا الفصل من قبيل عوالم الوجود، و اختلاف هذه العوالم، والبرزخ المثاليّ، وتجسّم الأعمال، والتكامل البرزخيّ وغيرها من الأبحاث.

النجف الاشرف ٢٠١٠م .



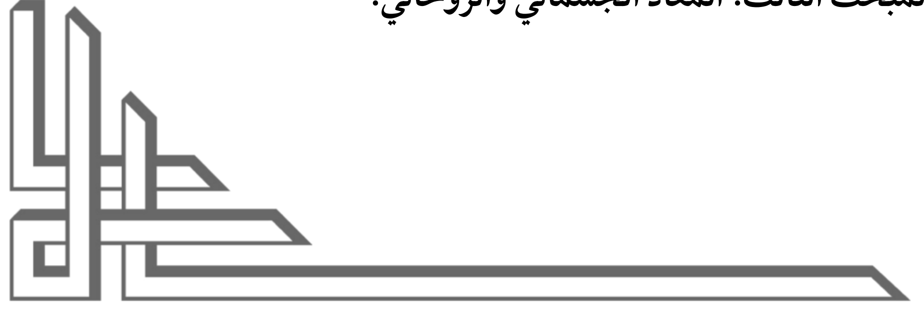
الفصل الأوّل

بحوث تمهيديّة

المبحث الأوّل: تصوّرات الأديان حول عالم ما بعد الموت.

المبحث الثانـــي: في حقيقة الروح.

المبحث الثالث: المعاد الجسمانيّ والروحانيّ.



المبحث الأوّل

تصوّرات بعض الأديان حول عالم ما بعد الموت

منذ بدء التفكير الواعي للبشريّة على وجه الأرض وقف الإنسان أمام فكرة الموت وحقيقته موقف الحائر المندهش؛ لأنّ الإنسان أدرك أنّه حيثما توجد حياة يوجد إلى جانبها موت وانتهاء، ومن موقف الخوف والحيرة بدأ التفكير البشري بالنفس وارتباطاتها، وفنائها، وخلودها، وفي بعثها، وأزليتها.

ومن هنا ناقشت الأديان القديمة التوحيديّة وغير التوحيديّة - فضلاً عن الفلسفات البشريّة - إشكاليّة الموت وعالم مابعد هذه الحياة ،وتناولت مفهوم الموت وماهيّته، وتوالت الأفكار عن خلود الروح والحياة الأخرى والبعث وتفاصيل كلّ ما له علاقة بالثواب والعقاب.

ولا شكّ في أنّ هذه الأقوام القديمة التي آمنت بفكرة العالم الرحب بعد الموت على أنماط مختلفة، أحدها: آمن بحقيقة العالم الأخر إيمانًا نابعًا من معرفة المبدأ والمعاد الذي جاءت به رسل السماء، وآخرون آمنوا بالحياة بعد الموت؛ لأنّ نداء الفطرة كان يقول: إنّ الموت ليس نهاية الحياة، وهذه الإلهامات الفطريّة دائمًا وفي كلّ زمان تدفع الإنسان بشكل تلقائي نحو حاجاته الروحيّة.

وآخرون آمنوا بالحياة بعد الموت؛ لأنّهم توجّهوا نحو العقل والتجربة في إزاحة غيب

ذلك العالم المجهول بأدواتهم المعرفية التي تناسب وجودهم.

وآخرون آمنوا؛ كردّ فعلٍ إزاء ما يمثله الموت من عامل مثير للهواجس والقلق، فهو ما إن يتناسى فكرة الموت بدخوله في دوّامة الحياة حتى يفاجئه الموت ماثلاً أمامه بكلّ حقيقته القاسية بموت من يعيش معه من الآخرين.

ونحن في هذا التمهيد سنتناول بعض ما وصل إلينا من هذه العقائد القديمة، سواء كانت عن طرق الأديان السماوية، أم الفلسفات الإنسانية، بما تحمل من مفارقات، أو انحرافات لعبت بها يد التحريف وأبعدتها عن مسارها الحقيقيّ، الذي نادى به المصلحون من الرسل؛ ولكن تبقى هناك إشارات وإيماءات في ثقافة عقائد تلك الأقوام.

الديانات القديمة في وادي الرافدين:

لو أخذنا الأقوام التي استوطنت بلاد وادي الرافدين منذ أقدم العصور حتى انتهاء الحضارة البابليّة الأخيرة؛ لوجدنا أنّ الموت عندهم ليس نهاية مطلقة للحياة، (فقد كان المعتقد السائد أنّ روح الشخص تخرج من جسده مع آخر أنفاسه في احتضاره؛ وذلك لأنّهم يجدون علامة الموت في انقطاع التنفس وتوقف الحركة في الصدر) [1].

وهنا يتمّ انفصال الروح المسمّى عندهم (اطمو) عن الجسد عند الموت بطريقة غامضة، جاءت في ملحمة (جلجامش) عند حديث (أنكيدو) في ما رأى من الموت في أثناء مرضه.

(كانت السماء ترعد، فاستجابت لها الأرض.

وكنت واقفاً وحدي، فظهر أمامي مخلوق مخيف، مكفهرّ الوجه.

(١) عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، نائل حنون، ص١١٠.

كان وجهه مثل وجه طير الصاعقة (زو)، ومخالبه كأظفار النسر.

لقد بدّل هيئتي، فصارت يداي مثل جناحيْ طائر.

مكسوّتين بالريش.

أمسك بي، وقادني إلى دار الظلمة.

إلى البيت الذي لايرجع منه من دخله.

إلى الطريق الذي لارجعة لسالكه.

إلى البيت الذي حُرّم ساكنوه من النور.

حيث التراب طعامهم، والطين قوتهم.

وهم مكسوّون كالطير بأجنحة من الريش، ويعيشون في ظلام لا يرون نورًا)[1].

(إنّ سُكّان العراق القديم لم ينظروا إلى الموت على أنّه فناء مطلق؛ بل إنّه - بالدرجة الأولى- انفصال ما بين الروح والجسد، وعند إيداع الجسم في اللحد تذهب الروح إلى عالم آخر هو عالم الأرواح، أو عالم مابعد الموت، إلاّ أن أرواح الذين لم تدفن أجسادهم، أو الذين لم يُقرَّب لأرواحهم وفق الشعائر المقرّرة تكون قلقةً، غير مستقرة في ذلك العالم، وتعود بطريقة إلى عالم الأحياء؛ لإحداث الأذى بسكّانه)[2] . على عكس الأرواح التي تدفن على وفق الشعائر الجنائزيّة المقرّرة فإنّها تنال الراحة والاستقرار.

ولأرواح الموتى صلة ما بحياة الأحياء، فهي تشعر بما يجري عليها، وتتأثر به لأيّام عدّة،

(١) ملحمة جلجامش، طه باقر، ص١٢٠ اللوح السابع العمود الرابع.

(٢) عقائد ما بعد الموت، مصدر سابق: ص١١٢.

(كما يبدو من نصّ موت (أورنمو)، الذي كان يسمع بوضوح عويل بلاد سومر عليه بعد انقضاء سبعة أيام على موته، ونزوله إلى العالم الأسفل، كما غمره القلق هناك على أسوار مدينة أور، وعلى قصره الجديد، ويدفعه حزنه على زوجته وابنه إلى البكاء بكاء مريرًا في ذلك العالم) [١].

والخلاصة: إنّ الديانات الرافدينيّة آمنت بوجود عالم آخر، وحدّدت مفاهيم ذلك العالم أكثر ممّا حدّدت مفاهيم حقيقة الموت والروح، فذلك العالم هو عالم غريب تهوي إليه أرواح الموتى من دون تمييز بينهم، مطلقين عليه (**دار الظلمة**)، في حين احتكرت الآلهة الخلود والبقاء لها .

وبقيت فكرة الثواب والعقاب في العالم الآخر فكرة غامضة عند سكان تلك الأقوام، تاركة تفسير ذلك للآلهة المستأثرة؛ ولذلك تجد الإنسان يعيش غاية القلق والألم؛ لأنّه يرى رجحان كفّة الشر في الحياة على كفة الخير، ثم يأويان إلى مصير مشترك وهو الموت، من دون أن ينال الظالم عقابه، والمحسن ثوابه، بعد أن نال كلٌّ منهما عقابًا وثوابًا دنيويًّا، وهذا ما نلحظه في القطعة الأدبيّة التي سميت (حوار التشاؤم) في نصٍّ بابليٍّ قديم يعود تاريخه إلى النصف الثاني قبل الميلاد.

(اُعلُ فوق تلال الخرائب القديمة.

وتمشَّ حولها.

وانظر جماجم القاصي، والداني.

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٠، عن ترجمة اللوح الثاني عشر من الملحمة.

من هو الشرير، ومن هو المحسن)[١].

الديانة المصريّة:

حينما ننتقل إلى الديانة المصرية القديمة نجد أنها ركّزت بوضوح على فكرة الخلود بعد الموت، بتفسيرها للموت على أنّه باب الحياة الخالدة.

فقد كان للمصريين نوعان من الآلهة، آلهة الكون، وآلهة محليّة، وكانت العبادة تنقسم على النوعين كليهما، آلهة الكون عبارة عن حكام العالم الآخر، فهناك (أوزيريس) ربُّ العالم الآخر، أو ربُّ الموتى، وتحته (ألو بيس)، و(ماعت)، وكان المصريُّ القديم حُرًّا في عبادة أيّة آلهة يرغب في عبادتها، لكّنه حينما يفكّر بالموت والرحيل عن هذه الحياة فإنّه يلتفت إلى عبادة (أوزوريس) ربُّ الموت، والمصائر، والأعمال.

أمّا فكرة الحساب عند الديانة المصرية فإنّ هناك كاتبين للأعمال (تحوت، وسيشيا) يحصيان الأعمال الصالحة، والطالحة، ويحفظانها إلى يوم الحساب، ويوم الحساب عبارة عن ممرٍّ مرعب يعبره الإنسان إلى أن يصل للقاء الآلهة (أنوبيس)، فيقوده من يده إلى قاعة العدالة التي يتصدرها الإله (أوزوريس)، وأمامه ميزان لوزن أعماله، ويقف على جانبي الميزان إله الحكمة، ووحش لأكل الموتى، متحفّزًا للانقضاض عليه إذا ثبتت إدانته.

وعلى طول جدار القاعة تقف آلهة الأقاليم المصريّة، وعددهم اثنان وأربعون؛ فيمرّ الميت من أمامهم معلنًا براءته من اثنين وأربعين خطيئة تختصر كلَّ ذنوب البشر، ثمّ يوضع قلبه في الميزان، ويوضع في الكفّة الأخرى ريشة طائر، هي رمز لربِّ العدالة (معات)، فإذا تساوت كفّتا الميزان أُعلن عن براءته، وبعد اجتياز هذا الامتحان العسير يُؤخذ إلى الجنة

(١) المصدر السابق.

(الأوزيريه) حيث يعيش فيها الإنسان بصحبة الآلهة، وأرواح الناجين ، هذا مختصر ما تحدّث عنه الكتب القديمة للديانة المصريّة.

يقول (ول ديورانت) في قصة الحضارة: وكان أهمّ ما يميز هذا الدين توكيده فكرة الخلود، فقد كان المصريّون يعتقدون أن الجسم تسكنه صورة أخرى مصغّرة منه تسمّى القرنية (الكا)، كما تسكنه أيضًا روح تقيم فيه إقامة الطائر الذي يرفرف بين الأشجار، وهذه الثلاثة مجتمعةً (الجسم، والقرنية، والروح) تبقى بعد ظاهرة الموت، وكان في استطاعتها أن تنجو وقتًا يطول، أو يقصر بقدر ما يحتفظون بالجسم سليمًا من البلى، ولكنهم إذا جاءوا إلى (أوزير) مُبرّئين من جميع الذنوب سمح لهم أن يعيشوا مخلّدين في (حقل الفيضان السعيد)، أي في الحدائق السماويّة حيث توجد الوفرة والأمن على الدوام)[1].

الديانة الزرادشتيّة:

وهي الديانة المنسوبة إلى (زرادشت) الحكيم، أو نبيٍّ المجوس، أو الذي أرسله أحد الأنبياء على الخلاف في حقيقته.

وكتابهم(الافستا)[2] المقدّس، وكانت دعوة (زرادشت) ظهرت في القرن السابع قبل الميلاد، وينتهي إليه اليوم جميع المجوس في العالم.

وهذه الديانة آمنت بعالم ما بعد الموت، والحساب، والثواب، سواء في عالم القبر أم عالم القيامة؛ فقد جاء في شروحات كتابهم المقدس (الافستا) (**هذا وتتوكل الملائكة أمر**

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، ج٢ ص١٦٢.

(٢) كتاب (زرادشت) المقدس وهو مرشد الديانة الزرادشتية، ويحتوي على خليط من الأدعية، والأناشيد، والأقاصيص، والطقوس الدينيّة، والقواعد الخلقيّة.

محاسبة الإنسان، فتحصي عليه السيئات، وتحسب له الحسنات، وتسطرها في كتاب الحياة، الذي سيجده الإنسان أمامه منشورًا، وحين الموت تنفصل الروح عن الجسد لتنطلق غير مقيدة بالجسد، بجوار الجسد تظلّ النفس معلقة ثلاثة أيّام، وفي فجر اليوم الرابع تهبُّ عليها الرياح ريح عطرة إذا كانت النفس خيّرة، وغير عطرة إذا كانت شريرة، ليدفعها هذا الريح إلى موضع وفيه تلتقي إمّا كائنًا حسنًا وإمّا كائنًا قبيحًا، وليس كلاهما بحقيقيٍّ؛ بل هو كناية عن مظهر وصورة كوّنتها منه الأعمال والفكر، وهذا قد كوّنهما منه الضمير. لقد قاد الضمير الإنسان إلى حيث تجري محاكمته أمام قضاة ثلاثة يرأسهم (ميتهرا) حينذاك سيدرك الإنسان أنّه لم يترك سدًى، وفي يوم الحشر سيكون الحساب الأخير وسيكون أهل المعرفة أكثر الناس مسؤوليةً وسؤالاً)[1].

أمّا الحساب بما يشتمل عليه من الثواب والعقاب فيقول عنّه المؤرّخ (**ول ديورانت**): فقد كان وراء الموت، وهو أشدّ الخفايا كلها رهبة جحيم، وأعراف، وجنّة، وكان لابدّ لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز قنطرة، تُصفى فيها تجتازها الأراوح الطيّبة، فتصل في جانبها الثاني إلى مسكن الفناء، وهناك تعيش مع أهوارا مزدا (الله تعالى) سعيدة منعّمة إلى أبد الدهر، أمّا الأرواح الخبيثة فلا تستطيع أن تجتاز القنطرة، فتتردى في درك جحيمٍ يتناسب عمقه مع ما اقترفت من ذنوب ... تعذب فيها أرواح المذنبين أبد الآبدين ، فإذا كانت حسنات الإنسان ترجح على سيِّئاته قاسى عذابًا مؤقّتًا يطهّره من الذنوب، وإذا كان قد ارتكب كثيرًا من الخطايا، ولكنّه فعل بعض الخير لم يلبث في العذاب إلاّ اثنى عشر ألف عام يُرفع بعدها إلى

(١) الآي الثلاثون ياسنا.

السماء[١].

وقد كان غرضنا من نقل هذه الآراء والمعتقدات الخاصّة بهذه الأقوام التي لا تنتمي إلى شريعة سماوية واضحة هو بيان حال تلك الأقوام واعتقاداتها في عالم الموت، وما بعده، وعقيدة الحساب، مع صرف النظر عن صحة تلك المعتقدات وبطلانها.

الديانة الصابئيّة المندائيّة:

يعتقد الصابئة أنّ دينهم من أقدم الأديان على وجه الأرض، وقد أُنزل بأمر ملك النور على آدم وحواء، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع (البقرة ٦٢، المائدة ٦٩، الحج ١٧) وكلمة الصابئيّ تعني الخارج عن دين إلى دين، أو مأخوذة من كلمة صبا المندائيّة، ومعناه الارتماس، والاغتسال بالماء الجاري)[٢]. وهو الذي يعدّ من الشعائر المقدّسة عندهم، والمعروف بـ(التعميد).

وقد اختُلف في الصابئين أهمّ من أهل الكتاب أم لا ؟، فثبت عند قوم ونفاه آخرون، وقيل: (هم قوم بين المجوس، واليهود، والنصارى، وليس لهم دين)[٣].

وقيل: (هم قوم موحّدون يعتقدون تأثير النجوم، والكواكب)[٤]، وقال صاحب دائرة المعارف: قوم دينهم التعبّد للروحانيات؛ أي: الملائكة، وضدّ الحنفاء الذين دعوتهم الفطرة مؤدّى مذهبهم، و (إنّ للعالم صانعًا، فاطرًا، حكيمًا، مقدّسًا من سمات الحدثان، والواجب

---

(١) قصه الحضارة، مصدر سابق، ج٢ ص ٤٣٤ و ص٤٣٥.

(٢) انظر: الصابئة المندائيون، الليدي دراور، ص٩.

(٣) فقه السنة، سيد سابق، ج٢ ص١٠٣.

(٤) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسيّ، ج٢ ص٤٠٢.

علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنّما يتقرّب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون، المطهّرون، المقدّسون جوهرًا، وفعلاً، وحالةً)[١].

وذكر المؤرّخون أنّ الذي أسّس بنيانها، وهذّب أصولها، وفروعها، هو(يوذا سف) المنجّم. ظهر بأرض الهند في زمن (طهمورث) ملك إيران، ودعا إلى مذهب الصابئة، فاتّبعه خلق كثير، وشاع مذهبه في أقطار الأرض كالروم، واليونان، وبابل، وغيرها، وبُنيت لها هياكل، ومعابد مشتملة على أصنام الكواكب السبعة، ولهم أحكام، وذبائح، وقرابين، وهؤلاء يوحّدون الله في أُلوهيّته لا في عبادته، وينزهونه عن النقائص، والقبائح، ويصفونه بالنفي لا بالإثبات؛ كقولهم: (لايعجز، ولا يجهل، ولا يموت، ولا يظلم، ... إلخ، ويسمون ذلك بالأسماء الحسنى مجازًا)[٢].

والذي يهمّنا في البحث هو نظرتهم إلى المعاد، ومصير الأرواح في العالم الآخر؛ فعلى الرغم أنّ كتبهم تغرق كثيرًا في الرمز، والاستعارة عند الحديث عن معتقداتهم الدينيّة، ولكن من الممكن التعرُّف على ظاهر هذه الاعتقادات من نصوصهم الدينية المتوفّرة، فتبعًا للطقوس المندائية إنّ يوم الوفاة هو يوم سرور وفرح، فيحرم على ذوي الميت البكاء، والعويل عليه، وإنّ يوم إقامة المآتم من أكثر الأيام فرحًا.

وكما في سائر الأديان يؤمن الصابئة بوجود عالمين عالم مادّيّ؛ وهو الحياة الدنيا، وعالم آخر، وهو المحطّ النهائيّ للنفس البشرية بعد الموت، فالموت هو انتقال وارتحال، وليس فناءً واندثارًا.

---

(١) دائرة المعارف، ج٥ ص٤٦٢، وأيضًا: الملل والنحل للشهرستاني، ج٢ ص٦.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج١ ص٢٧٩.

ويعتقدون أنّ هناك جنّةً يسمّونها (آلمي دنهوره) ؛أي: عالم النور، ثمّ إنّ هناك نارًا، ويطلق عليها (أور) الذي يبتلع الأشرار، وبين الجنّة والنار شيء ثالث يسمّونه (المطراثي)، أي: المطهّر، وفي هذا المحلّ تتعذب الأرواح التي ارتكبت ذنوبًا بسيطة، ويكون عذابها لأمد محدّد، ثمّ تنتقل إلى موضعها في عالم النور[1].

ويتحدث كتابهم المقدّس (كنزا ربا)، ومعناه: الكنز العظيم بإسهاب عن رحلة عجيبة تسلكها النفس البشرية، وبأسلوب يبعث الرهبة والخشوع لتلك الرحلة الصعبة، التي تمرّ بها الروح قبل وصولها إلى يوم الحساب، ويعتقد المندائيون أنّ هذه المدّة الزمنية تستغرق خمسة وأربعين يومًا، يتمّ فيها إجراء الشعائر الخاصّة بالميت، وهي التي يطلب فيها الرحمة والغفران له، (ويعتقد الصابئة أنّ المندائيّ إذا مات استقبله ملكان يُدعى أحدهما: (صاوريل شروية)، ويُسمّى الآخر: (قما مير زيوا)، وهما ناقلا الأرواح، فيحاسبانه على عمله في دنياه حسنًا كان أم سيئًا، فإن كان من أصحاب الأعمال الحسنة فإنّ روحة تذهب إلى عالم الأنوار من أقرب طريق تقطع فيه العوالم السبعة في خمسة وسبعين عامًا، وتنتهي في الميزان، فتوزن فيه الروح، ثمّ يسمح لها بالدخول في عالم الأنوار، أمّا إذا كانت الروح خبيثة فإنّ مقرها في عالم الظلمة، حيث تبقى في العذاب بحسب ما اقترفته من ذنوب وآثام)[2].

الديانة اليهوديّة:

وهي ديانة العبريين المنحدرين من إبراهيم ﵇، والذين يعرفون بالأسباط من بني إسرائيل، وهم كتابيّون موحّدون في الأصل على شريعة موسى ﵇ الذي رسم لهم الطريق

---

(١) انظر: العراق في القرن السابع عشر، عبد الجبار الصابئيّ، ص١٠٨.

(٢) الصابئون حاضرهم وماضيهم، عبد الرزاق الحسنيّ، ص١٦٥.

السويّ من حيث الاعتقادات، ولكن ميلهم للوثنيّة والانحراف جعلهم يتركون عبادة الله الواحد إلى عبادة الآلهة لدرجة أنهم عبدوا عجل السامريّ وما زال نبيّهم بينهم.

وتستقي اليهوديّة أصولها وشرائعها من كتابين أساسيّين أحدهما: العهد القديم (التوراة)، ويحتوي على تسع وثلاثين سفرًا، وقد أُلِّفت بعد السبي البابليّ، والكتاب الآخر: (التلمود)، وهو الشروح، والتفسيرات الدينيّة الشفوية التي تناقلتها اليهود، ثم جمعها(الحاخامات)، وهذه التعاليم والتفسيرات التلموديّة لا يمكن مناقشتها مطلقاً، مثل قولهم:(من احتقر قول الحاخامات استحقّ الموت، وليس كذلك من احتقر أقوال التوراة، وشريعة موسى ﵇)[1].

ويزعم اليهود أن التوراة التي بين أيديهم الآن قد كتبت في أيام موسى ﵇، وهو افتراء فاضح على الله تعالى، وعلى نبيّه موسى ﵇؛ لأنّ نصوص التوراة التي وردت في العهد القديم أو في التلمود تنفي بنفسها أن تكون جميعها من تعاليم السماء، وتعود إلى موسى ﵇ ؛ بل إنّ يد التحريف نالت منها كثيراً.

فالعقيدة الأصليّة الصحيحة التي جاء بها موسى ﵇ لبني إسرائيل كانت الإيمان بالله الواحد الأحد إله الناس جميعًا، والإيمان بالملائكة، والمرسلين، والإيمان باليوم الآخر بما فيه من حساب، وثواب، وعقاب، ولكنّ اليهود قد طرحوا هذه الأفكار الإلهية التي جاء بها أنبياؤهم، وثاروا عليهم، وقتلوهم أحيانًا، فاستبدّ بهم الطغيان، والانحراف.

ولهذا وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ**

(١) الكنز المرصود في فضائح التلمود، محمد الشرقاويّ، ص٣٢، ص١٦٩، طبعة مصر.

مِنَ اللَّهِ ﴾[١] ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[٢]

﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِيلاً ﴾[٣]

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾[٤]

﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٥]

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٦] إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم.

إنّ عالم الإنسان الذي تتحدث عنه التوراة هو الحياة، ولا يوجد بعد ذلك من جنة ولا نار غير هذه الدنيا، فقد جاء في سفر أيوب ﷺ، وما نسب إليه وهو براء منه :(**الإنسان مولود المرأة، قليل الأيام، وشبعان تعبًا، يخرج كالزهر، ثم ينحسم، ويبرح كالظل، ولا يقف، إنّ للشجرة رجاءً إن قطعت تخلف أيضًا، ولا تعدم، ولو قدم في الأرض أصلها، ومات في التراب جذعها، أمّا الرجل فيموت، ويبلى الإنسان، يسلم الروح، فأين هو. قد تنفد المياه من البحر، والنهر ينشف ويجف، والإنسان يضطجع ولا يقوم، لا يستيقظون حتى لا تبقى السموات، ولا ينتبهون من نومهم، ليتك تواريني في الهاوية، وتخفيني إلى أن ينصرف**

(١) البقرة: ٦١.

(٢) البقرة:٧٤.

(٣) النساء: ٤٦.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) المائدة: ٦٤.

(٦) المائدة: ٧٨.

غضبك، وتعين لي أجلا فتذكرني. إن مات رجل أفيحيا ؟)[١].

وجاء في العهد القديم أيضًا:(**لأنّ ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة، وحادثة واحدة لهم، موت هذا كموت ذاك، ونسمة واحدة للكل، فليس للإنسان مزية على البهيمة؛ لأنّ كليهما باطل، يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب، وإلى التراب يعود كلاهما، من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق؟، وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض؟، فرأيت أنّه لا شئ خير من أن يفرح الإنسان بأعماله؛ لأنّ ذلك نصيبه؛ لأنه من يأتي به ليرى ما سيكون بعده)**[٢].

وكذلك: (**الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئًا؛ لأنّه ليس من عمل، ولا اختراع، ولا معرفة، ولا حكمة في الهاوية (أي القبر) التي أنت ذاهب إليها)**[٣].

ويذهب (ويل ديورانت) إلى أنّ هذه الديانة لم يكن فيها جحيم يخصّص لعقاب المذنبين، ولكن (شهول) أو أرض الظلام التي تحت الأرض يلتقي فيها الموتى جميعهم الطيب منهم والخبيث، ولا يُستثنى منهم إلاّ المقربون إلى الله؛ كموسى، وأخنوخ، وإيليا، مع أنّ اليهود قلَّما كانوا يشيرون إلى الحياة الأُخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا، ولم تدر فكرة البعث في خلود اليهود إلاّ بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلّهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس، أو المصريين)[٤].

---

(١) سفر أيوب ، ١٤ : ٨٠٥ (مجمع الكنائس الشرقيّة).

(٢) العهد القديم ، ٣ : ٩٧٥ (مجمع الكنائس الشرقيّة).

(٣) سفر الجامعة، ٩: ٥ ـ ١٠.

(٤) قصة الحضارة ، مصدرسابق ج٢ ص ٣٤٥

إنّ اليهود فسّروا الحياة الدنيا والآخرة على النحو الذي يتوافق مع نزعاتهم الدنيوية، ورغباتهم المادّيّة، وقد شكّك القرآن الكريم في إيمانهم بالعالم الآخر؛ بسبب حرصهم على الحياة، والخوف من الموت الذي هو دليل كفرهم بالآخرة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[2].

والملحوظ أنّ التوراة إلى جانب كثرة المعلومات والأفكار التي طرحتها تجاوزت في بعض الأحيان حد الابتذال، مع ذلك نراها أغفلت وجفّ قلم كاتبها عن ذكر حقيقة مهمة في ما يرتبط بمصير الإنسان بعد نهاية هذه الحياة مع ما لهذه العقيدة من الأثر في تهذيب النفوس وشدّها إلى الله تعالى.

نعم طالعتنا هذه التوراة عن تصورات بالية مملوءة بالخرافات، والوثنية، أخذتها من المحيط الحضاريّ الذي عاشت فيه هذه الجماعات اليهودية من عقائد البابليين بعد السبي إليهم، ومن معتقدات الفرس أصحاب الفضل في تخليصهم، والسماح لهم في العودة إلى أرضهم.

ويقرّر المؤرخون (أن التوراة ظلت صحيحة في أيدي اليهود، لم يغيّروا فيها شيئًا إلى

(١) البقرة: ٩٤.

(٢) البقرة: ٩٦.

زمن الأسر البابليّ عندما حاربهم نبوخذ نصّر ملك بابل عام ٥٨٨ق.م)[1].

فقام بدكّ أسوار القدس، وأحرق المدينة، والهيكل بعد أن أخذ التابوت، وتتبّع الهاربين وسائر الكهنة، فقتلهم، ثمّ سبى اليهود جميعًا إلى بابلَ مقيّدين بالسلاسل، ولم يترك فيها إلاّ شرذمة قليلة من الفقراء، وفي هذه الحادثة انعدمت التوراة، وسائر أسفار العهد القديم[2].

وهكذا قتل جميع الهارونيين الذين كانوا يحفظون التوراة، وهي التي لم تكن محفوظة على ألسنة بني إسرائيل، فضاعت أمتهم، واندثرت ، وتشتّت بين دجلة والفرات، وما حولها، فذابوا بين تلك الشعوب، وعبدوا آلهتهم، واستمرّ هذا النفي إلى ما يقارب الأربعين سنةً.

و بعودة اليهود إلى فلسطين في زمان سلطان الفرس بدأوا بكتابة شريعتهم من جديد، ولكن كُتبت بالزيادات، والتحريفات، والتغيرات التي نجدها اليوم بمجموع الأسفار التي تصل إلى تسعة وثلاثين سفرًا، على أنّ حجم التوراة الموجود بين أيدي اليهود لايتّفق مع حجم توراة موسى ﵇، والتي يعترف اليهود أنفسهم بها من أن موسى ﵇ أوصى (**يشّوع**) بكتابة التوراة على أحجار المذابح، فقد جاء في التوراة: (**فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض المقدّسة التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة، وتشيدها، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس**)[3]، وهو مِمّا يدلّ على أنّ حجم التوراة التي أمر موسى بكتابتها لم تكن بهذا الحجم الموجود اليوم بأيدي اليهود؛ إذ لا تكفيها مئات الأحجار.

ومع كلّ ما ذكرنا من تبديل، وتحريف، فمن الممكن أن نتصيّد بعض الكلمات في العهد القديم تشير أو ترمز إلى عالم الآخرة، فقد ورد في كتاب دانيال النبي: (**كثيرون من**

---

(١) الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزت الطهطاوي، ص١٤.

(٢) انظر سفر أرميا، الأبواب ٣٩-٤٠-٤١، وأخبار الأيام الثاني باب ٣٦.

(٣) العهد القديم، سفر التثنية، ٢٧:٢.

الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبديّة، وهؤلاء إلى العار، للازدراء الأبديّ)[١].

ولكن قد يقال: إنّ المشار إليه هنا ليس قيام الأجساد حتى يدلّ على المعاد؛ بل هو إحياء قوميّ للشعب اليهوديّ، الذي ظلّ مدفونًا في التراب، متفرّقًا بين الأُمم لمئات السنين، وكأنّهم أموات في القبور، يؤيّد ذلك ما ذكره (**حزقيل النبيّ**) عن هذا الإحياء: (**هكذا قال الربّ ها أنذا أفتح قبوركم، وأُصعدكم من قبوركم ياشعبي، وآتي بكم إلى أرض إسرائيل، وداود عبدي يكون ملكًا عليهم)**[٢].

وقد وردت عبارات أخرى تشير إلى معنى الحياة الأبديّة، ففى صاموئيل الأول: (**الربّ يميت، ويحيي، يهبط إلى الهاوية** [٣] **ويصعد)**[٤]، وفي سفر أشعياء: (**ويخرجون، ويرون جثث الناس الذين عصوا عليّ؛ لأنّ دودهم لايموت، ونارهم لاتطفأ، ويكونون رذالة لكلّ ذي جسد)**[٥].

وفي كتاب أشعيا أيضًا: (**تحيا أمواتك تقوم الجثث استيقظوا ياسكان التراب)**[٦]، وفي مزامير داوّد: (**إذا سرتُ في وادٍ ظلّ الموت لا أخاف شرًّا؛ لأنّك أنت معي، ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقي، مسحت بالدهن رأسي، كأسي ريًّا، إنّما خير ورحمه يتبعاني كل أيام**

---

(١) دانيال، ١٢:٢.

(٢) حزقيل، ٣٧-١٢-١٣-٢٥.

(٣) الهاوية بمعنى «حياة القبر».

(٤) سفر صاموئيل الأوّل، ٢ : ٦.

(٥) سفر أشيعاء، ٦٦-٢٤.

(٦) أشيعاء الأول، ج٢٦- ١٩.

حياتي، وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيّام)[1].

وفي سفر التثنية: (**أليس ذلك مدّخرًا عندي، مختومًا عليه في خزائني، لي النقمة، وأنا أجازي، في الوقت المعين تزل أقدامهم، فيوم هلاكهم بات وشيكًا)**[2].

وإذا تأملنا في نكران عقيدة المعاد، أو إخفائها، وما يصير إليه الإنسان بعد الموت تأكّد لنا حجم التبديل، والتحريف الذي مارسه اليهود بكتاب الله (التوراة)، مع أنّ الأنبياء جميعًا بُعثوا ليدفعوا الناس إلى الإيمان بالله (المبدأ)، والإيمان بالمعاد، فلا يعقل أن تترك الشريعة الموسويّة، ومئات الأنبياء الذين بُعثوا إلى بني إسرائيل ما ينتهي إليه الإنسان بعد الحياة الدنيا، (وهو المنشأ الذي يقوّم أعمال الإنسان تقويمًا يحمله على ملازمة طريق السعادة، ولا يؤثر إثره أيّ شيء آخر من المعارف الأصلية، حتى التوحيد الذي ينتهي إليه كلّ أصل)[3].

الديانة المسيحيّة:

وهي شريعة عيسى ﷺ التي جاءت مكمّلة لرسالة موسى ﷺ ، ومصدّقة للتوراة، وموجّهة إلى بني إسرائيل، داعية لما دعا إليه الأنبياء والمرسلون قبله، والنصارى اليوم يؤمنون بكتاب يطلقون عليه (الكتاب المقدّس) الذي ينقسم على قسمين: العهد القديم - وقد تقدّم الكلام عنه-، والعهد الجديد: الذي يحتوي على الأناجيل الأربعة (متّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنّا)، وكذلك سِفر الأعمال، ورسائل بولس، والرسائل الجامعة، وسِفر الرؤيا.

وممّا يؤسف عليه أنّ رسالة عيسى ﷺ لم تسلم من التدخل البشريّ أيضًا؛ فقد انتقلت

---

(١) مزامير داود، ٢٣: ٤ - ٦٠٥.

(٢) سفر التثنية، ٣٢: ٣٥.

(٣) الميزان في تفسيرالقرآن، مصدر سابق، ج١٢ ص٢٧٨.

من رسالة منزلة من الله سبحانه إلى ديانة طالتها يد التحريف، وتضافر على إخراجها بالشكل الموجود اليوم بعض الكهّان، ورجال السياسة، حتى امتزجت ببعض المعتقدات الباطلة، والوثنية؛ ولكن تبقى هناك اعتقادات صحيحة، ومن هنا صدق القرآن الكريم بالإنجيل، ولكن في الجملة .

ثم إنّنا نجد الإنجيل في عقيدة المعاد وعالم الآخرة أكثر وضوحًا من التوراة في طرح هذه المسألة، فالأخبار والنصوص واضحة في أنّ هناك عالمًا آخرَ، وهناك حسابًا وثوابًا وعقابًا، وإن كانت هذه النصوص غارقة في الرمزيّة والسرّ؛ إذ نطالع في الإنجيل عبارات جاءت باسم (الموت، الهاوية، الدينونة، نهاية العالم، المطهر، الجحيم، جهنم، الفردوس).

وبحسَب عقيدة الكنيسة فإنّ لكلّ كلمة ممّا ذكرنا تفسيرًا لاهوتيًّا مبنيًّا على تعاليم الكتاب المقدّس، وإنّ عقيدة اليوم الآخر مبنيّة على انتظار مجيء السيّد المسيح الثاني، وقيامة الأموات على حسَب قول الملكين للتلاميذ عند صعود المسيح: (**إنّ يسّوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء**)[1].

(وإلى أن يأتي هذا اليوم فإنّ أرواح جميع الموتى المحسنين والأشرار ستذهب إلى مكان الانتظار، فأرواح الأبرار إلى الفردوس، وأرواح الأشرار إلى الجحيم، و الهاوية، والتي فسّرت الهاوية بأنها أرض اللعنات والرجسات، ومكان العذاب والعقاب للخطاة، وهو مكان مظلم مخيف، سكانه يشعرون؛ ولكنهم في وجود بليد جامد)[2].

(فالفردوس والجحيم هما مكان انتظار الأرواح في عالم البرزخ، أمّا الأجساد فهي على

(١) أعمال الرسل، ١ : ١١.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٠٧.

حالها راقدة حتى تتلاشى في القبور، وفي يوم القيامة تتحد الأرواح مع أجساد نورانيّة، وتنتقل إلى الفردوس إلى السموات الأبديّة حيث المسكن الأبدي مع الله)[١]، وسوف يخلعون الجسد المادّيّ إلى جسد نورانيّ كما قال بولس في رسالته: (**ليس ملكوت الله أكلاً وشربًا؛ بل هو برّ، وسلام، وفرح في الروح القدس)**[٢].

أمّا الجحيم فهو مكان انتظار الأرواح الشريرة؛ ولكن هذه الأرواح المحبوسة في عالم الانتظار تشعر بألم من جرّاء خوف العقوبة الدائمة التي يرتعبون منها، فقد جاء في إنجيل(لوقا) في قصّة (لعازر) الفقير والغني المتكبّر (**كان إنسان غنيّ، وكان يلبس الأرجوان والبزّ، وهو يتنعّم كلّ يوم، وكان مسكين اسمُه لعازر الذي طرح عند بابه مضروبًا بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني، فمات المسكين، وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الغنيّ أيضًا، ودفن، فرفع عينه في الهاوية (القبر) وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد، ولعازر في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم ارحمني، وأرسل لعازر؛ ليبلّ طرف إصبعه بماء، ويبرد لساني؛ لأنّي معذب في هذا، فقال إبراهيم: يا بني اذكر أنّك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا، وإن هو يتعزّى وأنت تتعذب، وفوق هذا كلّه بيننا وبينكم هوّة عظيمة قد أثبتت، حتى إنّ الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون، ولا الــذين من هنا يتجاوزون إلينا)**[٣].

أمّا جهنّم الأبديّة فهي غير منقطعة ففي إنجيل متّى: (**فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها، وألقها عنك؛ لأنّه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كلّه في**

(١) راجع المعنى في متّى، ٢٥-٣٤.
(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل أرومية،١٤: ١٧.
(٣) إنجيل لوقا، ١٦: ١٩..٢٦

جهنم)[١].

ومن هنا نرى أنّ الهاوية أو الجحيم - وهي حياة القبر، وعالم البرزخ - لها بداية ونهاية، أمّا جهنّم الآخرة فهي أبديّة (**فدودها لا يموت ونارها لا تطفأ**) [٢].

وبذلك تتلخّص لنا العقيدة المسيحيّة في الإيمان باليوم الآخر بما يأتي:

١- إنّ الروح تترك البدن عند الموت، فالبدن يرقد في التراب، أمّا الروح فلا ترقد[٣].

٢- إنّ الانسان المخلص تذهب روحه إلى السماء، وغير المخلص تذهب روحه إلى الجحيم، أو الهاوية، وهو مكان عذاب يعي ساكنوه شدّة وطأته[٤].

٣- وهناك العذاب الأبديّ (جهنم)، أو(بحيرة النار) حينما تتّحد الأرواح بالأجساد المقبورة في التراب؛ لتذهب إلى مكان الهالكين الأبديّ[٥].

---

(١) إنجيل متّى، ٥:٢٩.

(٢) إنجيل مرقس، ٩: ٣٤.

(٣) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس، ٥ - ٨.

(٤) إنجيل لوقا، ١٦: ٢٥.

(٥) سفر الرؤيا، ٢٠: ١١- ١٥.

المبحث الثاني

فــي حقيقة الروح

أولاً: تعريف الروح في اللغة.

ورد فـي لسـان العـرب: الـروح بالضـم: الـنفس، وفـي التهـذيب قـال الأنبـاريّ: الـروح، والنفس واحدة غير أنّ الروح مذكّر، والنفس مؤنّثة عند العرب، وفي التنزيل: ﴿ **وَيَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾، وتأويل الروح أنّه ما به حياة الأنفس[1].

وقـال الجـوهريّ: (الـروح يـذكّر ويؤنّـث، والجمـع: الأرواح، ويسـمى القـرآن روحًـا، وكذا جبرائيل، وعيسى عليهما السلام، وزعم أبو عبيدة أنّ العرب تقوله لكل شيء فيه روح)[2].

وفي قوله تعـالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾ روي عـن ابـن عبـاس أنّـه قـال: لكـل إنسان نفسان: إحداهما: نفس العقل الذي يكون بـه التمييـز، والأخـرى: نفـس الـروح الـذي بـه الحياة.

وقيل: الروح هو الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل، فإذا نام النائم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه، ولا يقبض الروح إلا عند الموت ....، وسمّيت النفس نفسًا لتولّد

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ج٢ ص٤٦٢.

(٢) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ج١ ص٣٦٧.

النفس منها، واتصاله بها، كما سموا الروح روحًا؛ لأنّ الروح موجود به، وقال الزجاج: لكل إنسان نفسان: إحداهما نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل بها يتوفاها الله كما قال الله تعالى، والأخرى نفس الحياة، وإذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس، قال وهذا الفرق بين توفي نفس النائم في النوم، وتوفي نفس الحي؛ قال: ونفس الحياة هي الروح، وحركة الإنسان، ونموه يكون به[1].

وهذا المعنى اللغويّ هو الشائع عند أكثر أهل اللغة، ولم نجد فيه خلافًا ظاهرًا.

ثانياً: معنى الروح.

لاشكّ في أنّ البحث في حقيقة الروح قد شغل الفلاسفة والحكماء والمشرعين، وقد جرت محاولات كثيرة من العلماء، والمفكرين، وتعدّدت النظريات والآراء في البحث عن ماهيّة الروح وحقيقتها، وأنّها هل تعد من الأعراض أو من الجواهر المجرّدة ؟، وهل هي قديمة أو حادثة ؟، وهل هي خالدة أو يعتريها الموت، والفناء ؟، وغير ذلك من الأبحاث، إلا أنّ حقيقتها -إلى جانب كل ذلك -بقيت غيبية مجهولة، فلم يستطع العقل البشري الوصول إلى معرفة كنهها؛ وذلك لغموضها، ولهذا كل ما صدر ويصدر من النظريات والآراء في هذا الموضوع يبقى في حدود الأُمور الظنيّة، والذوقيّة.

قال الشيخ الصدوق في رسالة العقائد: (اعتقادنا في النفوس أنّها هي الأرواح التي بها الحياة، وأنّها الخلق الأول، لقول النبي ﷺ: (**إن أول ما أبدع الله سبحانه وتعالى هي النفوس المقدّسة المطهّرة، فأنطقها بتوحيده، ثم خلق بعد ذلك سائر خلقه**)، واعتقادنا فيها

(١) انظر: لسان العرب، مصدرسابق، ج ٦ ص ٢٣٥.

أنّها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لقول النبي ﷺ: (**ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء، وإنّما تنقلون من دار إلى دار**)، **وأنّها في الأرض غريبة، وفي الأبدان مسجونة،** واعتقادنا فيها أنّها إذا فارقت الأبدان فهي باقية، منها منعّمة، ومنها معذّبة، إلى أن يردّها الله تعالى بقدرته إلى أبدانها، والاعتقاد في الروح أنّه ليس من جنس البدن، فإنّه خلق آخر لقوله: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[1].

وقال الشيخ المفيد رضي الله عنه في شرحه على العقائد: «كلام أبي جعفر الصدوق في النفس، والروح على مذهب الحدس دون التحقيق»[2].

ثم قال رضي الله عنه: «فأمّا الروح فعبارة عن معانٍ أحدها الحياة، والثاني القرآن، والثالث ملك من ملائكة الله تعالى، والرابع جبرائيل ...»إلخ الكلام[3].

وذكر الطبرسي في مجمع البيان أوجه الاختلاف في الروح، إذ قال: (واختلف العلماء في ماهيّة الروح، فقيل: إنّه جسم رقيق هوائيّ، متردّد في مخارق الحيوان، وهو مذهب أكثر المتكلمين، واختاره الأجل المرتضى، علم الهدى رضي الله عنه. و قيل: جسم هوائيّ على بنية حيوانيّة في كل جزء منه حياة، عن علي بن عيسى قال: فلكلّ حيوان روح وبدن، إلاّ أنّ منه من الأغلب عليه الروح، ومنه من الأغلب عليه البدن. وقيل: إن الروح عرض . ثم اختلف فيه فقيل: هو

(١) الاعتقادات في دين الإمامية، محمد بن علي الصدوق، ص٤٧ .

(٢) لعل منشأ الإشكال عند الشيخ المفيد «رض» على الشيخ محمد بن علي الصدوق، هو في خلق الأرواح قبل الأجساد، والذي يعتقده الشيخ الصدوق على وفق الأخبار، وقد أنكر الشيخ المفيد ذلك، ونسب هذا القول إلى الحشوية، وأهل التناسخ، وكذا استدراكه على قول الشيخ الصدوق من أن الأرواح خلقت للبقاء لاللفناء، والذي يعتقد الشيخ المفيد أن هذا القول مخالف لصريح القرآن القائل بهلاك كلّ شيء إلاّ وجهه.

(٣) تصحيح اعتقادات الإمامية، محمد بن محمد المفيد، ، ص١٥ ، باب الاعتقاد في النفوس والأرواح.

الحياة التي يتهيّأ به المحل؛ لوجود القدرة، والعلم، والاختيار، وهو مذهب الشيخ المفيد، والبلخيّ، وجماعة من المعتزلة البغداديين. وقيل: هو معنًى في القلب، عن الأسواري. وقيل: إنّ الروح الإنسان، وهو الحي المكلّف، عن ابن الإخشيد، والنظّام. وقال بعض العلماء: إنّ الله تعالى خلق الروح من ستّة أشياء: من جوهر النور، والطيب، والبقاء، والحياة، والعلم، والعلو، ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيًّا يبصر بالعينين، ويسمع بالأذنين، ويكون طيّبًا، فإذا خرج من الجسد نتن الجسد، ويكون باقيًا، فإذا فارقه الروح، بلي وفني، ويكون حيًّا وبخروجه يصير ميتًا، ويكون عالمًا، فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئًا، ويكون علويًّا لطيفًا توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ وأجسادهم قد بليت في التراب)[1].

وقال الشيخ البهائي ﵁: (والذي عليه المحققون من أنها (الروح) غير داخلة في البدن بالجزئية، والحلول؛ بل هي منزّهة عن صفات الجسميّة وتعلّقه بالجسم تعلّق التدبير والتصرف فقط، وهو مختار أعاظم الحكماء الإلهيين، وأكابر المتصوفة، والإشراقين، وعليه استقر رأي أكثر المتكلمين من الإمامية كالشيخ المفيد، وابن نوبخت، والمحقق نصر الدين الطوسيّ، والعلامة جمال الدين، ومن الأشاعرة الراغب الأصفهانيّ، والغزاليّ، والفخر الرازيّ، وهو المذهب المنصور الذي أشارت إليه الكتب السماويّة، وعضّدته الدلائل العقليّة، وأيّدته الإمارات الحدسيّة، والمكاشفات الذوقيّة)[2].

---

(١) مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، ج٦ ص٢٨٩.

(٢) شرح أصول الكافي، للمازندراني، ج٦ ص٧٠.

وفي تعدّد مراتب الروح قال العلامة الطباطبائي(رض): (إنّ الروح خلق من خلق الله، وهو حقيقة واحدة، ذات مراتب ودرجات مختلفة، منها ما في الحيوان، وغير المؤمنين من الإنسان، ومنها ما في المؤمنين من الإنسان؛ قال تعالى: ﴿**وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾، ومنها ما يتأيد به الأنبياء والرسل، ﴿**وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾)[1].

وقيل: (الروح هي نفسك، وحقيقتك، وهي أخفى الأشياء عليك، وأعني بنفسك روحك التي هي خاصّة الإنسان المضافة إلى الله تعالى بقوله: ﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾[2]وقوله: ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ﴾[3] دون الروح الجسمانيّ اللطيف الذي هو حامل قوة الحس، والحركة، الذي ينبعث من القلب، وينتشر في جملة البدن، فيفيض منها نور حس البصر على العين، ونور السمع على الأذن، وكذا سائر القوى والحواس، كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت إذا أدير في جوانبه، فإن هذه الروح يشارك البهائم فيها، وينمحق بالموت، فإذا اختل المزاج بطل كما يبطل النور الفائض من السراج عند إطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه، أو بالنفخ فيه، وهذه هي الروح التي يتصرّف في تعديلها، وتقويتها علم الطب، ولا يحمل هذه الروح المعرفة والأمانة بل الحمّال للأمانة الروح الخاصّة للإنسان، ونعني بالأمانة تقلد عهدة التقليد بالتعرّض لخطر الثواب والعقاب، بالطاعة، والمعصية، وهذه الروح لا يموت، ولا يفنى بل يبقى بعد الموت، أمّا في نعيم وسعادة، أوجحيم وشقاوة، فإنّه محل المعرفة، والتراب لا يأكل محل المعرفة والإيمان أصلاً نطقت به الأخبار، وشهدت شواهد الاستبصار،

---

(١) تفسير الميزان، مصدر سابق ج١٢ ص٢٠٧.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) الحجر: ٢٩.

ولم يأذن الشرع في تحقيق صفته؛ إذ لا يتحمّله إلا الراسخون في العلم - ثم ذكر- أنّ هذه الروح لا تفنى البتة، ولا تموت؛ بل يتبدّل بالموت حالها فقط، ويتبدّل منزلها فيترقّى من منزل إلى آخر، والقبر في حقّها إمّا روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران؛ إذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن، واقتناصها أوائل المعرفة به بوساطة شبكة الحواس، فالبدن آلتها، ومركبها، وشبكتها، وبطلان الآلة، والمركب، والشبكة لا يوجب بطلان الصائد؛ نعم: إن بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانه غنيمة؛ إذ يتخلّص من ثقله وحمله، ولذلك قال : (الموت تحفة المؤمن)، وإن بطلت الشبكة قبل الصيد عظم فيه الحسرة، والندامة، والألم؛ فلذلك يقول المقصّر: ربِّ أرجعون لعلّي أعمل صالحًا)[١].

ملخص الأقوال، والنظريات في العلاقة بين الروح، والبدن:

١- النفس جسمانيّة الحدوث جسمانيّة البقاء، ولا مجال للتجرّد فيها، حيث إن النفس متحدةٌ مع الجسد اتحادًا كليًّا جوهريًّا، وهذه مقالة الماديين: (**إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين**)[٢].

٢- النفس روحانيّة الحدوث والبقاء، وهذه النظريّة المعروفة بثنائية الروح، والجسد، إذ أن الوجود الإنساني يتركب من نفس وبدن، وأنّ بينهما تنافر ذاتي، وأنّ هذه النفس إنّما هي مسجونة في البدن؛ لأنّها نزلت إليه من المحل الأرفع، فليس البدن إلا آلة لإعمالها، فعندما يُفاض على الوجود الجنينيّ الماديّ الروح دفعة واحدة تكون هذه الروح مجردة عن المادة وقوانينها بالأصالة.

---

(١) جواهر القرآن، الغزالي، ص٤٠٩.

(٢) المؤمنون ٣٧.

وقد آمن بهذه النظرية إفلاطون، وأرسطو من الفلاسفة القدماء، كما آمنت به المدرسة المشائيّة، والكثير من فلاسفة الإسلام، كالرئيس ابن سينا، وكثير من علماء، ومتكلمي الإماميّة .

٣- إنّ النفس جسمانيّة الحدوث روحانيّة البقاء، وقد شيّد قواعدها مؤسّس مدرسة الحكمة المتعالية ملا صدرا الشيرازيّ، وذلك على وفق نظريتة الحركة الجوهرية، وهي تعد من أعظم إبداعاته الفلسفيّة، وقد مال أكثر العلماء المتأخّرين إلى معنى جسمانيّة حدوث الأجساد، وروحانية بقائها.

وقبل الخوض في الرأي الثالث الذي طرحة ملا صدرا لابد من بيان معنى الحركة الجوهرية الذي يبتني عليه القول بجسمانية حدوث النفس .

معنى الحركة الجوهرية:

إن الفلاسفة من الفريقيين المشاء أو الإشراقيين يعتبرون الحركة مختصّة بالأعراض، والأعراض: عبارة عن ماهيّة مستقلّة بحسب مفهومها، لا بحسب وجودها؛ إذ هو بحاجة في وجوده إلى الوجود في غيره فلا يوجد إلا في موضوع، ومثال ذلك: اللون الذي يمتلك معنًى مستقلاً بذاته عقلاً، إلا أنه في الخارج لا ينفكّ عن الحلول في جسم ما، ومثال الأعراض (الأين، والكيف، والكم، والوضع)، أمّا الجوهر فيعرف على أنّه (الموجود لا في موضوع) وهو ماهيّة مستقلّة بمفهومها، ووجودها؛ ومثاله الجسم كما في المثال السابق.

ومن هنا قالوا: إنّ وقوع الحركة في الجوهر من المستحيلات، وتنحصر الحركة في الأعراض؛ ومثال ذلك حركة الجسم، وتغيّر مكانه، فهذا من مقولة (الأين)، ونمو هذا

الجسم وزيادته كما في نمو الأنسان، والحيوان، فهذه من مقولة (الكم)، وحركة الأرض، ودورانها حول نفسها، وحول الشمس من مقولة (الوضع)، وتحوّل ثمرة التفّاح من اللون الأخضر، إلى الأصفر، إلى الأحمر من مقولة (الكيف)، فإنّ في جميع هذه الموارد توجد ذات ثابتة (وهو الجوهر)، والذي يتحرّك هو عوارضها، وصفاتها فقط، أمّا إذا قلنا: إنّ الذات تتغير (ثمرة التفاح) كما في المثال فإنّ هذه الحركة ستكون بلا محرِّك، وهو أمر غير معقول، ومستحيل؛ ولذا قالوا: إنّ الحركة لا تتصور في ذات الشئ وجوهره؛ بل في أعراضه فقط.

أمّا صدر المتألّهين فإنّه قال بإثبات الحركة الجوهريّة، حيث شيّد دعائمها، وبناها، ودافع عنها بقوة حتى سُجِّلت باسمه، فصارت تسمّى بـ(النظرية الصدرائيّة)؛ إذ أثبت أن الجواهر في حالة حركة وخلق مستمر فليست الأعراض في حالة حركة وخلق مستمر فقط، وإنما الجواهر أيضًا.

وبهذا المعنى فإنّ الحركة الجوهريّة تعني:(إن كل ذرات الكائنات، وعالم المادة في حركة دائبة، أو بتعبير آخر: إن مادة الأجسام وجود سيال متغيّر الذات دائمًا، وفي كل لحظة له وجود جديد يختلف عن الوجود السابق له؛ ولكون هذه التغيرات متصلة مع بعضها فإنّها تحسب شيئًا واحدًا، وبناء على هذا فإنّ لنا في كل لحظة وجودًا جديدًا، إلا أنّ هذه الوجودات متّصلة ومستمرة ولها صورة واحدة، أو بتعبير آخر: إنّ المادة لها أربعة أبعاد

(طول، وعرض، وعمق، وأما البعد الآخر فهو ما نسميه(الزمان)، وهذا الزمان ليس بشيء إلا مقدار الحركة في الجوهر)[١].

وقد جاء ملا صدرا بمؤيِّدات قرأنيّة على نظرية الحركة الجوهرية؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[٣].

وقوله تعالى في تبدّل طبيعة الأرض: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾[٤].

وقد أقام ملا صدرا الأدلة والبراهين العقلية المتينة؛ لإثبات وقوع الحركة في الجواهر، ولسنا الآن بصدد ذكر تلك الأدلّة بتفاصيلها، ولكن من باب الإشارة إلى هذا المطلب نذكر ثلاثة أدلّة بنحوٍ مختصَر:

١- إن جوهر الشيء الموجد للحركة لا محالة يجب أن يكون متحرّكًا بذاته، لا بل يجب أن يكون عين التحول والحركة ذلك لمطابقته الأصل الفلسفيّ، وهو أن كلّ معلول متغيّر فله علّة متغيّرة، وكل معلول ثابت فعِلّته ثابتة. فإذا كان الجوهرعلّة لحركة العرض فعلة الحركة يجب أن تكون متحرّكة. إذًن يجب التصديق بأن الجوهر متحرّك ذاتًا.

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم الشيرازي: ج١٧، ص١٦٠.

(٢) ق ١٥.

(٣) النمل ٨٨.

(٤) ابراهيم ٤٨.

٢- وأيضًا من الأدلّة على وقوع الحركة في الجوهر (هو أن الأعراض من شؤون وجود الجوهر، وعلامات على تشخّصه، وتحولها يصبح علامة على التحول في ذات الجوهر)[1].

٣- إنّ كل موجود جسمانيّ فله بُعد، وامتداد متصرمٌ، وأجزاء موزّعة على بساط الزمان، فما لم ينعدم جزء بالقوة منها فإن الجزء الآخر لا يوجد، وهذا هو معنى الحركة الجوهريّة، وهذا أتقن الأدلّة كما ذكر العلامة اليزدي [2].

وقد أسهمت هذه النظرية بوضع حلول لكثير من المسائل الفلسفيّة، والعقائديّة المعقّدة والمستعصية، كما في مسائل التوحيد، والنفس، والمعاد، وغير ذلك. وسيمر عليك في أثناء البحث التفسيرات العميقة لنظرية الحركة الجوهرية في بعض مسائل عالم البرزخ.

وبالعودة إلى رأي ملّه صدرا في النفس من أنها جسمانيّة الحدوث روحانية البقاء وذلك على وفق نظريته في الحركة الجوهرية؛ إذ قال ﵀: (إنّ هذه النفوس حادثة بحدوث الأبدان؛ إذ قد ظهر أنّها متجدّدة مستحيلة من أدنى الحالات الجوهريّة إلى أعلاها، ولو كانت في ذاتها قديمة (أي غير حادثة بحدوث البدن)؛ لكانت كاملة الجوهر

(١) المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمد تقي مصباح اليزدي: ج٢، ص٣٥٨.

(٢) المصدر السابق.

فطرةً وذاتًا، فلا يلحقها نقص، وقصور، ولو لم تكن في ذاتها ناقصة الوجود لم تكن مفتقرة إلى آلات وقوًى، بعضها نباتيّة وبعضها حيوانيّة)[١].

فتكون الرابطة بين الروح، والبدن رابطة ذاتيّة، وطبيعية. فكما أن تلازم الفاكهة والشجرة تلازم طبيعيّ، فالروح، والبدن يملكان هكذا ارتباطًا طبيعيًّا وذاتيًّا أيضًا، ولا يمكن أن تكون الرابطة بينهما صناعيّة، وعرضيّة. فلكلّ بدن روح متعلّقة به، أُوجِدَتْ إيجادًا متناسقًا معه، وتتبع الحركة المادية لذلك البدن، على هذا، لا يجب الظن بأن لكلّ شخص روح ترافقه من بداية العمر حتى نهايته، فالواقع ليس هذا؛ لأنّ الروح كالبدن تحصل على الكمال، والفعلية بالتدريج، وتتكامل بمساعدة مكتسباتها، وأفعالها.

فما أبعد رأي من زعم أن النفس بحسب جوهرها، وذاتها شيء واحد من أوّل تعلّقها بالبدن إلى آخر بقائها، وقد علمت أنها في أول الكون لا شيء محض، كما في الصحيفة الإلهية: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً**﴾، وعند استكمالها تصير عقلًا فعّالًا)[٢].

وانطلاقا من هذه النظرية فإن النفس، أو الروح هي وليدة المادّة، والبدن، وليس لها وجود سابق على البدن، حيث أن المادة لديها الاستعداد - على وفق مبدأ الحركة - أن تولّد موجودًا غير ماديٍّ، وهو الروح، أي إن النفس سوف لن تحتاج البدن في بقائها، واستمرارها، حيث تصل إلى مرحلة التجرّد بعد خَلْعٍ ولبسٍ متعدّدَين.

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، صدر الدين الشيرازي ج٨ ص٣٣٠.

(٢) مقالة للدكتور رضا أكبريان، (الحركة الجوهرية ونتائجها الجوهرية ٥)،مجلة معهد المعارف الحكمية.

واستُدلّ على هذا النظرية بالوحي؛ قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾[١].

يقول الله تعالى في هذه الآيات: لقد خلقنا الإنسان من طين خالص، ومن هنا فإنّ الطين هو أصل خلقة الإنسان، ومعلوم أنّ الطين جسم، فحدوث الإنسان - إذاً - قد شرع من الطين وهو جسم.

ثمّ إنّا بعد خلق الإنسان من طين، جعلنا ذلك الإنسان الطينيّ نُطفة، ويلاحظ هنا أ نّه قد تحوّل إلى جسم أيضًا؛ إذ إنّ النطفة جسم، أي أنّ جسمًا قد تبدّل في هذه المرحلة إلى جسم آخر.

ثمّ إنّا جعلنا النطفة علقةً، وفي هذه المرحلة أيضًا تبدَّل جسمٌ إلى جسمٍ آخر، ثمّ إنّا جعلنا العلقة مُضغة من اللحم، وهنا أيضًا حصل تبدّل جسم إلى جسم آخر، ثمّ جعلنا تلك المُضغة عظامًا، وتتكرّر هنا مقولة تبدّل جسم إلى جسم آخر، ثمّ إنّ الله تعالى كسى العظام لحمًا، فقال: ثمّ أنشأنا الإنسان خلقًا آخر، أي إنّا جعلنا هذا الإنسان الجسميّ روحانيًّا، فتبدّلت حقيقة هذه الأجسام المادّيّة إلى نفس إنسانيّة ناطقة.

---

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ١٢- ١٤.

إذًا المادّة تُزاح جانبًا في ﴿ثُمَّ أَنشأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، وتتبدّل تلك المادّة إلى نفس مجرّدة.

ويحصل هذا التغيّر بوساطة الحركة الجوهريّة فقط، حيث تحرّك جوهر سلالة الطين، فصار نطفةً، ثمّ تحرّكت النطفة في جوهرها فأضحت علقةً، ثمّ تحرّكت العلقة في جوهرها، فغدت مُضغة، ثمّ تحرّكت المغضة في جوهرها فاستحالت عظامًا، ثمّ إنّ العظام المكسوّة باللّحم تحرّكت في ذاتها، وجوهرها، فصارت نفسًا ناطقة، وروحاً آدميّةً. وفي جميع هذه المراحل كانت هناك حركة الجوهر في المادّة، وها هي المادّة قد تحرّكت فبلغت مرحلة التجرّد ومرحلة الروح)[1].

وقد يقال: إن نظرية (النفس جسمانية الحدوث) تتعارض مع الأخبار، والروايات الكثيرة التي دلّت على أنّ الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفي عام .

فقد روي عن أبي عبدالله عليه السلام: إن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو مع أصحابه، فسلّم عليه، ثم قال : أما والله أحبك وأتولاك ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **(ما أنت كما قلت، ويلك إن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، عرض علينا المحبّ لنا، فو الله ما رأيت روحك فيمن عُرض علينا، فأين كنت ؟ فسكت الرجل عند ذلك ولم يراجعه)**[2].

(١) نور ملكوت القرآن، السيد محمد الحسيني الطهرانيّ، ج ٤ ص١٧– ١٨.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٥٨، ص ١٣٨، نقلاً عن بصائر الدرجات.

وكذلك عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (**إن الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها في الميثاق ائتلف ههنا، وما تناكر منها في الميثاق اختلف ههنا، والميثاق هو في هذا الحجر الأسود**)[1].

وعنه عليه السلام قال: (**إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلة قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف**)[2]، إلى غير ذلك من الأخبار.

وقد ناقش الشيخ المفيد قدس سره في أجوبة المسائل السرويّة في صدور الروايات، ودلالاتها في المعنى المذكور، فقال: فأمّا الخبر بأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامة، كما روته الخاصة ، وليس هو مع ذلك مما يقطع على الله بصحته، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أن الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد، واخترع لها الأرواح، فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم، كما قدّمناه، وليس بخلق لذواتها كما وصفناه، والخلق لها بالأحداث، والاختراع بعد خلق الأجسام، والصور التي تدبّرها الأرواح .

ولولا أن ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها، ولا تحتاج إلى آلات تعلقها، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأرواح قبل خلق الأجساد، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد ، وهذا محال لاخفاء بفساده .

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٩.

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج ١ ، ص ٨٠.

وأمّا الحديث بأن الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فالمعنى فيه أن الأرواح التي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس، وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتفاق الرأي، والهوى ائتلف، وما تناكر منها بمباينة في الرأي، والهوى اختلف، و هذا موجود حسًّا ومشاهد، وليس المراد بذلك أن ما تعارف منها في الذّرّ ائتلف، كما ذهبت إليه الحشويّة كما بيناه من أنه لاعلم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم، ولو ذُكر بكل شيء ما ذكر ذلك)[1].

وقد ذكر العلامة الطباطبائيّ في حاشيته على البحار بعد ذكر الروايات القائله بخلق الأجساد بألفي عام قبل الأبدان، وذلك للتوفيق بين الروايات المتقدّمة، وبين القول بجسمانيّة النفس حدوثًا، وروحانيتها بقائًا؛ إذ قال: (وهناك أمر يتعلّق بمعرفة شؤون النفس، يستعصي على الأذهان المتوغّلة في المادّيات، ولعلّ إجادة التأمّل فيه يعين على حلّ العويصة، وهو: أنّ النفس وإن كانت أمرًا متعلّقًا بالمادّة، بل ناشئًا عنها ومتّحداً بها، وبهذا الاعتبار صحّ مقايستها بالحوادث، واتصافها بالمقارنة، والتقدّم والتأخر زمانًا، إلاّ أنّها حينما تدخل في حظيرة التجرّد، تجد نفسها محيطة بالبدن، من ناحية البدء والنهاية، وأنّ شعاعها يمتد إلى ما قبل حدوث البدن، كما أنّه يمتدّ إلى ما بعد انحلاله.

فالذي ينظر إلى جوهرها المجرّد، من فوق عالم الطبيعة، يجدها خارجة عن وعاء الزمان محيطة به، وإذا قايسها إلى ظاهرة مادّية، واقعة في ظرف الزمان كالبدن، يجدها موجودة معها، وقبلها، وبعدها، فيصحّ له أن يحكم بتقدّم وجودها على وجود البدن، مع أنّ من ينظر إليها من نافذة عالم المادّة، ويعتبرها أمرًا متعلّقًا بالبدن؛ بل مرتبة

(1) بحار الأنوار ، ج58 ص144، نقلاً عن أجوبة المسائل السروريّة للشيخ المفيد ﭭ .

كاملة له، انتهى إليها بالحركة الجوهريّة، وبهذا الاعتبار يسمّيها نفسًا، يحكم بحدوثها عند حدوث البدن، وحصول التجرّد لها بعد ذلك ، ولا منافاة بين النظرين، وبهذا يمكن الجمع بين القولين .

وممّا ينبغي الالتفات إليه، أنّ في تقدّم خلق الأرواح على الأبدان بألفي عام ـ على حدّ التعبير الوارد في الروايات ـ لم يعتبر كلّ روح إلى بدنه، بحيث يكون خلق كلّ روح قبل خلق بدنه، بألفي عام كامل لا أزيد ولا أنقص، وإلاّ لزم عدم وجود جميع الأرواح في زمن علي عليه السلام، فضلاً عمّا قبله، ضرورة حدوث كثير من الأبدان بعد زمنه بآلاف السنين، ولا يبعد أن يكون ذكر الألفين لأجل التكثير، وتثنية الألف للإشارة إلى التقدّم العقلي، والمثالي)[1].

النفس والروح:

واختلف في أمر النفس والروح أهما شيءٌ واحد، أم شيئان؟، والتي يتوفّاها الله تعالى عند موتها، أو حين نومها المسؤولة، الممتحنة، المعذبة، والمعاقبة في البرزخ، والحشر، هل هي النفس أو الروح أو كلاهما ؟، وهذا الاختلاف الكبير أدّى إلى أن يؤلف في المسألة (الف قول كما قيل)[2].

فقالت طائفة: إنّ النفس والروح واحدة، (والفرق بينهما فرق بالصفات لافرق بالذات)[3]، وقال آخرون: إن النفس هي (الروح، وهي العقل تسمى نفسًا باعتبار ميلها إلى

---

(١) المصدر السابق، ص١٤١، الهامش .

(٢) فيض القدير، المناوي، ج٤ ص٦١١ .

(٣) الروح، ابن القيم الجوزية، ص٢٩٢.

الملاذ والشهوات، وروحًا باعتبار تعلقها بالجسد تعلق التدبير بإذن الله، وعقلاً باعتبار كونها محصلة للعلوم، فصار لها ثلاثة أسماء باعتبار ثلاث أحوال والموصوف واحد)[١].

وقالت طائفة أخرى: (إنّ النفس غير الروح، فإن الروح لاهوتيّة، والنفس من عالم الناسوت، وقوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد، والهوى، والشهوة، والبلاء معجون فيها، ولا عدوَّ أعدى لابن آدم من نفسه لا تريد إلا الدنيا، ولا تحب إلا إياها، والروح تدعو إلى الآخرة، وتؤثرها، وجعل الهوى تبعًا للنفس، والشيطان تبعًا للنفس والهوى، والملك مع العقل والله تعالى يميزها بإلهامه، وتوفيقه)[٢].

وذكر آخرون: (إنّ في ابن آدم نفس، وروح، بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس هي التي لها التمييز، والروح هي التي بها النفس والحركة، فإذا نام العبد قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه)[٣].

وقيل: (إن النفس التي تتوفى وفاة الموت هي التي يكون فيها الحياة، والحركة، وهي الروح، والنفس التي تتوفى في النوم هي النفس المميزة العاقلة)[٤].

قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: (الروح هي مابه الحياة، وقد تطلق على النفس أيضًا؛ قلت: ويؤيد هذا الفرق مارواه العياشي عن الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ**

(١) مواهب الجليل، الخطاب الرعيني، ج١ ص٢٦٠.
(٢) عمدة القارى، العيني، ج١٩ باب ٣١.
(٣) تفسر الثعلبيّ، ج٥ ص٧٨.
(٤) مجمع البحرين الطريحيّ، ج٤ ص٥٢٨.

﴿الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]، قال: **(ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء، وبقيت روحه في بدنه، وصار بينهما سبب كشعاع الشمس، فإن أذن الله في قبض الروح أجابت الروح النفس، وإن أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح)**[٢].

أمّا في ضوء نظرية الحركة الجوهريّة، فإنّ النفس وليدة عالم الطبيعة، وبوساطة الحركة الجوهريّة تبدأ بالتّحرّر من هذا العالم، غيرأنّها ما دامت في هذا العالم، ولم تنفصل عنه بموت اخترامي، أو طبيعيّ، فهي نفس ذات بدن؛ ولكن بمجرد استقلالها، وخروجها عن البدن ينعدم البدن، وتنعدم هي أيضًا، غير أن انعدام النفس مختلف عن انعدام البدن، إذ إن النفس بمجرد خروجها عن عالم الطبيعة، واستقلالها عن المادة تفقد وجهتها الطبيعية، وبعدها لن تتعامل مع الطبيعة، ولن يكون هناك منشأ لإطلاق عنوان النفس عليها؛ لأنّ تسمية النفس بهذا الاسم كان بسبب اهتمامها بعالم الطبيعة، واستفادتها منه، وتكاملها بوساطة الحركة الجوهريّة فيه، فإذا انقطعت هذه الصلة، والارتباط انقلبت النفس إلى موجود مجرّد روحانيّ البقاء[٣].

ولابن أبي الحديد المعتزليّ كلمات رائعة في غموض النفس حيث قال:

(قد حار في النفس جميع الورى

والفكر فيها قد غدا ضائعا

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٥٢١.

(٣) انظر: المعاد في نظر الإمام الخميني ﷺ، ص ١٠٣.

وبرهن الكلّ على ما ادّعوا

وليس برهانُهُمُ قاطعا

من جهل الصنعة عجزا فما

أجدره أن يجهل الصانعا)[١].

ثالثًا: النفس والروح في القرآن الكريم.

القرآن الكريم تارة يستخدم مصطلح النفس، وأُخرى مصطلح الروح، ولكلٍّ من هذين الاصطلاحين معنًى خاص به ، فقد أسند الشر إلى النفس في أكثر من آية، بينما نجد القرآن في جميع الآيات التي تحدّث فيها عن الروح قد أسند إليها جانب الخيرفقط، وقد يقال: إنّ عدم إسناد الشرّ إليها؛ لأجل أن القرآن قد فصّل في أمر النفس ما لم يفصّله في أمر الروح ، ولكنّ الصحيح عدم إسناد الشرّ إليها؛ لأنّ الروح منزّهة عن الخطأ، فهي من أعظم مخلوقات الله تعالى، والتي خلقها من نوره، وجاءت مضافة إليه تعالى، فهي الجانب المضيء المتصّل بالله تعالى مصدر الفيض؛ ولذا لايمكن إلا أن نقول: إنها مجردة من سنخ أمر الله تعالى، أمّا إدراك حقيقتها، وكيفيتها، فهذا مما يحتاج إلى علم شهوديّ وهو لا يتسنّى لأكثر البشر؛ لأنّها من الأسرار الإلهية .

النفس في القرآن الكريم:

إنّ مِمّا يتميز به أفراد البشر بعضهم عن بعضهم الآخر هي تلك الماهيّة نفسها التي تقبل التغيير والتكامل، فالتي تقف في محكمة العدل الإلهي في الحساب سواءً في الحشر

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٣ ص٥٣.

البرزخيّ أم القيامة إنّما هي النفس بما تشتمل عليه من الأحاسيس، والميول، والرغبات، والعواطف، والآمال، والشهوات، وجميع تجارب الحياة، وبنحو عام ما يؤلف شخصيّة الإنسان إنّما تكون هي المسؤولة عن جميع التصرفات، والسلوكيات.

وقد ورد ذكر النفس في القرآن الكريم في أكثر من سبعين آية نلاحظ منها:

أولاً: إنّ التكليف يقع عليها: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾[1].

ثانيًا: إنّها المسؤولة عن الأعمال: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾[2].

وقوله: ﴿ **وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾[3].

ثالثًا: إنّها الملهمة للفجور والتقوى: ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾[4].

رابعًا: يقع الموت عليها وتذوقه: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[5].

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) البقرة: ٢٨١.

(٣) الماعون: ٢٥.

(٤) الشمس: ٨.

(٥) آل عمران: ١٨٥.

وقوله: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾[1].

خامسًا: ذُكرت للنفس مراتب متعددة بحسب اختلاف أحوالها؛ منها:

النفس الأمّارة: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[2].

النفس اللّوّامة: ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾[3].

النفس المطمئنة: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴾[4].

النفس الراضية المرضيّة: ﴿ **ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[5] وقد قيل بوصول النفس إلى مرتبة النفس المرضيّة سوف تكتسب صفات الروح.

الروح في القرآن الكريم:

أمّا الرّوح فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من خمس عشرة آية، بمعانٍ شتّى نذكر منها.

---

(١) الزمر: ٤٢.
(٦) يوسف٥٣.
(٣) القيامة ١-٢.
(٤) الفجر ٢٧.
(٥) الفجر ٢٩-٣٠.

١- سبب الحياة وسرها، وهي من نور الله تعالى؛ إذ قال سبحانه: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[٢].

٢- بمعنى جبرائيل عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾[٣]، وقوله:﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ**﴾[٤].

٣- مخلوق أعظم من الملائكة قال تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾[٥].

٤- الإيمان في قوله تعالى: ﴿**وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾[٦].

٥- الوحي والنبوّة في قوله تعالى: ﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾[٧].

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) الحجر: ٢٩.

(٣) البقرة: ١٩٣-١٩٤.

(٤) النحل: ١٠٢.

(٥) القدر: ٤.

(٦) المجادلة: ٢٢.

(٧) النحل: ٢.

٦- بمعنى عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾[1].

والملاحظ في كلمات القرآن الكريم أنّها قرنت التوفي، والإرسال، والنزع، والإخراج، وغيرها من الألفاظ الدالة على الموت بالنفس؛ كما في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾، وقوله: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾، ولم نجد في آية أنّه تعالى قرن الموت بالروح، وفي ذلك دلالة على أنّ النفس لا تطلق على الجسد إلا بوجود الروح فيه. نعم: يمكن أن تطلق النفس ويراد بها الروح، ولكن لاتطلق الروح مجرّدة فيراد بها النفس؛ لأنّ الروح لا يعرف حقيقتها إلاّ الله تعالى.

(١) النساء: ١٧١.

المبحث الثالث

المعاد الجسمانيّ والرّوحانيّ

من المسائل التي وقع فيها الخلاف في مبحث المعاد كيفيّة الحشر؛ هل هو جسمانيّ محض، أو روحانيّ محض، أو إنهما معًا ؟، وسوف نطرح هنا ما يتوقف عليه البحث من دون الغور في تفاصيله الدقيقة؛ إذ يكفينا مؤونتها مراجعة ما كُتب فيها من أبحاث كلاميّة، وفلسفيّة مفصلة.

مع لحاظ أنّ إثبات المعاد الجسمانيّ في الحشر الأخرويّ يمكن أن يثبت لنا الحشر الجسمانيّ في البرزخ، ولكن بصفته المثاليّة والعكس صحيح، فإذا كان المعاد الأخرويّ روحانيّ محض، فيكون الحشر البرزخيّ هو الآخر روحانيّ محض.

الأقوال في المسألة:

القول الأوّل: المعاد الروحانيّ المحض.

ذهب جمهور الفلاسفة، وأتباع المدرسة المشّائيّة إلى أنّ المعاد روحانيّ فقط؛ لأنّ المعاد يعني عودة الأرواح إلى الله، وليس عودة الأرواح إلى الأجساد؛ إذ لا معنى له بعد أن أمكن للروح أن تطوي المراتب والدرجات، فيكون قربها، وبعدها عن الله تعالى بحسب درجاتها، ومراتبها.

فالثواب، والعقاب إّنما هو التذاذ النفس، أو تألمها باللذائذ، والآلام العقليّة، والروحيّة بعد مفارقة الجسد. وهذا القول مبنيٌّ على أنّ النفس عبارة عن جوهر مجرّد ليس بجسم ولا جسمانيّ.

قال الملا هادي السبزواري في شرح الأسماء عند بيان المذاهب في المعاد: (إنّ المعاد الروحانيّ هو مذهب جمهور الفلاسفة؛ بناءً على أنّ البدن كائن، وكل كائن فاسد، والباقي إنّما هو الروح فقط، وإنسانيّة الإنسان بروحه لا بجسده، وأن اللّذّة إنما هي اللّذّة الروحانيّة من مشاهدة المفارقات النوريّة، ومبدأ المبادئ، والابتهاج بها، ونيل روح وصالها مما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب، بشر واليه أشار عليه السلام بقوله: اللّهمّ إنّ العيش عيش الآخرة، واللّذّة الحسيّة مما لا يُعبؤ به العقلاء، ولا سيّما أنّها جزئيّة لا ينالها إلا القوى الجزئيّة الظاهرة، والباطنة، والقوى عندهم منطبعات في محالّها تفنى بفناء المحال.

والنفس لا تدرك الجزئيّات بذاتها عندهم، فالشكل البهيّ، والطعم الهنيّ، واللحن السنيّ، والعرف الطّيّب الشهيّ، والملمس الناعم الطريّ، والخياليات، والوهميات اللّذيذة، ومقابلات هذه كلها إذا كانت جزئيّة فبأيّ شيء ينالها النفس المفطورة على درك الكليات، والفرض إن آلاتها متلاشيّة منحلّة الأساس؛ بل النفس بذاتها تجلّ عن الالتفات إلى الجزئيّات، فالبدن، وآلاتها لا تبقى مادة وصورة للتلازم بين المواد والصور)[1].

وأهم ما استدلّ به أصحاب روحانيّة المعاد أنّ الصورة البدنيّة الجوهريّة تنعدم عند الموت، وتتلاشى، وبانعدامها تنعدم جيمع الأعراض القائمة بتلك الصورة البدنيّة.

---

(١) شرح الأسماء الحسنى، ملا هادي السبزواري، ص ٧٤٧.

ولمّا كانت إعادة المعدوم بعينه مستحيلة، وغير ممكنة، فالصورة الماديّة لا تعود بعينها؛ لانعدامها، والنفس جوهر مجرّد لايعتريها الفناء فهي باقية، ولكن بقاءها بأيّ كيفيّة يكون؟، وهنا فروض عدّة:

١- أن تبقى النفس متعلقة ببدن هوعين البدن الذي فارقته في الدنيا.

٢- أن تتعلق النفس ببدن ماديّ آخر.

٣- أن تتعلق ببدن مثاليّ.

٤- أن تبقى من دون التعلّق بأي بدن.

ولا شيء من الأقوال بصحيح سوى الأخير؛ (لأنّ القول الأوّل يستلزم إعادة المعدوم بعينه، وهو مستحيل، والثاني يستلزم التناسخ ، أمّا الثالث فلعدم تحقّق عالم المثال عند المستدلّ)[1].

وهذا المعنى من تفسير المعاد - بأنه روحانيّ فقط - لا ينسجم مع ظواهر الآيات القرآنيّة، والسُنّة الصّحيحة، بعد أن ثبت حضور الأجساد يوم القيامة، وأنها من ضروريّات دين محمد ﷺ، مع كونه أمرًا ممكنًا، وقد أخبر الصادق ﷺ بوقوعه، فلا بدّ من ذلك[2].

أمّا ما أخبر بوقوعه الصادق الأمين ﷺ فآيات كثيرة جداً منها:

قوله عزّ وجلّ : ﴿**قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ**

---

(١) درر الفوائد، الآمليّ، ج٢ ص ٤٣٢ .

(٢) حقائق الإيمان، الشهيد الثاني ، ص١٥٩.

﴿بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٤]، إلى غير ذلك من الآيات المباركة الكثيرة.

القول الثاني: المعاد الجسمانيّ المحض.

وهو ما نُسب إلى الجمهور، وأصحاب الحديث، وبعض المتكلمين، وذلك أن النفس عندهم جسم لطيف سارٍ في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد، فحقيقة الإنسان هو بجسمانيّته.

قال ابن القيّم: إنّ هذا القول هو الصواب، ولا يصحُّ غيره، وكلّ الأقوال سواه باطلة، وقد ذكر له مئة وستة عشر دليلاً[٥].

وهذا لا يعني أن القائلين بالمعاد الجسماني يذهبون إلى عودة الأجساد يوم القيامة ميتة بلا روح، فتحاسب وتحشر وهي غير عاقلة ومدركة، وإنما العودة للأجساد وفيها الروح؛ لأنها

---

(١) يس: ٧٨ – ٧٩.

(٢) فصلت: ٢١.

(٣) العاديات: ٩.

(٤) النساء: ٥٦.

(٥) الروح، ابن القيّم الجوزيّة، ص٢٤٧.

جسم من الأجسام، وهي غير مجرّدة كما تقدم.

القول الثالث: المعاد جسمانيّ وروحانيّ.

وهو رجوع الأرواح إلى الأجساد يوم القيامة، فيكون الحشر بجسد مشهود، (وذلك بأنه تعالى يعيد الأبدان بعد الخراب، ويرجع هيأتها الأولى بعد أن صارت إلى التراب، ويحلّ بها الأرواح على نحو ما كانت، ويضمّها إليها بعدما انفصلت، وبانت فكأن الناس نيام انتبهوا، فإذا هم قيام ينظرون إلى عالم جديد)[1].

وهذا القول مبنيٌّ على ما استفاض من أن الروح جوهر نورانيّ مستقلٌّ عن البدن، ومغاير له، وهي باقية بعد خراب البدن حية، مدركة، منعّمة، أو معذّبة.

وعليه فالقول بالمعاد الجسمانيّ، والروحانيّ يتوقّف على أمور:

١ - الاعتقاد بتجرّد الروح الإنسانيّ.

٢ - الاعتقاد بأنّ الروح يعود إلى البدن عند الحشر.

٣- إن هناك آلامًا، ولذائذ جزئيّة، وكليّة، جسمانيّة، وروحانيّة.

إن من أمعن النظر في الآيات الواردة حول المعاد يقف على أن المعاد الذي يصرّ عليه القرآن هو عود البدن الذي كان الإنسان يعيش به في الدنيا، ولا يصدق عود الروح وحدها فقط، كما أنه لا يخصّ الثواب، والعقاب بالجسمانيّة منهما؛ بل يثبت أيضا ثوابًا وعقابًا روحانيين غير حسّيّين، وإليك في ما يأتي نماذج من عناوين الآيات في المجال الأوّل:

---

(١) كشف الغطاء، جعفر كاشف الغطاء، ج١ ص٥.

١. ما ورد في قصّة إبراهيم عليه السلام، وإحياء عزير عليه السلام، وبقرة بني إسرائيل، ونحو ذلك[١].

٢. ما يصرّح على أن الإنسان خلق من الأرض، وإليها يعاد، ومنها يخرج[٢].

٣. ما يدلّ على أن الحشر عبارة عن الخروج من الأجداث، والقبور[٣].

٤. ما يدلّ على شهادة الأعضاء يوم القيامة[٤].

٥. ما يدلّ على تبديل الجلود بعد نضجها، وتقطّع الأمعاء[٥].

أمّا الآيات الناظرة إلى الآلام، واللذائذ العقليّة، فكثيرة منها:

١- قال سبحانه: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[٦]، فأنت ترى أنّه سبحانه يجعل رضوانه في مقابل سائر اللّذّات الجسمانيّة، ويصفه بكونه أكبر من الأولى، وأنّه هو الفوز العظيم، ومن المعلوم أن هذا النوع من اللّذّة لا يرجع إلى الجسم، والبدن؛ بل هي لذّة تُدرك بالعقل والروح في درجتها القصوى.

٢- يقول سبحانه: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ**

---

(١) انظر: الآيات ٢٦٠،٢٥٩،٢٤٣،٧٣،٦٨ من سورة البقرة.

(٢) انظر: الأعراف: ٢٥، طه: ٥٥، الروم: ٢٥، نوح: ١٨.

(٣) انظر الحج: ٧، يس: ٥١، القمر: ٧، المعارج: ٤٣.

(٤) انظر النور: ٢٤، يس:٦٥ ، فصلت: ٤١ .

(٥) انظر النساء: ٥٦، محمد: ١٥.

(٦) التوبة: ٧٢.

حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[١]، يظهر عظم هذا الألم بوقوع هذه الآية قبل آية الرضوان، فكأنّ الآيتين تعربان عن اللّذّات، والآلام العقليّة التي تدركها الروح بلا حاجة إلى الجسم والبدن.

٣- يقول سبحانه في وصف أصحاب الجحيم: ﴿ **كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾**[٢]، إنّ عذاب الحسرة أشد على النفس مما يحل بها من عذاب البدن؛ ولأجل ذلك يسمى يوم القيامة، يوم الحسرة، قال سبحانه: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾**[٣].

(وذهب كثير من أكابر الحكماء، ومشايخ العرفاء، وجماعة من المتكلمين: كالغزاليّ، والكعبيّ، والحليميّ، والرّاغب الأصفهانيّ، والقاضي أبي يزيد، وكثير من علماء الإماميّة، وأشياخنا الإثنى عشريّة، كالشيخين المفيد، وأبي جعفر، والسيد المرتضى، والعلامة الطوسيّ، وغيرهم إلى القول بالمعادين الجسمانيّ، والروحانيّ، جميعًا ذهابًا إلى أن النفس المجرّدة تعود إلى البدن يوم القيامة)[٤].

ويقول الحكيم الفيض الكاشانيّ: (إن المُعاد في المعاد هو بنفسه هذا الشخص الإنسانيّ الذي كان في الدنيا روحًا، وبدنًا، بحيث لو يراه أحد عند المحشر يقول: هذا فلان الذي كان في الدنيا، كما قال مولانا الصادق عليه السلام في البرزخيّ: (**لو رأيته لقلت فلان**)، وإن كانت صورته صورة حمار، أو خنزير؛ وذلك لأنّ تشخّص البدن على ما حققه استاذنا صدر

(١) التوبة ٦٨.

(٢) البقرة١٦٧.

(٣) مريم ٣٩.

(٤) شرح المنظومة، الحكيم السبزواريّ، ص ٣٣٥.

المحققين ليس إلاّ بالنفس، فلا يمتاز، ولا يتعيّن إلا بها، ولهذا يكون بدن زيد وأعضاؤه ينسب إليه، ويعرف به، ويحكم بوحدته، وأن تبدّل أنواعًا من التّبدّل)[١].

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (**إنّ الرّوح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير ترابًا كما منه خلق، وما تقذف به السباع، والهوام من أجوافها، مِمّا أكلته، ومزّقته، كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء، ووزنها، وأنّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض، ثم تمخّض مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء والزبد من اللبن إذا مخض، فتجمع تراب كل قالب إلى قالبه، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيئتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئًا**)[٢].

وفي تفسير العياشيّ: عن عليٍّ بن الحسين عليهما السلام قال: (**إذا صار أهل الجنة في الجنة، ودخل وليُّ الله إلى جنانه ومساكنه، واتّكأ كل مؤمن منهم على أريكته، حفّته خدّامه، وتهدّلت عليه الثمار، وتفجّرت حوله العيون، وجرت من تحته الأنهار، وبُسطت له الزرابي، وصُفّفت له النمارق، وأتته الحذام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك، قال: ويخرج عليهم الحور العين من الجنان، فيمكثون بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّ الجبّار يشرف عليهم، فيقول لهم: أوليائي، وأهل طاعتي، وسكّان جنّتي في جواري، ألا هل أنبّئكم**

(١) علم اليقين، المحدث الفيض الكاشانيّ، ص٩٠٢.

(٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشانيّ، ج ٤ ص ٢٦١.

بخير مما أنتم فيه؟، فيقولون: ربّنا وأي شيء خير مما نحن فيه؟ نحن في ما اشتهت أنفسنا، ولذّت أعيننا من النعم في جوار الكريم، قال: فيعود عليهم بالقول، فيقولون: ربنا نعم فأتنا بخير مما نحن فيه، فيقول لهم تبارك وتعالى: رضاي عنكم، ومحبتي لكم، خير، وأعظم مما أنتم فيه، قال: فيقولون: نعم يا ربّنا، رضاك عنا، ومحبتك لنا، خير لنا، وأطيب لأنفسنا، ثم قرأ عليٌّ بن الحسين عليهما السلام هذه الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

قال المحقق الدّوانيّ: (واعلم أنّ المعاد الجسمانيّ مما يجب الاعتقاد به، ويُكفّر مُنكره، أمّا المعاد الروحانيّ أعني التذاذ النفس بعد المفارقة، وتألّمها باللّذّات، والآلام العقليّة، فلا يتعلّق التكليف باعتقاده، ولا يُكفّر منكره، ولا منع شرعًا، ولا عقلاً من إثباته، قال الإمام في بعض تصانيفه: أمّا القائلون بالمعاد الروحانيّ، والجسمانيّ معًا، فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة، والشريعة؛ فقالوا: دلّ العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى، ومحبته، وأنّ سعادة الأجساد في إدراك المحسوسات، والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن؛ لأنّ الإنسان مع استغراقه في تجلّي أنوار عالم القدس لا يمكنه أن يلتفت إلى شيء من اللّذّات الجسمانيّة، ومع استغراقه في استيفاء هذه اللّذّات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللّذّات الروحانيّة، وإنّما تعذّر هذا الجمع؛ لكون الأرواح البشريّة ضعيفة في هذا العالم، فإذا فارقت بالموت، واستمدت من عالم القدس، والطهارة قويت، وأصبحت قادرة على الجمع بين الأمرين، ولا شبهة في أنّ هذه الحالة هي الحالة القصوى من مراتب السعادات، وقد علّق

---

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسيّ، ج٨ ص١٤٠.

المجلسيّ على كلام الدوانيّ بقوله: قلت: سياق هذا الكلام مشعر بأنّ إثبات الروحانيّ إنّما هو من حيث الجمع بين الشريعة، والفلسفة، وإثباتهما ليس من المسائل الكلاميّة، وهذا كما أنّ الرئيس أبا عليّ مع إنكاره للمعاد الجسمانيّ على ما هو بسطه في كتاب المعاد، وبالغ فيه، وأقام الدليل بزعمه على نفيه، قال في كتاب النجاة والشفاء: إنّه يجب أن يُعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشرع، ولا سبيل إلى إثباته إلا من طرق الشريعة، وتصديق خبر النبوّة، وهو الذي للبدن عند البعث، وخيراته وشروره معلوم لا يحتاج إلى أن يُعلم، وقد بسطت الشّريعة الحقّة التي أتانا بها سيدنا ومولانا محمد ﷺ حال السعادة، والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل، والقياس البر هانيّ، وقد صدّقته النبوة، وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس إلى نفس الأمر، وإن كان الأوهام منا تقصر عن تصورهما الآن)[١].

رأي ملا صدرا في بيان الجمع بين المعادين (الجسمانيّ والروحانيّ):

ذكر ملا صدرا أنّ مسائل القبر، والبعث، والحشر، والنشر، وما يستتبعه من مواقف العرض في الجنة، والنار إنّما هي ركن عظيم في الايمان، مع أنها من أغمض العلوم، وأدقّها، ثم ذكر أنّ المسلمين لهم مقالات متعددة في كيفية المعاد الروحانيّ، والجسمانيّ؛ وهي:

١. من يعتقد أنّ الإنسان ليس أكثر من هذه البنية المحسوسة، وهو الجسد المركّب من الدم، والعظم، واللحم، والأعراض، والكيفيّات، ولا تعني القيامة عند هؤلاء سوى إعادة هذه الأجساد المعدومة.

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٧ ص٥٠.

وهؤلاء وإن قالوا بتجرّد النفس لكنّهم في غفلة عن فهم حقيقتها، ودرجاتها، ومنازلها، وكيف تعلقت بالبدن أولاً، ومصيرها في النهاية إلى الله تعالى، وقد عبّر عن أصحاب هذه المقولة بأكثر الإسلاميين، الذين لا يعرفون أمر البعث، ولا حقيقة القيامة.

٢. من يعتقد أنّ مع الأجساد جواهر ليست بأجسام كثيفة؛ بل أرواح لطيفة تخرج عن هذه الأبدان عند حصول الموت، فيكون في البعث، والقيامة ردّ تلك الأرواح إلى تلك الأجساد، أو أجساد أخرى مثلها يقوم مقامها، وقد عبر ملا صدرا عن هذا الرأي بأنّه أجود الآراء، وأقربها إلى الحق، وإنّ القائلين به من المحقّقين.

٣. وهو الرأي المختار عند ملا صدرا، وهو الجمع بين التجرّد، والتجسّم، حيث ذكر وجهين لبيان الآيات، والروايات، والتوفيق بين الآراء في موضوع القيامة؛ وهما:

أ. إنّ الأبدان في ذلك العالم متوسطة، جامعة للتجرّد، وكذلك التجسيم ببيان أنّ هذه الأبدان الأُخروية مسلوب عنها كثير من لوازم الأبدان الدنيويّة، فالبدن الأُخروي يتميّز بأنّه كظلٍّ لازم للروح؛ بل الجسد الأُخرويّ، والروح متحدان في الوجود، وأنّ الحياة ذاتيّة لتلك الأجسام، وهذا بخلاف أجساد أهل الدنيا التي يطرأ عليها الاستحالة، والفساد، وتكون الحياة واردة عليها من الخارج، وليس من ذاتياتها.

ب. إنّ نحو وجود السعداء، وأهل الجنة أرفع، وأعلى من نحو وجود الأشقّياء، وأصحاب النار، والكاملون المقربون أعلى، وأرفع منها جميعًا، فالتجرّد لقوم، والتجسم لقوم آخرين[١].

ويُفهم من ظواهر كلمات مله صدرا قوله بالمعاد يوم القيامة بحضور البدن بعينه، إلا أن المراد بالعينيّة هنا ليس الجسم الماديّ العنصريّ؛ بل صورة البدن بلا مادة؛

(١) انظر: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة/ صدر الدين الشيرازي/ ج٥/ ص١٧٩/ ١٨٤.

لذا يقول ﵀ في الأسفار العقليّة: (فكلّ جوهر نفسانيّ مفارق يلزم شبحًا مثاليًّا ينشأ منه بحسب ملكاته، وأخلاقه، وهيئاته النفسية، بلا مدخليّة الاستعدادات، وحركات المواد، كما في هذا العالم... إلى أن قال:

(فإن قَلَّت النصوص القرآنيّة الدالّة على أنّ البدن الأخرويّ لكلّ إنسان هو بعينه هذا البدن الدنيويّ قلنا له: نعم، ولكن من حيث الصورة لا من حيث المادة، وتمام كل شيء بتمام صورته لا بمادته[1].

وفي مورد آخر يقول: (ولا يخفى على ذي بصيرة أن النشأة الثانية طور آخر من الوجود يباين هذا الطور المخلوق من التراب، والماء، والطين، وأن الموت، والبعث ابتداء حركة الوجود إلى الله، أو القرب منه لا العود إلى الخلقة الماديّة، والبدن الترابيّ الكثيف الظلمانيّ[2].

وقد ردَّ الميرزا الأشتيانيّ في لوامع الحقائق على ما يترائى من ظواهر كلمات ملا صدرا خلافاً لصريح القرآن الكريم؛ إذ قال: (بعد ماثبت بحكم العقل، والنقل لزوم المعاد، ويوم الجزاء، وقع البحث في أنّ ماينقل إليه الأرواح في القيامة الكبرى، ويوم الحساب، هل هو عين الأبدان الدنيويّة، البالية، العنصرية، بشمل شتاتها، وجمع جهاتها، بأمره تبارك وتعالى، كما يقتضيه الاعتبار، حيث أن النفس خالفت، أو أطاعت، وانقادت لمّا كانت بتلك الجوارح، فحسن المجازات، وكمال المكافأة بأن يكون المجازى عين من

(١) الأسفار/ مصدر سابق/ ج٨/ ص١٥٣.

(٢) المصدر نفسه.

أطاع، أو عصى أم لا ؟؛ بل تنتقل إلى صورة مجرّدة، تعليميّة، ذات امتداد نظير القوالب المثاليّة، والصورة المرآتيّة؟.

ثم أجاب الميرزا قدس سره: إنّ ماوقع التصريح به في القرآن الكريم هو الأول - إن الأرواح تنتقل إلى عين الأبدان الدنيويّة الباليّة - كما في جواب سؤال إبراهيم عليه السلام، حيث قال: (ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن ...)، وقوله تعالى في جواب (أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّي بنانه)، وقوله عزّ شأنه في جواب سؤال: (من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم).

ثم قال: (ولكن جماعة من أهل الحكمة المتعارفة ذهبوا لشبهة عرضت لهم إلى الثاني - إن الأرواح تنقل إلى صورة مجرّدة - ولابدّ لنا من حلّها، ودفعها)[1].

(١) لوامع الحقائق/ مبحث المعاد/ الميرزا أحمد الأشتياني قدس سره/ ص٣٩ - ٤٠.



الفصل الثاني

حقيقة الموت وفلسفته

المبحث الأوّل: التّعريف بالموت .

المبحث الثاني: نظرة القرآن الكريم للموت.

المبحث الثالث: أسباب كراهة الموت.



المبحث الأوّل

التّعريف بالموت

أولاً: حقيقة الموت.

الموت، والحياة ظاهرتان تكوينيّتان مهمّتان في نظام الخليقة، والمالك الحقيقي لهاتين الظاهرتين هو الله تعالى، فهو الذي يمنح الحياة للعناصر الميتة في الطبيعة، ويحيي الأجساد، والمواد الميتة، وهو الذي يميت الموجودات، والكائنات الحيّة ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].

قال الراغب: (أنواع الموت بحسب أنواع الحياة، فالأول: ما هو بإزاء القوّة النامية الموجودة في الإنسان، والحيوانات، والنبات؛ نحو ﴿**وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾، ﴿**أَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**﴾.

الثاني: زوال القوة الحاسّة؛ قال: ﴿**يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا**﴾، ﴿**أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا**﴾.

الثالث: زوال القوّة العاقلة، وهي الجهالة؛ نحو: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾، وإيّاه قصد

---

(١) الحديد: ٢.

بقوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**﴾.

الرابع: الحزن المكدّر للحياة، وإياه قصد بقوله: ﴿**وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ**﴾.

الخامس: المنام، فقيل: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، وعلى هذا النحو سماهما الله تعالى توفيًا؛ فقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ**﴾، ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾.

وقوله ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾، فقد قيل: نفى الموت هو عن أرواحهم، فإنه نبّه على تنعّمهم، وقيل: نفى عنهم الحزن المذكور في قوله: ﴿**وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**﴾.

وقوله ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾، فعبارة عن زوال القوّة الحيوانيّة، وإبانة الروح عن الجسد؛ وقوله: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾، فقد قيل: معناه ستموت تنبيهًا على أنه لا بدّ لأحد من الموت؛ كما قيل:(والموت حتم في رقاب العباد) ، وقيل: بل الميّت ههنا ليس بإشارة إلى إبانة الروح عن الجسد؛ بل هو إشارة إلى ما يعتري الإنسان في كل حال من التحلّل، والنقص، فإنّ البشر ما دام في الدنيا يموت جزءًا فجزءًا)[1].

وذكرالشيخ المفيد ﷺ في تعريف الموت بأنه: (ما يضادّ الحياة، ويبطل معه النمو،

---

(١) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ، ص ٤٧٦.

ويستحيل معه الإحساس، وهو من فعل الله تعالى، وليس لأحد فيه صنع، ولا يقدر عليه أحد إلا الله)[١].

والظاهر أن الشيخ المفيد كان ناظرًا الى مايؤول إلية الجسد بعد خروج الروح منه، وبطلان الإحساس إنّما يكون بالنسبة إلى النشأة الدنيا؛ لأن الموت خروج الروح من البدن الماديّ العنصريّ، وتعلّقه ببدن آخر يناسبه من حيث النشأة.

إذًا الموت ليس علامة الفناء، وآية العدم وإنّما هو(الانتقال من هذه النشأة إلى نشأة فوقها)[٢].

لقد ظهر إشكال الموت من تصوّر أنه عدمٌ، والحال أنّه ليس عدمًا، وإنّما هو تطوّر، وتحوّل غروب عن نشأة، وظهورفي نشأةٍ أخرى، وبتعبير آخر: إنّ الموت عدم، ولكنّه ليس عدمًا مطلقًا؛ بل هو عدم نسبيّ، عدم تجاه نشأة معيّنة، ووجود في نشأة أخرى، وهو نهاية لفصل من حياة الإنسان، وبداية لمرحلة جديدة منها.

فالموت بالنسبة إلى الدنيا موت، ولكنّه بالنسبة إلى العالم الآخر ولادة، كما يكون مجيء الطفل بالنسبة إلى الدنيا ولادة، وبالنسبة إلى دورة الرحم موتًا [٣].

وقد حكى سبحانه تعالى عن المشركين في زمن الرسول عند الإخبار عن بقاء الإنسان، وأنّ الموت هو انتقال إلى حياة أخرى؛ إذ قال: ﴿**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ**

(١) تصحيح الاعتقادات، محمد بن محمد المفيد، ص٩٤.
(٢) الأسفار الأربعة، مصدر سابق، ج٥ ص٢١١.
(٣) العدل الإلهي، العلامة المطهريّ، ص٢٢٥-٢٢٨.

تُرْجَعُونَ﴾[١]، فأبطل الله سبحانه وتعالى توهمهم بقوله: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ**﴾ بلحاظ أن التوفّي ليس هو الانعدام، والبطلان، كما يتصورون؛ بل هو أخذ الحق بتمامه، وأن الذي يتلاشى هو ذلك الجسد القشريّ، أمّا النفس المخاطبة بلفظة (كم) في قوله: (يتوفاكم)، فهي باقية، وراجعة إلى الله تعالى.

قال السيد العلامة الطباطبائيّ في هذا المعنى: (إنّه تعالى أمر رسوله أن يجيب عن حجّتهم المبنيّة على الاستبعاد بأنّ حقيقة الموت ليس بطلانًا لكم، وضلالاً منكم في الأرض؛ بل ملك الموت الموكل بكم يأخذكم تامّين كاملين من أجسادكم، أي ينزع أرواحكم من أبدانكم، بمعنى قطع علاقتها من الأبدان، وأرواحكم تمام حقيقتكم، فأنتم ما يعنى بلفظة (كم) محفوظون لا يضلّ منكم شيء في الأرض، وإنّما يضل الأبدان، وتتغيّر من حال إلى حال، وقد كانت في معرض التغيّر من أول كينونتها، ثم أنّكم محفوظون حتّى ترجعوا إلى ربِّكم بالبعث، ورجوع الأرواح إلى أجسادها)[٢].

ويرى صاحب رياض السالكين: (أنّ الذي نطقت به الأخبار، وشهد به الاعتبار أنّ الموت ليس إلا عبارة عن تغيّر حال، وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى الآلة لذي الصنعة، وأنّ الروح باقية بعده، كما شهدت به البراهين العقليّة المذكورة في مظانها، والآثار النبويّة المتواترة، ومعنى مفارقتها له انقطاع تصرّفها فيه، لخروجه عن حد الانتفاع به، وحاصل هذه المفارقة يعود إلى سلب الإنسان عن هذه الأعضاء، ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء عن الإنسان، أو يُسلب هو عنها إذا كان المؤلم هو الفراق، وقد يحصل ذلك بنهب

---

(١) السجدة: ١٠- ١١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١٦ ص٢٠٤.

مال الرجل، وسبي ذريّته، وقد يحصل بسلبه، ونهبه عن أهله، وماله، فالموت سلب الإنسان عن أمواله إلى عالم آخر، فإن كان له في هذا العالم شيء يأنس به، فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسّره عليه في الآخرة، ويكون سبب عظم خطره عند ضعف تصوره لما أعدّ للأبرار المتقين في الآخرة، مِمّا يُستحقر في القليل منه أكثر نفائس الدنيا، فأمّا إن كان عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح إلا بذكر الله، ولم يأنس إلا به، عظم نعيمه، وتمت سعادته؛ إذ خلي بينه وبين محبوبه، قطع علائقه، وعوائقه الشاغلة له عنه، ووصل إليه، وانكشف له هناك ما كان يدركه من السعادة – بحسب الوصف – انكشاف مشاهدة، كما يشاهد المستيقظ ما رآه في النوم، ولذلك كان الموت راحة للمؤمنين، ومحبوبًا للمتّقين)[1].

وللنورسيّ كلام متين في معنى الموت ؛ إذ قال: (إنّ الموت في حقيقته تسريح، وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبدّل مكان، وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقيّة الخالدة، ومقدّمة لها؛ إذ كما أن مجيء الحياة إلى الدنيا هو بخلق وتقدير إلهي؛ كذلك ذهابها من الدنيا، هو أيضًا بخلق، وتقدير، وحكمة، وتدبير إلهي؛ لأنّ موت أبسط الأحياء يظهر لنا نظامًا دقيقًا، وإبداعًا للخلق ماهو أعظم من الحياة نفسها، وانظمّ منها، فموت الأثمار، والبذور، والحبوب الذي يبدو ظاهرًا تفسّخًا، وتحلّلاً هو في الحقيقة عبارة عن عجن لتفاعلات في غاية الدقة، والميزان، وتركيب، وتشكيل للذرات بعضها ببعض في غاية الحكمة، والبصيرة؛ بحيث أنّ هذا الموت الذي لا يُرى، وفيه هذا النظام، والدّقة هو الذي يظهر بشكل حياة نامية للنبات، وهذا يعني أنّ موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديدة أزهارًا، وأثمارًا؛ بل هو بمثابة عين حياته الجديدة، فهذا الموت إذن مخلوق منتظم كالحياة، فلئن كان موت النبات، وهو في أدنى طبقات الحياة مخلوقًا، منتظمًا بحكمة، فكيف بالموت الذي يصيب الإنسان، وهو

(١) رياض السالكين ، مصدر سابق ،ج ٥ شرح ص ٣٥٠.

في أرقى طبقات الحياة؟ فلا شكّ أن موته هذا سيثمر حياة دائمة في عالم البرزخ)[1].

إنّ هذا الرجوع - وهو الخروج عن نشأة الدنيا والورود في نشأة أخرى - هو الموت الذي وصفه سبحانه، لا ما يتراءى لظاهر أعيننا من بطلان الحسّ، والحركة، وزوال الحياة، وبالجملة (فناء الشيء)؛ قال سبحانه: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[2]، فيوم الموت يوم الرجوع إلى الله، والسوق إليه.

ويدلّ على ما مرّ ما رواه الصدوق، وغيره عن النبي ﷺ: (**ما خلقتم للفناء؛ بل خلقتم للبقاء، وإنّما تُنقلون من دار إلى دار**)[3].

ثم إذا كانت النفس المتوفاة - وهي حقيقة الإنسان - لا تبطل بالموت، وقد سكنت في الدنيا، وسُكن إليها، وعاشت في دار الغرور، واستأنست بها، فأوّل ما ينكشف له حين الموت بطلان ما فيها، وانمحاء الرسوم التي عليها، وتبدّل الأعمال، والغايات التي فيها بالسراب بتقطع ظواهر الأسباب.

(ثم إنّ النفس إذا فارقت الجسد فقدت صفة الاختيار، والتقوى، على كلا طرفي الفعل، والترك، وحينئذٍ يرتفع موضوع التكليف)[4].

(١) المكتوبات بديع الزمان، سعيد النورسيّ، ص٩.

(٢) سورة ق: ١٩.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٦ ص ٢٤٩.

(٤) رسالة الإنسان بعد الدنيا، العلامة محمد حسين الطباطبائي، ص٦٧.

ثانيًا: الموت عند الفلاسفة .

هناك اتجاهات متعدّدة في الفكر الفلسفي عن حقيقة الموت، وبطبيعة الحال إنّ هذه التفسيرات خاضعة للوجهة الفلسفية التي كان يراها هولاء، وذلك على حسب عقيدتهم توحيدية كانت، أم إلحاديّة، أم تشكيكيّة، ومن هذه الآراء من يرى استحالة تصور جسد منفصل تحل فيه الروح؛ لأنّ النفس معاصرة الجسد، وعندما تذهب الروح عنه يتحوّل إلى جماد.

وقد فسّرت الفلسفة الماديّة حدث الموت على وفق مبدأ التلاشي، من إن النفس مؤلَّفة من ذرات حالها حال الجسد المؤلف أيضًا من ذرّات، فعند الموت يفسد الجسد، وتنحلّ الذرّات التي تؤلّف النفس، فالنفس ليست أكثر من قوّة طبيعيّة تلازم المادّة في دورة الحياة، وتتلاشى عند الموت.

أمّا في الفلسفة الإسلاميّة فإنّ الأمر مختلف، فأكثر فلاسفة الإسلام على إنّ الرّوح تفارق الجسد عند الموت، الذي هو بمثابة آلة لها، والذي يفقد آثار الحياة إنّما هو الجسد، أما الرّوح فهي باقية حيّة لا يطرأ عليها العدم، والاضمحلال، فمعنى مفارقتها للجسد، وحدوث الموت، إنّما هو قطع تصرفها عن الجسد، وخروجه عن طاعتها.

واعتبرت الفلسفة الإسلاميّة إنّ هذه المفارقة الحاصلة بين الروح، والجسد أحد الأسباب الموصلة إلى النعيم الأبديّ، فهو وإن كان في ظاهره فناء، ولكنّه في الحقيقة ولادة ثانية، ولولاه لم يكتمل الإنسان.

وهو ينقسم إلى موت طبيعيّ، وموت اختراميّ، وإنّ ما يميز الموت الطبيعيّ عن غيره أنّ النفس، أو الرّوح تغادر البدن عندما لا يكون صالحًا لاستعمالها، وانهدامه، وزوال صلاحيته.

أمّا القسم الآخر: وهو الموت الاخترامي، فإنّه الموت الحادث عن فعل عمدي، أو غير عمدي من الإنسان نفسه، أو من غيره، أو بتأثير الطبيعة.

وهناك معنًى آخر للموت، وهو المسمّى بالموت الاختياريّ الذي يكون على معنيين: (أحدهما: هو الوصول إلى مرتبة العقل المستفاد من العقل النظريّ، وإلى مقام الفناء في العقل العمليّ الحاصل بالاستكمالات العملية، والعلمية، والرياضات، والمجاهدات، والآخر: هو قطع علاقة الروح عن البدن بالاختيار، والانخلاع عنه)[1]، وقد عبّر عنه شيخ الإشراق السهرورديّ بأنّه لا يعدّ الإنسان من المتألّهين ما لم يصرّ بدنه كقميص يخلعه تارة، ويلبسه أخرى، ثم إذا شاء عرج إلى النور[2].

الموت في نظر مدرسة الحكمة المتعالية:

طرح الشيرازي تعريفًا للموت على وفق نظريّته في الحركة الجوهرية، التي تعد من أعظم الإبداعات الفلسفيّة، وتتلّخص بأنّ جميع الأشياء في العالم لا تعرف السكون؛ بل هي في حركة، وتكامل تدريجيّ، وانتقال من حالة جوهريّة إلى حالة أخرى في صراط التّكامل، والنّفس عند ملا صدرا ليست خارج هذا القانون، فهي تتكامل كل يوم؛ بل كل لحظة من حين ارتباطها بالجسد العنصريّ، ثم عندما تصل إلى مرحلة من التكامل سوف تستغني عن بدنها، وتغادره إلى عالمها الحقيقي؛ فخراب البدن وإنهدامه إنما يحصل بسبب استغناء النفس وعدم الالتفاتها له ولذا قال ﵁: (بل الحقّ إنّ النّفس تنفصل عن البدن بسبب استقلالها في الوجود على التدريج، وتنقطع شيئًا فشيئًا من هذه النشأة الطبيعيّة إلى نشأة ثانية؛

(١) انظر: درر الفوائد، الآمليّ، ج٢ ص٤٠٤.

(٢) شرح حكمة الإشراق، السهروردي، ص٤.

لما مرّ من إثبات الحركة الذاتيّة للوجود في الجواهر المتعلّقة بالمواد الهيولانيّة، فالنفس تتحوّل في ذاتها من طور إلى طور، وتشتدّ في تجوهرها من ضعف إلى قوة، وكلّما قويت النفس، وقلّت إفاضة القوة منها على البدن؛ - لانصرافها عنه إلى جانب آخر - ضعف البدن، وقواه، ونقص، وذبُل، ذبولاً طبيعيًّا، حتى إذا بلغت غايتها في الجوهر، ومبلغها من الاستقلال، ينقطع تعلّقها عن البدن بالكلّيّة، وتدبيرها إيّاه، وإفاضتها عليه، فعرض موت البدن، وهذا هو الأجل الطبيعيّ دون الأجل الاخترامي، الذي بسبب القواطع الاتفاقيّة، فمنشأ ذبول البدن بعد سن الوقوف، إلى أن يهرم، ثم يعرض الموت، هو تحوّلات النفس بحسب مراتبها، وقربها إلى النشأة الثانية، التي هي نشأة توحّدها، وانفرادها عن هذا البدن الطبيعيّ، وانفصالها عن هذه الدار، واستقلالها في الوجود ، وهذه الحالات البدنيّة المشاهدة من الإنسان من الطفوليّة، والشباب، والشيب، والهرم، والموت كلّها تابعة لما بحذائها من حالات النفس في القوّة، والفعل، والشّدّة، والضّعف على التعاكس، فكلّما حصلت للنفس قوّة، وتَحصّل، حصل للبدن وهن، وعجز، إلى أن تقوم النفس بذاتها، ويهلك البدن، فارتحالها يوجب خراب البيت، لا أنّ خراب البيت يوجب ارتحالها)[1].

وبذلك يظهر أنّه ليس للبدن أيّ أصالة، ولا حيثيّة، سوى حيثيّة كونه تابعًا للنفس تبعيّة ذاتيّة، قهريّة، وليس صوريّة ظاهريّة، وما دامت النفس ملتفتة إلى البدن، مهتمّة به، فهو قائم منتظم، ينمو، ويتكامل، وبذلك تستحصل النفس كمالاتها بوساطة الحركة في الجوهر،وتتّجه نحو عالم الغيب، والتجرّد، وكلّما اقتربت من هناك ابتعدت عن عالم الطبيعة، وحدود المادة، حتى يبلغ أفقًا يمثل الحدّ الوسط بين الأفقين، (عالم الطبيعة وعالم التجرّد، فإذا تحرّكت النفس حركة جوهريّة، وخطت خطوات واسعة نحو الكمال الذاتيّ، والتّرقّي الجبليّ القهريّ

(١) الأسفار الأربعة، مصدر سابق ، ج ٥ – ص ٥٠.

أصبحت -لاحقًا- موجودًا مستقلاً، وأعرضت عن الطبيعة بالكامل، وآنذاك تنفصل عن البدن تمامًا وتخلع رداءها الدنيويّ الجسم)[1].

(١) المعاد في نظر الإمام الخميني ﷺ، ص١١٠.

المبحث الثاني

نظرة القرآن الكريم للموت

المطلب الأوّل: الموت أمر وجوديّ.

القرآن الكريم يجعل الموت في رتبة واحدة مع الحياة ، وهي أنهما مخلوقان من قبل خالق واحد؛ قال تعالى: ﴿**الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[1] ، فالموت أمر وجوديّ مخلوق، كالحياة، وهذا مانفهمه ضمن حدود النص القرآنيّ.

أمّا كونه أمرًا وجوديًّا فإن الخلق، والإيجاد، لا يتعلّق إلاّ بالأمور الوجوديّة، والموت في حقيقته دعوة، وإعلان إلى الحياة الباقية، ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[2] .

نعم: لو فسّرنا الموت بالفناء، والانعدام؛ لكان أمرًا عدميًّا، ولا يمكن أن يتعلّق به الخلق، والإيجاد، وهذا خلاف ما هو ثابت، من أن الموت هو الانتقال إلى عالم آخر، ونشأه وجوديّة أخرى.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: (**أيّها الناس إنّا وإيّاكم خلقنا للبقاء، لا للفناء، لكنّكم**

---

(١) الملك :٢.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

من دار إلى دار تنتقلون)[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: (**الحياة، والموت خلقان من خلق الله، فإذا جاء الموت، فدخل في الإنسان لم يدخل في شيء إلاّ وقد خرجت منه الحياة)**[٢].

قال العلامة الطباطبائيّ في معنى قوله تعالى: ﴿**الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**﴾، الحياة كون الشيء بحيث يشعر ويريد، والموت عدم ذلك، لكن الموت على ما يظهر من تعليم القرآن انتقال من نشأة الحياة إلى نشأة أخرى، كما تقدّم استفادة ذلك من قوله تعالى: ﴿ **نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ**﴾[٣] فلا مانع من تعلّق الخلق بالموت كالحياة) [٤].

وذكر الطبرسي رحمه الله: (إنّ الله تعالى خلق الموت للتعبّد بالصبر عليه، والحياة للتعبد بالشكر عليها، وقيل: خلق الموت للاعتبار، والحياة للتزود. وقيل: إنّما قدّم ذكر الموت على الحياة؛ لأنّه إلى القهر أقرب، كما قدّم البنات على البنين في قوله: ﴿ **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا** ﴾، وقيل: إنّما قدّمه لأنّه أقدم، فإن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الأموات، كالنطفة، والتراب، ثم اعترضت الحياة، ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾، أي: ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر، والنهي، فيجازي كل عامل بقدر عمله، وقيل: ليبلوكم أيّكم أكثر للموت ذكرًا، وأحسن له استعدادًا، وأحسن صبرًا على موته، وموت غيره، وأيّكم أكثر امتثالاً للأوامر، واجتنابًا عن

---

(١) الإرشاد، محمد بن محمد المفيد، ص١٢٧.

(٢) تفسير الصافي، الفيض الكاشانيّ، ج٥ ص٢٠٠ ؛ وانظر: بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٦ ص١١٦.

(٣) الواقعة: ٦١.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١٩ ص٣٤٧.

النواهي في حال حياته)[١].

وللمحقّق الداماد رحمه الله كلام في معنى تقدّم الموت على الحياة في الآية المتقدمة؛ إذ يقول: (لعلّ المعنيّ بهما (الموت والحياة) الحياة الدنيا الغارّة، البائدة، والحياة الأخرويّة القارة، الخالدة، فإنّ هذه الحياة الظاهريّة موت بالقياس إلى تلك الحياة الحقيقيّة، أو المراد بالموت الموت الظاهريّ، والحياة هي الحياة الحقيقيّة القدسيّة الأبديّة)[٢].

و على التقديرين كليهما لايخرج الموت، والحياة عن كونهما أمرين وجوديين، (فالموت حقيقته الانتقال من عالم إلى عالم آخر، وهذا الأمر وجوديّ يمكن أن يكون مخلوقًا؛ لأن الخِلقة ترتبط بالأمور الوجوديّة، وهذا هو المقصود من الموت في الآية الشريفة المتقدّمة، أمّا الموت بمعنى الفناء والعدم فليس مخلوقًا؛ لذا فإنّه غير مقصود)[٣].

قال الرازي في تفسيره الكبير: (إنّ الموت هو صفه وجوديّة مضادّة للحياة ...، والعدم لايكون مخلوقًا، هذا هو التحقيق)[٤].

ثم نرى أنّ القرآن الكريم ينسب تقدير الموت إلى الله نفسه (جل وعلا) في قوله: ﴿**نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**﴾[٥]، فلو لم يكن الموت أمرًا وجوديًّا لما كان من أسماء الله تعالى الحسنى (المميت)، والأمر نفسه عندما نرجع إلى الروايات نرى أنّ الأئمة عليهم السلام يشبهون الموت بالنوم الذي هو- أي النوم- أمر وجوديّ بلا شكّ.

---

(١) تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، ج ١٠ ص ٦٩.

(٢) نقلاً عن شرح الأسماء الحسنى، ملا هادي السبزواري، ص٦٠٧.

(٣) تفسيرالأمثل، الشيخ مكارم الشيرازيّ، ج١٨ ص٤٧٢.

(٤) التفسير الكبير، فخر الدين الرازيّ، ج٣٠ ص٥٤.

(٥) الواقعة: ٦٠.

فقد قيل لمحمد بن علي الباقر ﴿عليه السلام﴾: ما الموت؟ قال: (**هو النوم الذى يأتيكم في كل ليلة، إلا أنّه طويل مدته ...**)[١]، فذكر الإمام الموت مرادفًا للنوم، وفسّر به باعتبارهما أمرين وجوديّين.

المطلب الثاني: إنّ الموت حقّ ويقين.

لقد تكرر في القرآن الكريم التعبير عن الموت بالحقّ، وتارة باليقين، فالإنسان إذا شكّ في كل شيء فإنّه لايمكن أن يشك بالموت، وحتميّته؛ قال تعالى: ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[٢]، (وفي تقييد مجيء سكرة الموت بالحق إشارة إلى أنّ الموت داخل في القضاء الإلهي، مراد في نفسه في نظام الكون ...، فالموت -وهو الانتقال من دار إلى دار بعدها- حقّ، كما أنّ البعث حقّ، والجنّة حقٌّ، والنار حقٌّ)[٣].

وتارة يعبّر عن الموت باليقين؛ كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[٤]، والمراد باليقين الموت، كما في حكاية القرآن الكريم عن أهل النار: ﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ... حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**﴾[٥].

وقد قال عنه الطبرسيّ[٦]، وغيره من المفسّرين: إنّ اليقين في الآية هو الموت، فالمراد

---

(١) تصحيح الاعتقادات، محمد بن محمد المفيد، ص ٥٣.

(٢) سورة ق: ١٩.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١٨ ص٣٣٦.

(٤) الحجر: ٩٩.

(٥) المدثر: ٤٥.

(٦) انظر: جوامع الجامع، للطبرسي، ج٢ ص٣١٢.

بالإتيان باليقين حلول الأجل، ونزول الموت الذى يتبدّل به الغيب من الشهادة، ويعود به الخبر عيانًا [١].

المطلب الثالث: الموت يشمل الجميع.

ركّز القرآن الكريم على أنّ جميع ما على الأرض؛ بل جميع الموجودات سوف تموت، ولن يُخلّد أحد، فلا محيص من الموت، ولا مناص من سلطانه، ولا إفلات من شباكه، فهو قانون الله وسُنّته التكوينيّة التي يخضع لها الجميع، بما فيهم الأنبياء، والمرسلون، والأوصياء عليهم السلام، وعامّة الناس، وكلُّ الموجودات؛

قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾[٤].

وقال عزّ من قائل: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾[٥].

ورُوي أنه لما مات موسى عليه السلام **(سمعوا صوتًا من السماء مات موسى، وأيّ نفس**

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١٢ ص ١٩٦.
(٢) آل عمران: ١٨٥.
(٣) الرحمن: ٣٦.
(٤) الزمر: ٣٠.
(٥) الأنبياء: ٣٤.

لاتموت)[١].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**فلو أن أحداً يجد إلى البقاء سُلّمًا، أو لدفع الموت سبيلاً؛ لكان ذلك سليمان بن داود** عليه السلام**، الذي سُخّر له ملك الجنّ، والإنس، مع النبوّة، وعظيم الزُّلفة)**[٢].

إّن كل ذي شعور، وعقل على الأرض سيفنى، وفيه تسجيل الزوال، والدثور على الثقلين، وقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾، يشير إلى انقطاع أمد النشأة الدنيا، وارتفاع حكمها بفناء من عليها، وهم الثّقلان، وطلوع النشأة الأخرى عليهم، وكلاهما أعني فناء من عليها، وطلوع نشأة الجزاء عليهم من النعم، والآلاء؛ لأنّ الحياة الدنيا حياة مقدميّة لغرض الآخرة، والانتقال من المقدِّمة إلى الغرض، والغاية نعمة)[٣].

وقد روى الكلينيّ في الكافي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّ الله عزّ وجلّ نعى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم نفسه؛ فقال: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾، وقال: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾، ثم أنشأ يحدّث فقال: (**إنّه يموت أهل الارض حتى لا يبقى أحد، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد، إلاّ ملك الموت، وحملة العرش، وجبرئيل، وميكائيل** عليهما السلام**، قال: فيجيء، ملك الموت** عليه السلام **حتّى يقوم بين يدي الله عزّ وجلّ فيقال له: من بقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا ربِّ لم يبقَ إلاّ ملك الموت، وحملة العرش، وجبرئيل، وميكائيل** عليهما السلام**، فيقال له: قل لجبرئيل، وميكائيل فليموتا، فتقول الملائكة عند ذلك: يا ربّ رسوليك وأمينيك، فيقول:**

---

(١) الدعوات، قطب الدين الرازيّ، ص٢٣٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١٩ ص٩٢.

إنّي قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيقال له: من بقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا ربِّ لم يبقَ إلاّ ملك الموت، وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا، قال: ثم يجيء كئيبًا حزينًا لا يرفع طرفه، فيقال: من بقي؟ فيقول: يا ربِّ لم يبقَ إلاّ ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت، فيموت، ثم يأخذ الأرض بيمينه، والسماوات بيمينه، ويقول: أين الّذين كانوا يدّعون معي شريكًا، أين الّذين كانوا يجعلون معي إلهًا آخر)[1].

المطلب الرابع: في عدم قبول التوبة عند الموت.

يُستفاد من بعض آيات القرآن الكريم عدم قبول التوبة، والندم عند حلول الموت، والمعاينة، واليأس من الحياة؛ لأنّ عند الموت تنكشف الحقائق، وتظهر الآيات، وترى ملائكة الموت، فلا ينفع ما يستدركه الإنسان عند هذا الحال؛ قال تعالى :﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ** ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾[3].

قال الشيخ المفيد ﴿رضي الله عنه﴾ في التوبة: (إنّها مقبولة من كل عاصٍ مالم ييأس من الحياة)[4].

وفي بعض الروايات عُبّر عن انتهاء مرحلة التوبة بالمعاينة، فقد سئل الصادق ﴿عليه السلام﴾ عن

---

(١) الكافي، مصدر سابق ، ج٣ ص ٢٥٧ ، باب نوادر الحديث ٢٥.

(٢) النساء: ١٨.

(٣) الأنعام: ١٥٨.

(٤) أوائل المقالات، الشيخ محمد بن محمد المفيد، ص٨٤.

قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ** ﴾، **قال ذلك إذا عاين أمر الآخرة)**[١].

وقد يراد بالمعاينة أعم من لحظة الموت، وخروج الروح، بحيث يمكن أن تحدث المعاينة، وانكشاف الآيات قبل ساعة من الموت، أو يوم، أو أكثر، إذا يتيقّن الفوت.

وقد روى محدّثو الإماميّة عن أئمة أهل البيت ﷺ أحاديث كثيرة في أنّ التوبة لا تقبل عند حضور الموت، وظهور علاماته، ومشاهدة أهواله، وربما علّل ذلك بأن الإيمان برهانيّ، ومشاهدة تلك العلامات والأهوال في ذلك الوقت تُصيّر الأمر عيانًا، فيسقط التكليف، كما أن أهل الآخرة لما صارت معارفهم ضروريّة سقطت التكاليف عنهم[٢].

قال الفيض الكاشاني ﷺ: (ومن لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين، ثم تصعد شيئًا فشيئًا إلى أن تصل إلى الصدر، ثم تنتهي إلى الحلق، ليتمكّن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى، والوصيّة، والتوبة، ما لم يعاين، والاستحلال، وذكر الله سبحانه، فتخرج روحه وذكر الله على لسانه، فيرجى له حسن الخاتمة)[٣].

لقد أخبر الله تعالى في الآيات المتقدمة أنّه لا تقبل التوبة من العصاة، حتى إذا انكشفت لهم الحقائق، وعاينوها بالموت قالوا: ربنا تبنا الآن.

---

(١) تفسير نور الثقلين، عبد علي جمعة الحويزيّ، ج١ ص٤٥٨.
(٢) رياض السالكين، مصدر سابق ج٤ ص ٣٢٥.
(٣) الأربعون، الشيخ البهائي ص١٧٠ ونقله المشهدي في تفسير كنز الدقائق، ج٢ ص ٣٩٤ وبحار الأنوار، مصدر سابق، ج٦ ص ١٦.

(وإنما لم يقبل الله تعالى التوبة في حال اليأس من الحياة، لأنّه يكون العبد هناك مُلجأ إلى فعل الحسنات، وترك القبائح، فيكون خارجًا عن حد التكليف؛ إذ لا يستحق على فعله المدح، ولا الذم، وإذا زال عنه التكليف، لم تصح منه التوبة)[١].

وقال العلامة السيد الطباطبائي: (التوبة هي رجوع العبد إلى الله سبحانه بالعبودية، فتكون توبته تعالى أيضًا قبول هذا الرجوع، ولا معنى للعبودية إلا مع الحياة الدنيوية، التي هي ظرف الاختيار، وموطن الطاعة، والمعصية، ومع طلوع آية الموت لا اختيار تتمشى معه طاعة، أو معصية)[٢].

(فالنفس التى لم تؤمن من قبل إيمان طوعٍ ورضًى، أو آمنت بالله، وكذبت بآيات الله، ولم تعتن بشيء من شرائع الله، واسترسلت في المعاصي الموبقة، ولم تكتسب شيئاً من صالح العمل فيما كان عليها ذلك، ثم شاهدت البأس الإلهيّ، فحملها الاضطرار إلى الإيمان؛ لترد به بأس الله تعالى، لم ينفعها ذلك، ولم يرد عنها بأسًا، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين)[٣].

ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم في قصة احتضار فرعون حين أغرقة الله في البحر:

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ

---

(١) مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، ج٣ ص٤٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج٤ ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق، ج٧ ص٣٤٦.

مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[١]، وفي هذا الموقف أعلن فرعون إيمانه بالله، بعد أن انكشف عنه الحجاب، وتقطّعت به الأسباب عند الاحتضار، ورأى مكانه البرزخي[٣]،والأُخروي، ولكن في مثل هذه الساعة لا ينفع النّدم .

وفي النهج الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: (**فاعملوا، وأنتم في نفس البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة، والمدبِّر يُدعى، والمسيء يرجى، قبل أن يخمد العمل، وينقطع المهل، وينقضي الأجل، ويُسدّ باب التوبة، وتصعد الملائكة**)[٢].

---

(٤) يونس ٩٠: ٩١

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٧.

المبحث الثالث

أسباب كراهة الموت

مما لا شكّ فيه أنّ في الموت مصلحة للخلائق؛ لأنّه فعل الله، والله لا يفعل إلاّ الأصلح بعباده؛ قال تعالى: ﴿ **الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾[1]، ولاشكّ أيضًا، أن الموت من أعظم الأسرار، وأخفاها، فهو يُفاجئ الجميع، الصغير، والكبير، الرجل، والمرأة، السليم، والسقيم.

ويعيش الإنسان في هذه الحياة وهو لا يعلم بموعد موته، لا يعرف الزمان، ولا المكان، ولا الطريقة!، ولكنّه يعلم أن هذا الموت أمر واقع لا محالة، والغريب أنّه حتى هذا اليقين بالموت أمر متزلزل بالشك، انظر إلى هذه الرواية العلويّة، وماذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (**ما رأيت يقيناً لا شكّ فيه كشكٍّ لا يقين فيه من الموت**).

فالإنسان من جهة قد وصل إلى اليقين بالعقل، والتجربة، والوجدان، أنّ الموت واقع، وهو يقين لا يتزعزع، لكنّ يقينه هذا أشبه بشكٍّ لا يقين فيه، بدليل أنّك إذا نظرت إلى عمل الإنسان الحيّ ستراه يعمل كالذي لايموت، ولن ينتقل من هذه الحياة؛ ذلك أن الإنسان بفطرته يحب الخلود، ويعشق البقاء، وينفر، ويصيبه القلق من الفناء، والزوال.

فمن آمن أن الموت هو الذي يحقق البقاء، والخلود، وأنه ليس سوى انتقال من حياة

---

(١) الملك: ٢.

الفناء إلى دار البقاء فحينئذٍ لا تكون هذه الانتقالة سوى كسر قيود سجن البدن، وستكون بلا شكّ انتقالة، وعروج إلى عالم لا متناهٍ، عالمٌ يظفر فيه الانسان بالراحة، والاطمئنان بعد رحلة الحياة الشّاقّة.

وعلى النقيض من ذلك، فمن آمن أن الموت هوالفناء الشامل، والعدم المطلق، فحينئذٍ لا شكّ أن تكون حياته باعثة على الألم، والقلق، والخوف؛ لأنّ مجرد الإحساس بالفناء، والعدم، سوف يجعل الأمر رهيبًا، ومفزعًا، وهذا هو حال أكثر التائهين بإطار الماديّة، فهم يخافون الموت؛ لأنّه المصير الذي يريد القضاء - حسب نظرهم - على جميع وجودهم؛ ولذا نجد مثل هولاء يخافون حتّى من سماع اسم الموت، أو مشاهدة الموتى، أو مجرد التفكير بالموت.

أمّا المؤمنون بالمبدأ، والمعاد، المطمئنون بالله، فالموت في نظرهم نهاية للحياة الضيّقة، والانتقال إلى النشأة الخالدة الموجودة في إعماق الفطرة، فإنّهم لا يكرهون الموت بعد أن تيقّنوا أنهم من أهل الجنّة، فهم مشتاقون إلى لقاء الله تعالى، متمنّين سرعة الوصول إليه، وإلى رضوانه.

نعم: قد يكون للمؤمن بالله نصيب من الخوف، والقلق من الموت، ولكن لا باعتبار كونه حداًّ لهذه الحياة، وإنّما بسبب القصور، والتقصير تجاه طاعة الباري سبحانه وتعالى، فالمتحصّل أنّ هناك أسبابًا، وعواملَ عِدّة للخوف من الموت، وكراهة حلوله؛ من أهمّها:

١- الخوف من العدم، والفناء، والجهل بالمبدأ، والمعاد.

٢- الخوف من الذنوب، والمعاصي.

٣- عدم الاستعداد الكافي عند المؤمنين.

أمّا السبب الأول وهو: (**الخوف من العدم والفناء**)، فهو عند اولئك الذين يعتقدون أن الموت هو الذي يضع الحدّ الفاصل للحياة، فهولاء يرتعشون من الموت؛ لأنّه من وجهة نظرهم عدم، فهم يتعذّبون من تحطّم هذا البدن، الذي يعتبرونه كل حقيقتهم.

وقد سئل الإمام محمد بن علي الجواد ﵇ عن سبب خوف مثل هؤلاء فقال ﵇: (**لأنّهم جهلوه، فكرهوه، ولو عرفوه، وكانوا من أولياء الله عزّ وجلّ لأحبوه، ولعلموا أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا**)[١].

أمّا السبب الثاني وهو (**الخوف من الذنوب والمعاصي**)، فإن أصحابه وإن كانوا يؤمنون بالجزاء ولكنّهم تجاوزوا حدود الله تعالى، فهم يخافون ذنوبهم، وما يؤول إليه أمرهم في الآخرة.

فعن الصادق ﵇ قال: (**جاء رجل إلى أبي ذر فقال: (يا أبا ذر مالنا نكره الموت، فقال: لأنّكم عمّرتم الدنيا، وأخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب)**[٢].

وهؤلاء هم الذين عرّض بهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[٣].

أمّا السبب الثالث فهو (**عدم الاستعداد الكافي**) فهولاء لا يكرهون الموت إيثارًا له على الحياة في مقابل ما أعدّ الله من الثواب الجزيل بعد الموت، ولكن الكراهة، والخوف منه،

(١) معاني الأخبار، محمد بن علي الصدوق، ص٢٠٩.
(٢) الكافي، مصدر سابق ، ج٢ ص٤٥٨ ح٢٠.
(٣) البقرة: ٩٤- ٩٥.

خشية أن يفضي إلى المؤاخذة من الله تعالى على القصور، والتقصير ،وعدم الاستعداد التام.

يقول الشيخ النراقي ﵁: إنّ هذا النوع من الناس (يكثر ذكر الموت، وربما يكرهه خيفة من أن يتخطفه قبل الاستعداد، وتهيئة الزاد، وتمام التوبة، وهو معذور في كراهة الموت، ولا يدخل تحت قوله ﷺ: (**من كره لقاء الله كره الله لقاءه**)؛ لأن هذا ليس يكره الموت، ولقاء الله، وإنما يخاف فوت لقاء الله؛ لقصوره، وتقصيره، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد للموت)[١].

و المعنى نفسه ذكره البهائي ﵁ في(الأربعون) بقوله: (قد يقال إن الموت ليس نفس لقاء الله، فكراهته لا يستلزم كراهة لقاء الله، وأيضًا فحب الله سبحانه يوجب الاستعداد التام للقائه، بكثرة الأعمال الصالحة، وهو يستلزم كراهة الموت القاطع لها)[٢].

أمّا أسباب الخوف من الموت من الوجهة الفلسفيّة، فيقول الحكيم صدر الدين الشيرازيّ في كراهة الموت البدني للنفوس الإنسانية سببان فاعليّ وغائيّ، أمّا السبب الفاعليّ فهو أن أول نشآت النفس هي هذه النشأة الطبيعيّة البدنيّة، ولها الغلبة على النفوس ما دامت متصلة بالبدن، متصرفة فيه، تجري عليها أحكام الطبيعة البدنيّة، ويؤثر فيها ،وأمّا ما يقتضيه العقل التام، وقوة الباطن، وغلبة نور الإيمان بالله، واليوم الآخر، وسلطان الملكوت، فهو محبّة الموت الدنيويّ ،والتشوق إلى الله، ومجاورة مقرّبيه، وملكوته، والتوحّش عن حياة الدنيا، وصحبة الظلمات، ومجاورة المؤذيات.

أمّا السبب الغائيّ، والحكمة في كراهة الموت هو محافظة النفس للبدن، الذي هو بمنزلة

---

(١) جامع السعادات، محمد مهدي النراقيّ، ج٣ ص ٣٤، باب مراتب الناس في ذكر الموت.

(٢) الأربعون حديثًا، الشيخ البهائيّ العامليّ، ص٤١٨، ح ٣٥.

المركب في طريق الآخرة، وصيانته عن الآفات العارضة؛ ليمكن لها الاستكمالات العلميّة، والعمليّة، إلى أن يبلغ كمالها الممكن ...[1].

وللشيخ الرئيس ابن سينا كلمات سامية، وعظيمة ذكرها في الشفاء، أرجع فيها مطلق الخوف من الموت إلى الخوف من عدل الله، وحكمته؛ فهو يقول: (لما كان أعظم ما يلحق الإنسان من الخوف، هو الخوف من الموت، وكان هذا الخوف عامًا، وهو مع عمومه أشدّ، وأبلغ من جميع المخاوف، وجب أن أقول: إن الخوف من الموت لا يعرض إلاّ لمن لا يدرى ما الموت على الحقيقة، أو لا يعلم إلى أين تصير نفسه، أو لأنّه يظن أنه إذا انحلّ، وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته، وبطلت نفسه، بطلان عدم ودثور، وأن العالم سيبقى بعده سواء كان هو موجودًا أم ليس موجودًا، كما يظنّه من جهل بقاء النفس، وكيفيّة معادها، أو يظن أنّ للموت ألمًا عظيمًا غير ألم الأمراض التي ربما تقدمته، وأدّت إليه، وكانت سبب حلوله، أو لأنه يعتقد عقوبه تحل به بعد الموت، أو لانّه متحيّر لا يدري على أي شيء يقدم بعد الموت، أو لأنّه يأسف على ما يخلفه من المال، والقينان، وهذه كلها باطلة لاحقيقة لها).

وكون هذه الأمور باطلة:

أمّا من جهل الموت، ولم يدرما هو، فليس الموت شيئًا أكثر من ترك النفس استعمال آلاته، والنفس جوهر روحانيّ لايتصور فيه العدم، وأمّا من يخاف الموت؛ لأنه لايعلم إلى أين تصير نفسه، أو أنّه يظن أنّ بدنه إذا بطل تركيبه فقد بطلت نفسه، فهو جاهل ببقاء النفس وكيفيّة المعاد، وليس يخاف الموت على الحقيقة، وإنّما يجهل ما ينبغي أن يعلمه، إذًا الجهل هو المخوّف الذي هو سبب الخوف، وعلاج الجهل العلم.

---

(1) الأسفار العقلية الأربعة مصدر سابق ، ج٥ ص٢٤٠ .

وأمّا من يخاف الموت من أجل العقاب، فليس يخاف الموت؛ بل يخاف العقاب، فهو لا محالة معترف بذنوب يستحق عليها العقاب، وهو مع ذلك معترف بحاكم عادل يعاقب على السيئات؛ فهو إذاً خائف من ذنوبه لامن الموت، وبذلك يعلم أيضًا أن من يخاف الموت؛ لأنه متحير لا يدري على أي شيء يقدم بعد الموت، فهو خائف من أفعاله السيئة، وذنوبه، لامن الموت.

وأمّا من يخاف الموت لأنّه يأسف على ما يخلفه، فينبغي أن يُبيّن له أن الحزن لأجل ما لابد له من وقوعه لايجد عليه طائلاً، وكل كائن لامحالة فاسد، فلو جاز أن يبقى الإنسان بقاءًا أبديًّا لبقى من كان قبله، ولو بقي الناس على ماهم عليه من التناسل، ولم يموتوا، لما وسعتهم الأرض.

إذاً الحكمة الإلهيّة البالغة، والعدل المبسوط بالتدبير المحكم، هو الصواب الذي لا معدل عنه، وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية، فالخائف من الموت هو الخائف من عدل الله وحكمته؛ بل هو الخائف من جوده، وعطائه، فالموت إذن ليس بِرَدِيٍّ، وإنّما الردي هو الخوف منه، فإنّ الذي يخاف منه هو الجاهل به، وبذاته[1].

الروايات المادحة لتمني الموت والذامة له:

هناك طائفتان من الروايات، إحداهما وردت في مدح طلب الموت، وتمنيه، والأخرى في ذم تمني طلب الموت.

---

(١) عيون مسائل النفس، حسن زاده آمليّ، ص٦٦٤- ٦٦٥.

الروايات المادحة قولهم ﷺ:

(**أفضل تحفة المؤمن الموت**)[1].

(**في الموت راحة السعداء**)[2].

وقول الإمام الرضا ﷺ: (**اللهُمّ إن كان فرجي ممّا أنا فيه بالموت فعجّله لي الساعة**)[3].

وقول الصادق ﷺ: (**لايبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال**)، إلى أن يقول: (**أن يكون الموت أحبّ إليه من الحياة**)[4]، وفي تفسير العياشي، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر ﷺ، قال: قلت له أخبرني عن الكافر، الموت خير له أم الحياة ؟، فقال: (الموت خير للمؤمن، والكافر، قلت: ولم ؟، قال: **لأنّ الله يقول:** ﴿**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ**﴾ ويقول: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[5].

كما روي: أن عليًّا ﷺ كان يطوف بين الصفين بصفين في غلالة[6]، فقال له ابنه الحسن ﷺ: (ماهذا بزي المحاربين، فقال: يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط، أم عليه سقط الموت)[7].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم،الآمديّ، الحديث ٣٣٦٥، وانظر ميزان الحكمة، محمد الريشهريّ، ج٤ ص ٢٩٦١.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهريّ، ج٤ ص ٢٩٦٢.

(٣) وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العامليّ، ج٢ ص٦٥٩، ح٣.

(٤) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٦ ص١٢٧ ح ١١.

(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج١ ص٢٠٦.

(٦) الغلالة: هو الثوب الذي يلبس تحت الثياب، أو تحت درع الحديد. لسان العرب، ج١١ ص٥٠٢ (غ ل ل).

(٧) جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ج١ ص١٢٩.

وهو القائل ﷺ: (**والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه**)[1].

ومن كلام له قبل موته: (**والله ما فجأني من الموت وارد فكرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلا كقارب ورد، وطالب وجد، وما عند الله خير للأبرار**)[2].

وعن الصادق ﷺ، عن أبيه، عن جده ﷺ، قال: سئل أمير المؤمنين ﷺ:بماذا أحببت لقاءه ؟، قال: (**لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته، ورسله، وأنبيائه، علمت أن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني، فأحببت لقاءه**)[3].

وكما أشار إليه سيد المرسلين ﷺ:(**ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله**)[4]؛ وذلك لأنه وسيلة لهم إلى ما أعد لهم من السعادة الأخرويّة، التي هي حياة بلا موت، وغنًى بلا فقر، ونعيم بلا شقاء، وأعظم من ذلك الفوز باللقاء الخالص لمحبوبهم الأقصى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[5]، فقد دلّت الآية على أن الصادق في الولاية لله يتمنى المـــوت، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[6].

---

(١) نهج البلاغة، ج١ ص٤١.

(٢) نهج البلاغة، ج٣ ص٢١.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص١٢٧، الرواية ١١.

(٤) عوالي اللئالي، ابن جمهور الأحسائي ، ج١ ص٢٧٧.

(٥) الجمعة: ٦.

(٦) البقرة: ٩٤.

وعن حذيفة بن اليمان ﵁: (أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم يعني على التمنّي)[١]، وقال أهل التحقيق: (لا يبعد من الرجل العاقل إذا كمل عقله أن تعظم رغبته في الموت؛ لوجوه:

منها: أن مراتب الموجودات ثلاثة، المؤثِّر الذي لا يتأثر، وهو الإله تعالى وتقدّس، والمتأثِّر الذي لا يؤثر، وهو عالم الأجساد، فإنّها قابلة للتشكيل، والتصوير، والصفات المختلفة، والأعراض المتضادة، ويتوسطهما قسم ثالث وهو عالم الأرواح؛ لأنها تقبل الأثر، والتصرف من العالم الإلهي، ثم إذا أقبلت على عالم الأجساد تصرفت وأثرت. وللنفوس في التأثير، والتأثر مراتب غير متناهية؛ لأن تأثيرها بحسب تأثرها عما فوقها، والكمال الإلهي غير متناهٍ، إذاً لا تنفك النفس من نقصان ما، والناقص إذا حصل له شعور بنقصانه، وقد ذاق لذة الكمال، بقي في القلق وألم الطلب، ولا سبيل له إلى رفع هذا القلق، والألم إلا الموت، فحينئذٍ يتمنى الموت.

ومنها: أن سعادات الدنيا، ولذاتها سريعة الزوال، مشرفة على الفناء، والألم الحاصل عند زوالها، أشدّ من اللذة الحاصلة عن وجدانها، ثم أنها مخلوطة بالمنغصات، والأراذل من الخلق يشاركون الأفاضل فيها؛ بل ربما كانت حصة الأراذل أكبر، فلا جرم تمني العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات.

ومنها: أن اللذات الجسمانية: (لا حقيقة لها، لأنّ حاصلها يرجع إلى دفع الآلام، فإن الأكل لدفع ألم الجوع، والشرب لدفع ألم العطش، فكان الموت مخلصًا من هذه الآلام

(١) رياض السالكين مصدر سابق ، ج ٥ شرح ص ٣٥٢.

والاشتغال بدفعها)[١].

الروايات الذامّة لتمني الموت:

ففي الرواية عن النبي ﷺ دخل على رجل يعوده وهو شاكٍ، فتمنى الموت؛ فقال رسول الله ﷺ: **(لا تتمنَّ الموت، فإنك إن تكُ محسنًا تزدد إحسانًا، وإن تك مسيئًا فتؤخّر تستعتب، فلا تتمنوا الموت)**[٢]، وقوله ﷺ: **(لايتمنى أحدكم الموت؛ لضرٍّ نزل به، وليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي)**[٣]، وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تمنوا الموت، فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة)**[٤].

وقد ذكرت أوجه كثيرة للجمع بين هذين القسمين من الروايات؛ منها:

١- أن ما ورد في ذم كراهة الموت محمول على ما إذا كرهه لحب الدنيا، وشهواتها، والتعلّق بملاذها، وما ورد بخلاف ذلك على ما إذا كرهه لطاعة الله تعالى، وتحصيل مرضاته، وتوفير ما يوجب سعادة النشأة الأخرى[٥].

٢- أن العبد يلزم أن يكون في مقام الرضا بقضاء الله، فإذا اختار الله له الحياة فيلزمه الرضا بها، والشكر عليها، فلو كره الحياة - والحال هذه - فقد سخط ما ارتضاه الله له، وعلم

(١) رياض السالكين مصدر سابق ، ج ٥ شرح ص ٣٥٣.
(٢) وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العامليّ، ج٢ ص٦٥٩ ح ١.
(٣) المصدر السابق، ج٢ ص ٢٥٩ ح٢.
(٤) التذكرة في أحوال الموتى، القرطبيّ، ص٢.
(٥) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص١٣٨.

صلاحه فيه، وهذا مما لا يجوز، وإذا اختار الله تعالى له الموت يجب أن يرضى بذلك، ويعلم أن صلاحه فيما اختاره الله له، فلو كره ذلك كان مذمومًا[١].

٣- أن تمني الموت إذا كان للشوق إلى لقاء الله تعالى، وليس اعتراضًا على الله؛ لوجوده في الحياة، فهذا التمني ومحبوبيته مطلوبة، وعلى العكس لو كان تمني الموت، وهو غير مكمل لنفسه في طريق الله، فهذا التمنّي غير محمود؛ بل المطلوب هو الحياة؛ ليكمل نفسه، ويطيع ربه، وقد وردت روايات كثيرة تحث على استغلال الوقت في سبيل تحصيل مرضاة الله، والتزود من الأعمال الصالحة؛ قال النبي ﷺ: (**لايتمنّى أحدكم الموت إلا أن يثق بعمله**)[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمدانيّ :(**وأكثر ذكر الموت، وما بعد الموت، ولاتتمنَّ الموت إلاّ بشرط وثيق**)[٣].

غمرات الموت:

عند الموت يشعر الإنسان أنّه واقف على أعتاب الغيب، وملاقٍ لقدر الله: ﴿**نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**﴾[٤] ، فهوفي مرحلة جديدة سوف تقطع عنه كل التعلّقات الدنيويّة مرغمًا، وتنكشف لديه كل المحجوبات، فبصره اليوم حديد.

أمّا غمراته، وشدائده، فهي أكبر من تصورات عقولنا، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**وإن**

---

(١) المصدر السابق، ج٦ ص.١٣٩

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٤ ص ٢٩٧ ؛ نقلاً عن كنز العمال.

(٣) نهج البلاغة رقم ٦٩ من كتب الرسائل .

(٤) الواقعة: ٦٠.

للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا)[1]، وهو القائل عليه السلام: (**فإنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم؛ لجزعتم، ووهلتم، وسمعتم، وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب)**[2].

لقد ورد في وصف الموت، وأهواله كثيرٌ من النصوص الدينيّة بقسميها القرآنيّة، والروائيّة وفي ما يأتي نذكر تلك الغمرات التي تقع في طريق الموت، وبعض ما ورد فيها من آيات وروايات:

١ - الاحتضار:

هو افتعال من الحضور أي السوق - أعاننا الله عليه وثبّتنا بالقول الثابت - وقيل هو حضور الموت، أو حضور ملك الموت، وأعوانه، ونزولهم إليه، وإقبالهم لديه، أو هو لاستحضار عقله.

وفي ساعة الاحتضار يتجلّى الضعف التام في أظهر صوره، فيتبيّن ضعف الإنسان، وعجزه من أن يدفع عن نفسه أي شيء، ولو كان يسيرًا، أو يدفع عنه من حضره، وفي هذا الحال ينكشف عنه بعض الحجب، والأستار، فيرى ما كان غافلاً عنه، ويشاهد نتائج ماقام به من أعمال، سواء كانت صالحة أم فاسدة، وهنا تحصل عند المعاينة أوّل لحظات النّدم، فيتوّسل الإنسان بالبقاء، وطول المدّة، ولو كان لوقت يسير بعد أن أنفق الأيام، والسنين، يمينًا، وشمالاً؛ ليستدرك مافاته، ولكن هيهات، وأنّى له ذلك، فقد جاء القضاء وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١١ ص١٥٢؛ وانظر: عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثيّ، ص١٥٢.
(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢٠.

أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١].

وهذا الندم الذي يكون عند الاحتضار، والمعاينة غير مختصٍّ بالعصاة، والمذنبين؛ بل حتّى المؤمنين من أهل الطاعة يندمون على مافاتهم من أعمال الخير، ويتمنون أن لو ازدادوا، فقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام قوله: (**أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التى يعاين فيها ملك الموت عليه السلام ، والساعة التى يقوم فيها من قبره، والساعة التى يقف فيها بين يدى الله عزّ وجلّ فإمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النار**)[٢].

ثم إن هذه الأهوال التي تكون للمحتضر ليست على درجة واحدة ، وإلى جانب أنّها من أمور الغيب التي لايمكن معرفتها بمعاينة المحتضرين إلا أن القرآن الكريم، والروايات الشريفة قد ميّزت حال الكفار، والعصاة، والمذنبين عن غيرهم من المؤمنين، وأهل الطاعة، قال تعالى في حال الكافرين : ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[٣].

وقوله تعالى في وصف الظالمين :﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ** ﴾[٤].

قال الطبرسيّ: (غمرات الموت شدائده، وسكراته، وأصل الغمرة ما يغمر من الماء، فاستعيرت للشدة الغالبة، ﴿**بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ**﴾ يبسطون إليهم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم،

(١) المنافقون: ١٠.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص ١٥٩ ؛ وراجع: الخصال، محمد بن علي الصدوق، ص١١٩ ح١٠٨.

(٣) الأنفال: ٥٠.

(٤) الأنعام: ٩٣.

أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارة عن العنف في السياق، والتغليظ، والإرهاق في الإزهاق فعل الغريم الملح، يبسط يده إلى من عليه الحق، ويقول له: أخرج إلي مالي عليك ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**﴾ خلّصوها من أيدينا، أي: لا تقدرون على الخلاص)[١].

وفي المقابل تتحدّث آيات أخرى عن أهل الطاعة والإيمان حيث تتلقاهم الملائكة بالبشرى والسلام قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[٢].

وقال الشيخ المفيد ﷺ: (وقد يمتحن الله تعالى كثيرًا من خلقه بالآلام الشديدة قبل الموت، ويعفي آخرين من ذلك، وقد يكون الألم المتقدم للموت ضربًا من العقوبة لمن حل به، ويكون استصلاحًا له ولغيره، ويعقبه نفعًا عظيمًا، وعوضًا كثيرًا، وليس كل من صعب عليه خروج نفسه كان بذلك معاقبًا، ولا كل من سهل عليه الأمر في ذلك كان به مكرمًا مثابًا، وقد ورد الخبر بأن الآلام التي تتقدم الموت تكون كفارات لذنوب المؤمنين، وتكون عقابًا للكافرين، وتكون الراحة قبل الموت استدراجًا للكافرين، وضربًا من ثواب المؤمنين، وهذا أمر مغيّب عن الخلق، لم يظهر الله تعالى أحدًا من خلقه على إرادته فيه تنبيهًا له، حتى يتميّز له حال الامتحان من حال العقاب، وحال الثواب من حال الاستدراج، وتغليظًا للمحنة؛ ليتم التدبير الحكيم في الخلق)[٣].

وفي هذا المعنى من التفريق في أحوال المحتضرين وردت روايات عديدة منها:

---

(١) جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي، ج١ ص ٥٩٤.

(٢) نحل: ٣٢.

(٣) تصحيح اعتقادات الإمامية، محمد بن محمد المفيد، ص٩٥.

ما في البحار عن الإمام العسكري، عن آبائه ﷺ قال: (**قيل للصادق ﷺ: صف لنا الموت، قال ﷺ: للمؤمن كأطيب ريح يشمه، فينعس بطيبه، وينقطع التعب، والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي، ولدغ العقارب، أو أشد. قيل: فإن قومًا يقولون: إنه أشد من نشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض، ورضخ بالأحجار، وتدوير قطب الأرحية على الأحداق، قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذي هو أشد من هذا لا من عذاب الآخرة، فإنه أشد من عذاب الدنيا، قيل: فما بالنا نرى كافرًا يسهل عليه النزع، فينطفئ وهو يحدّث، ويضحك، ويتكلم، وفي المؤمنين أيضًا من يكون كذلك، وفي المؤمنين، والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه؛ ليرد الآخرة نقيًا، نظيفًا، مستحقًّا لثواب الأبد، لا مانع له دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفّى أجر حسناته في الدنيا؛ ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدّة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاد حسناته، ذلكم بأن الله عدل لا يجور**)[1].

وعن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: (**إن الله عزوجل يأمر ملك الموت، فيرد نفس المؤمن ليهون عليه، ويخرجها من أحسن وجهها فيقول الناس: لقد شدد على فلان الموت، وذلك تهوين من الله عزوجل عليه. وقال: يصرف عنه إذا كان ممن سخط الله عليه، أو ممن أبغض الله أمره أن يجذب الجذبة التي بلغتكم بمثل السفود[2] من الصوف المبلول، فيقول**

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص ١٥٢.

(٢) السفود: الحديدة التي يُشوى بها اللحم.

الناس: لقد هون على فلان الموت)[١].

وفي الكافي عن أبي جعفر ﵇: (**إن آية المؤمن إذا حضره الموت، أن يبيض وجهه أشد من بياض لونه، ويرشح جبينه، ويسيل من عينه كهيئة الدموع، فيكون ذلك آية خروج روحه، وإن الكافر يخرج روحه سلا من شدته كزبد البعير، أو كما تخرج نفس البعير**)[٢].

وفي الكافي أيضا عن أبي عبد الله ﵇ قال: (**دخل رسول الله ﷺ على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت أرفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال: أبشر يا محمد فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله، فأقوم في ناحية من دارهم فأقول: ما هذا الجزع فو الله ما تعجلناه قبل أجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب، فإن تحتسبوا، وتصبروا تؤجروا، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا أن لنا فيكم عودة، ثم عودة، فالحذر الحذر، إنه ليس في شرقها، ولا في غربها، أهل بيت مدر، ولا وبر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات، ولأنا أعلم بصغيرهم، وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرني ربّي بها)**[٣].

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص ١٦٦. وأيضًا: الكافي ، مصدر سابق ، ج٢ ص١٣٦

(٢) الكافي، مصدر سابق ، ج٣ ص ١٣٤ ح ١١ ، باب ما يعاينة المؤمن، والكافر، من لا يحضر الفقيه ج١ ص ١٣٥ رقم ٣٦٣.

(٣) الكافي، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١٣٦.

٢- سكرات الموت:

جمع سكرة، وهي شدة الموت الذاهبة بالعقل، وهي تزيد على الغمرات بزيادة الألم[١]. وما يعرض الإنسان حال النزع إذ يشتغل بنفسه، وينقطع عن الناس، كالسكران الذي لا يدري ما يقول، ولا ما يقال له)[٢].

وتتجلّى تلك السكرات في احتباس لسان المحتضر، وشخوص بصره، وترشح جبينه، وتقلص شفتيه، وارتفاع أضلاعه، وعلو أنفاسه، واصفرار لونه، وتبدأ أعضائه بالموت تدريجاً، حيث تبرد قدماه، ثم فخذاه، ثم يداه، وهكذا ...، حتى تبلغ الحلقوم، فينقطع نظره عن الدنيا انقطاعًا لا رجعة فيه ...

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ** ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿ **كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴾[٥].

وفي أمالي الصدوق، عن محمد ابن مسلم، عن أبي جعفر ﷺ، أنه سئل عن قول الله عز وجل: **(وقيل من راق)** قال: **(ذاك قول ابن آدم إذا حضره الموت، قال هل من طبيب، هل**

---

(١) فيض القدير المناوي، ج٢ ص١٣٦

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١٨ ص٣٤٨.

(٣) سورة ق: ١٩.

(٤) الواقعة: ٨٣ -٨٤.

(٥) القيامة: ٢٦- ٣٠.

من دافع؟، قال: (وظن أنه الفراق) يعني فراق الأهل والأحبة عند ذلك، قال :(والتفت الساق بالساق) قال التفت الدنيا بالآخرة، قال: (إلى ربك يومئذ المساق)، إلى رب العالمين يومئذ المصير)[١].

و قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة عجيبة في وصف سكرات الموت، وما يؤول إليه الإنسان المحتضر: (**اجتمعت عليهم سكرة الموت، وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيرت لها ألوانهم. ثم ازداد الموت فيهم ولوجًا، فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وهو إنه لبين أهله، ينظر ببصره، ويسمع بأذنه، على صحة من عقله، وبقاء من لبّه، يفكر فيم أفنى عمره، وفيم أذهب دهره. ويتذكر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرحاتها، ومشتبهاتها. قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها، ويتمتعون بها. فيكون المهنأ لغيره، والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها. فهو يعض يده ندامة على ما أصحر له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه ...، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم)**[٢].

---

(١) أمالي، محمد بن علي الصدوق، ج١ ص٣٥٨، المجلس ٥١ رقم ٤٩٢.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٠٩.

٣- انتزاع الروح:

النزع هو سوق النفس حتى تخرج من البدن، (**أو قلع الشيء من مقره؛ لينقلع منه**)[1].

قال تعالى: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**﴾[2].

(وهذه صفات ملائكة الموت، فإنهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقًا، أي إغراقًا في النزع، فإنهم ينزعونها من أقاصي الأبدان، وينشطون أي يخرجون أرواح المؤمنين برفق)[3].

وقد ذكر الرازيّ في معنى الآية المتقدمة (إن هناك فرقًا بين النزع، والنشط، فالنزع جذب بشدة، والنشط جذب برفق، ولين، فالملائكة تنشط أرواح المؤمنين، فالأول (النزع) إشارة إلى قبض أرواح الكفّار، والثاني (النشط) إشارة إلى كيفية قبض أرواح المؤمنين)[4].

وتتجلى آثار نزع الروح من الإنسان عند غشيانه الموت، فيزيغ بصره، ويعرق جبينه، ويزداد أنينه، ويحشرج صدره، ويطمح بصره، ويقشعر جلده، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (**احذروا يا عباد الله الموت وسكرته، وأعدوا له عدته، فإنه يفجأكم بأمر عظيم بخير لا يكون معه شر أبدًا، أو بشر لا يكون معه خير أبدًا، إنه ليس من أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم أي المنزلتين يصل، إلى الجنة أم إلى النار،أ عدوٌّ هو لله أو وليٌّ، فإن كان وليًا لله فتحت له أبواب الجنة، وشرعت له طرقها،**

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١٤ ص ١٧٤.

(٢) النازعات: ٢.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٧ ص٣١.

(٤) التفسير الكبير، فخر الدين الرازيّ، ج٣١ ص٢٧.

ورأى ما أعدّ الله له فيها، ففرغ من كل شغل، و وضع عنه كل ثقل، وإن كان عدوًا لله فتحت له أبواب النار، وشرعت له طرقها، ونظر الى ما أعد الله له فيها، فاستقبل كل مكروه، وترك كل سرور، كل هذا يكون عند الموت وعنده يكون اليقين)[١].

في حضور النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في حال الاحتضار:

حضور النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، والأئمة من أولاده عليهم السلام، حال الاحتضار من خصائص الإماميّة، وقد ثبت ذلك بالأخبار الصريحة، والصحيحة التي يحصل القطع، واليقين بصدورها، ووضوح دلالالتها، وقد اتفقت كلمة جميع علماء الإماميّة على ذلك، ولم ينكره أحد منهم، حتى أصبحت المسألة من ضروريّات المذهب.

قال الشيخ المفيد رضي الله عنه: (القول في رؤية المحتضرين رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، عند الوفاة هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامية، وتواتر به الخبر عن الصادقين من الأئمة عليهم السلام، وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال للحارث الهمداني:

(يا حارِ همدان من يمت يرني من مؤمن، أو منافق قبلاً)[٢].

قال المجلسي رضي الله عنه: (إن حضور النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخبار)[٣].

وذكر الحر العاملي رضي الله عنه: (ان الأحاديث في ذلك - حضور النبي والأئمة - أكثر من أن

---

(١) تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزيّ، ج٣ ص ٥٢.

(٢) أوائل المقالات، محمد بن محمد المفيد، ص٧١.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص ٢٠٠.

تحصى، وقد تجاوزت حد التواتر، ودلالتها قطعية)[١].

والـذي يُفهـم مـن لسـان الروايـات أن مـن أسـباب هـذا الحضـور المقـدّس للنبـي الخـاتم والأئمـة عليهم السلام عنـد المحتضـر؛ لأجـل حصـول الراحـة، والاطمئنـان، والبشـرى للمـؤمن، وإزالـة الخـوف عنـه مـن قبـل سـاداته عليهم السلام، وحصـول الألـم، والشـدّة، والهـوان للكفار، والمنافقين، والمعاندين، عند رؤية النبيّ وآله عليهم السلام.

روى العياشي في تفسيره قال: (**قال أبو جعفر عليه السلام: إنما يغتبط أحدكم حين تبلغ نفسه هاهنا، فينزل عليه ملك الموت فيقول: أما ما كنت ترجو، فقد أعطيته وأما ما كنت تخافه، فقد آمنت منه، ويفتح له باب إلى منزله من الجنة، ويقال له: انظر إلى مسكنك من الجنة، وانظر هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي، والحسن، والحسين عليهم السلام، رفقاؤك وهو قول الله: (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)**[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**ما يموت موالٍ لنا مبغض لأعدائنا، إلاّ ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين عليهم السلام ، فيرونه، ويبشرونه، وإن كان غير موالٍ لنا يراهم بحيث يسوؤه)**[٣].

وفي أمالي الشيخ الطوسيّ بسنده عن الحارث الهمداني، قال: (**دخلت على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال: ما جاء بك؟ قال: فقلت: حبي لك يا أمير المؤمنين، فقال: يا حارث أتحبني؟ فقلت: نعم والله، يا أمير المؤمنين. قال: أما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا أذود الرجال عن الحوض ذود غريبة الإبل**

(١) الفصول المهمة، الحر العاملي، ص١١٣.
(٢) تفسير العياشي، ج٢ ص١٢٥.
(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج٢ ص٢٦٥.

لرأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا مارٌّ على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله ﷺ لرأيتني حيث تحب)[1].

وفي محاسن البرقي: بإسناده عن الصادق عليه السلام أنّه قال: (**ما بين من وصف هذا الأمر وبين أن يغتبط ويرى ما تقربه عينه، إلا أن تبلغ نفسه هذه، فيقال: أما ما كنت ترجو فقد قدمت عليه، وأما ما كنت تتخوف فقد أمنت منه، وإن أمامك لإمام صدق، أقدم على رسول الله ﷺ، وعلي، والحسن، والحسين عليهم السلام**)[2].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: (**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**) قال: (**ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول الله ﷺ ،وأمير المؤمنين عليه السلام، من الأولين والآخرين**)[3].

وعن الفضل بن يسار عن الباقرين عليهما السلام أنهما قالا: (**حرام على روح أن تفارق جسدها، حتى ترى محمداً ﷺ ، وعليًا عليه السلام، وحسنًا، وحسينًا عليهما السلام، بحيث تقر عينها**)[4].

وعن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن وهب، عن يحيى بن سابور، قال: (**سمعت أبا عبد الله عليه السلام في الميت تدمع عند الموت؛ فقال: ذاك عند معاينة رسول الله ﷺ ، فيرى ما يسره وما يحبه، قال: ثم قال: أما ترى الرجل يرى ما يسره وما يحب**

---

(١) الأمالي، محمد بن علي الطوسي، ص٤٨.

(٢) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج١ ص ١٧٤.

(٣) تفسير العياشي، ج١ ص٢٨٣؛ والفصول المهمة في أصول الأئمة، ج١ ص٣١٣.

(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ج٣ ص ٢٣.

فتدمع عينه ويضحك)[١].

وفي الكافي بإسناده عن أبان بن عثمان، عن عقبة أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إن الرجل إذا وقفت نفسه في صدره يرى، قلت: جعلت فداك وما يرى؟ قال: يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا رسول الله أبشر، ثم يرى علي بن أبي طالب عليه السلام فيقول: أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحب أما لأنفعك اليوم، قال: قلت له: أيكون أحد من الناس يرى هذا ثم يرجع إلى الدنيا؟ قال: إذا رأى هذا أبدًا مات، وأعظم ذلك، قال: وذلك في القرآن قول الله عزّ وجلّ: (الذين آمنوا وكانوا يّتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله)**[٢].

وفي الأمالي، عن الحسين بن عون، قال: دخلت على السيد بن محمد الحميريّ عائدًا في علّته التي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه، وكانوا عثمانيين، وكان السيد جميل الوجه، رحب الجبهة، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمي حتى طبقت وجهه - يعني اسودادا -، فاغتم لذلك من حضره من الشيعة، فظهر من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث بذلك إلاّ قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد أيضا وتنمي حتى أسفر وجهه، وأشرق، وأفتر السيد ضاحكًا، وأنشأ يقول:

كَذَبَ الزّاعُمونَ أنّ عليًّا ... لَنْ ينجيَ مُحِبَّهُ من هَنَاةِ

قَدْ وربِّي دخلتُ جنّة عَدْنٍ ... وَعَفا لي الإلهُ عن سَيِّئاتِي

(١) معاني الأخبار ، محمد بن علي الصدوق، ص ٢٣٦.

(٢) الكافي، مصدر سابق ، ج٢ ص١٣٣ ، تحقيق علي أكبر غفاريّ.

فأبشـــروا اليـــومَ أوليـــاءَ علـــيٍّ وتَولّـــوا عليًّـــا حتـــى الممـــات

ثَـــمّ مِـــنْ بعـــدِهِ تَولّـــوا بنيّـــهِ واحـــداً بعـــدَ واحـــدٍ بالصـــفات

ثم أتبع قوله هذا: (أشهد أن لا إله إلاّ الله حقًّا حقًّا، وأشهد أن محمداً رسول الله حقًّا حقًّا، أشهد أن عليًّا أمير المؤمنين حقًّا حقًّا، أشهد أن لا إله إلا الله)، ثم أغمض عينيه بنفسه، فكأنما كانت روحه ذبالة طفئت، أو حصاة سقطت)[1].

وفي الكافي، عن عدد من الأصحاب، عن ابن أبي يعفور، قال: (**كان خطاب الجهنيّ خليطًا لنا، وكان شديد النصب لآل محمد** ﷺ، **وكان يصحب نجدة الحروريّ، والحرورية طائفة من الخوارج نسبت إلى حروراء، وهي قرية في الكوفة، ونجدة هو رئيسهم**) قال: **(فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقيّة، فإذا هو مغمًى عليه في حد الموت، فسمعته يقول: مالى ولك يا علي، فأخبرت بذلك أبا عبد الله** عليه السلام، **فقال أبو عبد الله** عليه السلام: **رآه وربَّ الكعبة، رآه وربَّ الكعبة)**[2].

ولايخفى أنّ الروايات الكثيرة الواردة في هذا الباب قد بلغت حدّ التواتر، والقطع، ولم يحصل فيها خلاف يذكر، أمّا دلالة هذه الروايات فإنها صريحة في حصول الحضور المبارك للنبي وآله ﷺ، ومعاينة المحتضرين لهم بلا فرق في ذلك بين المؤمنين والعاصين، ولكن الاختلاف في الكيفيّة التي يراهم بها المؤمن من غيره.

---

(١) الآمالي، محمد بن الحسن الطوسيّ، ص ٦٢٨. وانظر: المناقب ، ابن شهر آشوب، ج٣ ص ٢٣.

(٢) الكافي، مصدر سابق ، ج٣ ص١٣٣ ، ح ٩.

كيفيّة الحضور:

وقع الكلام بين الأعلام في كيفية هذا الحضور المقطوع به، وذلك بعد أن أورد الشيخ المفيد والسيد المرتضى إشكالهم في حصول الرؤية الحسيّة لهم ﷺ عند الاحتضار، وذلك لمخالفته العقل؛ إذ لا يمكن رؤية شخص واحد وحضوره عند أشخاص كثيرين في زمان واحد، وفي أمكنة متتعددة، شرقًا، وغربًا، فإذا كان النبي، وأمير المؤمنين يحضران عند كلِّ إنسان المؤمن وغيره، فكيف يتحقق الأمر والناس تموت في كل لحظة، وفي كل مكان، ومن هنا اختار الشيخ المفيد إن رؤية المحتضر لهما ﷺ، هو العلم بثمرة ولايتهما، أو الشكّ فيهم، أوالعداوة لهما، أو التقصير في حقوقهما)[1]،وقد تصدّى كثير من العلماء لدفع هذه الشبهة، والإجابة عليها، وعدم قبول هذا التأويل.

قال الشيخ حسن بن سليمان الحليّ بعد نقل كلام الشيخ المفيد المتقدم: (فإنّا وجدنا هذا التأويلَ لا يوافق الأخبار الواردة عنهم ﷺ الصريحة الصحيحة، من أنّ الأموات يرون الأموات، والأحياء بعد الموت، فكذلك الأحياء يرونهم حقيقة في اليقظة، والنوم ويرون أهاليهم، وما يسرّهم)[2].

وقال العلامة المجلسيّ بعد ذكر الاحتمالات المفسّرة للرؤية قال: (يمكن أن يكون لهم أجساد مثاليّة كثيرةٌ لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة، التي بها امتازوا عن سائر البشر)[3].

وذكر النوريّ من الاحتمالات: (أن يكون المراد من الحضور كشف الحجاب عن بصر المحتضر، فيراهم ﷺ وهم في مستقرهم، و مقامهم، من ذلك العالم من دون حركة، وسير

(١) أوائل المقالات، مصدر سابق ، ص٧٤.

(٢) المحتضر، حسن بن سلمان الحليّ، ص٢.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص٢٠٢.

منهم لذلك، كرؤية الناس جميعًا كوكبًا معيّنًا في آن واحد، في أمكنة متباعدة، ومع ذلك كله فلا يساعده ما مر من الأخبار)[١].

وأجاب السيد محمد علي القاضي الطباطبائيّ ﵀ في تعليقته على الأنوار النعمانية: (اعلم أن الاعتقاد بحضور النبي ﷺ، وأمير المؤمنين؛ بل الأئمة من ولده ﷺ عند المحتضر من اعتقادات الإمامية، ومن العقائد الحقّة الخاصة بهم، وعليه ضرورة مذهبهم،والدليل العقليّ الذي أوجب لسيّدنا علم الهدى، وشيخه الأعظم، شيخنا المفيد، أن ذهبا إلى تأويل الدلائل النقلية الواردة عن أئمتنا، فهو بالنظر إلى الأجسام الطبيعية المادية، ومكانها دليل تام لا شكّ فيه بحسب الظاهر، فإنّ من الواضح أن حضور الجسم الواحد، في آن واحد، وحالة واحدة، في أمكنة متعددة، وجهات مختلفة غير ممكن، ولكن لما لم يتحقق في زمن السيد ﵀ هذه المباحث على نحو التحليل العلمي؛ لذا ذهب السيد ﵀ إلى ذلك التأويل، وأمّا اليوم فقد حُقِّقَ في محلّه أنّ حضورهم ﷺ عند المحتضر لا ينحصر أن يدنوَ في مكان الأجسام الطبيعية كما يتخيل في بادي النظر حتى يرد ذلك الإشكال العقليّ؛ بل من الممكن أن يكون حضورهم في مكان الأجسام اللطيفة، أو مكان الأرواح المجرّدة، ولهم ﷺ بحسب نفوسهم القدسيّة القدرة، والاستعداد بالتصرف في جميع الأمكنة من أمكنة الأجسام الكثيفة، واللطيفة، والأرواح الأدنى، والوسطى، والعليا، وإحاطة التصرف في عالم الملك والملكوت بإذن الله تعالى وإقداره)[٢].

---

(١) دار السلام، النوري، ج٤ ص٢٠٦.

(٢) الأنوار النعمانيّة، السيد نعمة الله الجزائريّ، تعليق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائيّ، ج٤ هامش ص٢١٢؛ وانظر كذلك جنة المأوى، كاشف الغطاء، ص١٧٥

أقول: بعد أنْ ثبت حضورهم عليهم السلام بالأدلّة الصريحة التي لاتقبل الشكّ بحيث أصبحت هذه المسألة من الضروريات، فلا يلزم الفحص عن كيفيّة هذا الحضور المقدس بعقولنا القاصرة، وإنمّا نردّ علمه إلى الله تعالى، وخلفاءه المعصومين عليهم السلام، وذلك بعد أنْ علمنا أنّ الله تعالى قد آتاهم مقام الولاية، والإشراف الحضوري، والشهودي على النّاس في الدنيا، والآخرة، والتصرفات الموهوبة لهم بإذن الله، فهم مظاهر قدرته تعالى، ومحطّ إرادته.

وقد روي عنهم عليهم السلام: (**حديثنا صعب مستصعب لا يتحمله إلاّ ملك مقرب، أو نبيّ مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان**)[1] ولذلك لايتحمّل غير هؤلاء حديثهم وما يصدر منهم، ومن هنا كان التسليم، والرضا، والتوقف عند الأمور الغيبية، من أهّم أركان الإيمان، وهذا يعني عدم الاعتراض، والتوقف لمجرد استبعاد العقل؛ مع أنّ كثيراً من تصرفات الأئمة عليهم السلام خارجُ حدودِ عقولنا، وتصوراتنا.

(ولقد حكى الله سبحانه وتعالى ما جرى بين موسى والخضر عليهما السلام، من كون موسى لم يقدر على احتمال ما أراه الخضر، هذا مع علمه بأنّ الله سبحانه أمره أنْ يتبعه، ويتعلّم منه، ومع وعده إيّاه أنّه لا يعصى له أمراً بعد أنْ شرط عليه القبول والتسليم، فلمّا رأى ما لا يقبله عقله، ولا يتمكّن من احتماله، أنكره عليه وهو نبيّ جليل القدر، معصوم، أحد أُولي العزم، فما ظنك فيمن دونه)[2].

نسبة التوفي في القرآن الكريم:

التوفي: قبض الشيء على الإيفاء، والإتمام، وهي من مادة (و ف ى) ، ومعناها استيفاء

(١) انظر: بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصفار، ص٤١.

(٢) المحتضر، حسن بن سليمان الحليّ، ص٢٣.

الشئ من دون أيّ نقص، يقال: توفيت المال، واستوفتُهُ، وهو أخذ الحق كاملاً، قال في الكشّاف : (إنّ التوفي استيفاء النفس، وهي الروح، وهو أنْ يقبض كله لا يُترك منه شيءٌ، من توفيت حقي من فلان، واستوفيته: أخذته وافيًا كاملاً[١]؛ ولذا يستعمل في الموت؛ لأنّ الله يأخذ عند الموت نفس الإنسان من بدنه؛ **قال تعالى:** ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾[٢] أي أماتته.

والحقيقة التي يبيّنها القرآن الكريم أنّ واقعية الإنسان إنّما تكمن في غير بعده المادي، وإنّما في بعده الروحي؛ لأنّ روحة قد توفيت، أي أُخذت بتمامها، وهي باقية، وخالدة لا ينالها الفناء.

وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾[٣] إن الضمير في قوله: (يتوفاكم) تدل على الشمول، والاستيعاب، فما يقبضه ملك الموت إنّما هو كل حقيقة الإنسان، فليست الروح جزء وبعض من الإنسان؛ بل الروح كل الإنسان فما يستوفى بالموت، ويؤخذ بتمامه هو الروح فقط، أمّا الجسد فلا استيفاء له مطلقاً.

وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى**﴾[٤].

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشريّ، ج٣ ص٢٤٢.

(٢) الأنعام: ٦١.

(٣) السجدة: ١١.

(٤) الزمر: ٤٢.

(والتأمّل في الآيتين الأخيرتين يُعطي أن التوفّي لم يستعمل في القرآن بمعنى الموت؛ بل بعناية الأخذ والحفظ، وبعبارة أخرى إنّما استعمل التوفّي بما في حين الموت من الأخذ للدلالة على أن نفس الإنسان لا تبطل، ولا تفني بالموت الذي يظن الجاهل أنه فناء، وبطلان؛ بل الله تعالى يحفظها حتى يبعثها للرجوع إليه، وإلاّ فهو سبحانه يعبر في الموارد التي لا تجري فيه هذه العناية بلفظ الموت دون التوفي كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا** ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الكثيرة جداًّ حتى ما ورد في عيسى عليه السلام بنفسه كقوله: ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾[3] ، وقوله: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾[4] ، فمن هذه الجهة لا صراحة للتوفي في الموت. على أن قوله تعالى في ردَّ دعوى اليهود ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ يؤيدّ ذلك أن اليهود كانت تدّعي أنّهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وكذلك كانت تظن النصارى أن اليهود قتلت عيسى بن مريم عليه السلام بالصَلْب، غير أنهم كانوا يزعمون أن الله سبحانه

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الفاطر: ٣٦.

(٣) مريم: ٣٣.

(٤) النساء: ١٥٩.

رَفَعه بعد قتله من قبره إلى السماء على ما في الأناجيل، والآيات كما ترى تكذّب قصة القتل، والصلب صريحا)[١].

ثم إنّ القرآن الكريم تارة ينسب التوفي إلى الله تعالى كما في قوله: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾[٢]، وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي** ﴾[٣]، وأُخرى ينسبه إلى ملك الموت عليه السلام وهو قوله: ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ** ﴾[٤].

وثالثة إلى الرسل الذين هم ملائكة الله تعالى، كما في قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**﴾[٥].

إنّ الإيمان بحصر التدبير بالله تعالى، وإنّه لافاعل بالاستقلال في عالم الوجود غيره تعالى لاينافي وجود مؤثرات مدبَّرة بأمرِهِ سبحانه، وتابعة لإرادته فيثبت لها بعض الأفعال التي تقوم بها بإذنه تعالى، فالمتوفي للأنفس بالاستقلال هو الله تعالى مع نسبة هذا التوفي أيضًا إلى فواعل من ملك الموت عليه السلام، وأعونه من الرسل والملائكة؛ لأنّ فعل الجميع هو فعل الله، وقد ورد هذا المعنى في عدد من الروايات، ففي الفقيه عن الصادق عليه السلام أنّه سُئِل عن قول الله عز وجل: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾، وعن قول الله عزّ وجل: ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ**

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج ٣ ص ٢٠٦ .
(٢) الزمر: ٤٢ .
(٣) المائدة: ١١٧.
(٤) السجدة: ١١.
(٥) الانعام: ٦١.

الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾، وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾، و﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾[١]، وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[٢]وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[٣] وعن قوله عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾[٤]، **وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصيه إلّا الله عزّ وجلّ فكيف هذا ؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعوانًا من الملائكة، يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس، ويبعثهم في حوائجه، فتتوفاهم الملائكة، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة، مع ما يقبضه هو، ويتوفّاها الله عزوجل من مَلَك الموت)**[٥].

ومثله مارواه الصدوق في التوحيد عن أمير المؤمنين ﵇ في حديث طويل عن سؤال السائل عن مسائل كثيرة منها نسبة التوفي في الآيات المتقدّمة.

فقال ﵇: (**إنّ الله تبارك وتعالى يدبّر الأمور كيف يشاء، ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء، أمّا ملك الموت فإنّ الله يوكله بخاصة من يشاء من خلقه، ويوكل رسله من الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه، والملائكة الذين سماهم الله عزّ ذكره وكلّهم بخاصة من يشاء من خلقه، إنه تبارك وتعالى يدبر الأُمور كيف يشاء، وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكل الناس؛ لأنّ منهم القوي والضعيف؛ ولأنّ منه ما يطاق حمله، ومنه مالا يطاق**

(١) النحل: ٢٨.

(٢) النحل: ٣٢.

(٣) الأنعام: ٦١.

(٤) الأنفال: ٥٠.

(٥) من لايحضر الفقيه، مصدر سابق، ج١ ص١٢٥ باب ٢٣ غسل الميت ح٢٦.

حمله إلاّ من يسهل الله له حمله وأعانَه عليه من خاصّة أوليائه، وإنّما يكفيك أنّ تعلم أنّ الله هو المحيي المميت، وأنّه يتوفّى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم)[١].

ونلاحظ في قوله عليه السلام: (وغيرهم) ظاهره أنّ سبحانه ربما توفاها على يدي غير الملائكة من خلقه، فهو معنًى غريب، ويمكن أنْ يراد به بعض المقربين من الأولياء العالين درجة من الملائكة، المتمكّنين في مقام الأسماء كالقابض والمميت)[٢].

وفي خبر سؤال الزنديق لأمير المؤمنين عليه السلام عن توهم التناقض بين آيات القرآن الكريم قال أمير المؤمنين عليه السلام **فأما قوله: الله يتوفى الأنفس حين موتها، وقوله يتوفاكم ملك الموت، وتوفته رسلنا، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين، والذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، فهو تبارك وتعالى أجلُّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهّم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرةً بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكل ما يأتون منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله؛ لأنهّ يتوفّى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي القران ويمنع، ويثيب،**

---

(١) التوحيد، محمد بن علي الصدوق، ص٢٦٢ الباب ٣٦ ح٥.

(٢) الإنسان والعقيدة، العلامة محمد حسين الطباطبائي، ص٦٨.

ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمنائه فعله، كما قال: وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله)[1].

وفي هذا المعنى الوارد في رواية أمير المؤمنين من التفريق بين المباشرين لقبض الأرواح، إذ أن هناك أرواحًا مؤمنةً، وأخرى جاحدة، فالقابض سيكون متصفًا بما يناسبها من الرحمة، أو العذاب، ومن هنا ذكر ابن عربي في تفسيره: إنّ التوفي على ثلاثة أوجه:

توفّي الملائكة، وتوفّي ملك الموت، وتوفّي الله. أمّا توفّي الملائكة فهو لأصحاب النفوس، وهم إمّا سعداء أهل الخير، والصفات الحميدة، والأخلاق الحسنة من الصالحين المتقّين: ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2]، فمعادهم إلى جنة الأفعال، وأمّا أشقياء أهل الشر، والصفات الرديئة، والأخلاق السيئة، فلا يقبض أرواحهم إلاّ القوى الملكوتيّة التي هي للعالم بمثابة قواهم التي هم في مقامها، محتجبون بصفات النفس، ولذّات القوى الخياليّة، والوهميّة، والسبعيّة، والبهيميّة، من الكافرين: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾[3]، فمعادهم إلى النار. وأمّا توفي ملك الموت فهو لأرباب القلوب الذين برزوا عن حجاب النفس إلى مقام القلب، ورجعوا إلى الفطرة، فتنوروا بنورها، فتقبض أرواحهم النفس الناطقة الكليّة التي هي قلب العالم باتصالهم بها، هذا إذا قبض أرواحهم ملك الموت بنفسه، أما إذا قبضها بأعوانه وقواهم فهم الفريق الأول. وقد يقبض بنفسه، ويذرهم في ملكوت العذاب حتى يحاسبوا ويعاقبوا بحسب رذائلهم ويتخلّصوا، وذلك للكمال العلميّ، والنقصان العلميّ، كما خلص من الجهل، والشرك،

---

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١، ص٣٦٧ – ٣٦٨.

(٢) النحل: ٣٢.

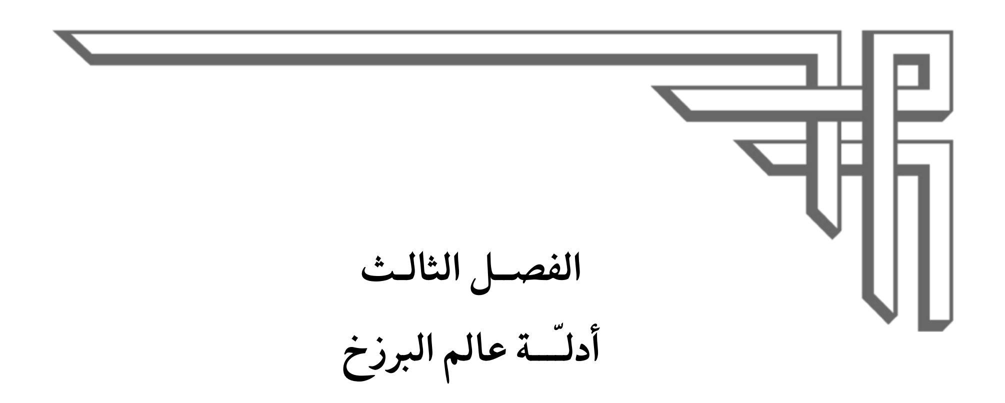
(٣) النحل: ٢٨.

وتحلّى بالعلم، والتوحيد، ولكن تراكمت على قلبه الهيئات المظلمة، والملكات الرديئة؛ بسبب الأعمال السيئة، والأخلاق الذميمة، وللعلم بالتوحيد، والجهل بالمعاد، كالموحد المنكر للجزاء، فينهمك في المعاصي؛ كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ** ﴾[١]. وأما توفي الله تعالى، فهو للموحدين الذين عرجوا عن مقام القلب إلى محل الشهود فلم يبق بينهم وبين ربهم حجاب، فهو يتولّى قبض أرواحهم بنفسه، ويحشرهم إلى نفسه:﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا** ﴾[٢])[٣].

(١) السجدة: ١١.

(٢) مريم: ٨٥.

(٣) تفسير ابن عربي ،ابن عربي، ج١ ص١٧٥.



الفصـــل الثالــث

أدلّـــة عالم البرزخ

المبحث الأوّل: الأدلّة القرآنيّة.

المبحث الثاني: الأدلّة الروائيّة.

المبحث الثالث: أقوال العلماء.



توطئة: التعريف بالبرزخ

ورد في اللسان: البرزخ مابين شيئين، وفي الصحاح: الحاجز بين الشيئين، والبرزخ مابين الدنيا والأخرى قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ، وبرازخ الإيمان مابين الشك واليقين، وقيل مابين أول الإيمان وآخره، والبرازخ جمع برزخ، وقوله تعالى:﴿**بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**﴾[1]، يعني حاجزًا من قدرة الله تعالى وقيل: أي حاجزًا خفيًّا وقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا** ﴾[2] ؛أى حاجزًا قال: (والبرزخ، والحاجز،والمهلة، متقاربان في المعنى؛ وذلك أنك تقول: بينهما حاجزٌ أن يتزاورا، فتنوي بالحاجز المسافة البعيدة، وتنوي الأمر المانع مثل اليمين والعداوة، فصار المانع في المسافة كالمانع من الحوادث، فوقع عليها البرزخ)[3].

وذكر ابن فارس في المقاييس (البرزخ الحائل بين الشيئين،كأن بينهما برازًا؛ أي متسعًا من الأرض، ثم صار كل حائل برزخًا، فالخاء زائدة)[4].

وقيل: (البرزخ الحجاب بين الموت، والرجوع إلى الدنيا، وقيل: ما بين الدنيا، والآخرة،

---

(١) الرحمن:٢٠.

(٢) الفرقان:٥٣.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٣ ص٨

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ج١ ص٣٣٣.

والعرب تسمي كل حاجز بين شيئين برزخًا، كما قال سبحانه: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[1].

البرزخ في الاصطلاح:

دار أخرى متوسطة بين الدنيا والآخرة، ينال الإنسان فيها بعض الثواب، والعقاب، فتكون أنموذجًا عن جنة يوم القيامة، وجهنمها، وهذا العالم (هو عالم القبر وهو عالم المثال الذي يعيش فيه الإنسان بعد موته إلى قيام الساعة)[2]. ويطلق على البرزخ عالم المثال؛ لأنّه يمثل الحد الفاصل بين الأجسام الكثيفة العنصريّة، وعالم الأرواح المجرّدة .

وفي حديث الصادق عليه السلام: (**البرزخ القبر، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا، والأخرى**)[3].

مباحث الإثبات:

في هذه المباحث سوف نتناول الأدلّة التي أقيمت لإثبات حقيقة هذا العالم البرزخي، والذي هو واقع عقلاً لا مكانةً، وتواتر السمع بوقوعه لما أخبر به القرآن الكريم، وما جاء من الأخبار الصحيحة عن النبي وآله (صلوات الله عليهم)، واتفقت عليه كلمة الأُمة خلفًا وسلفًا.

---

(١) معاني القرآن، النحاس، ج٤ ص ٤٨٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ج١٥ ص٦٨.

(٣) تفسير القمي، مصدر سابق ، ج١ ص ٢٠.

المبحث الأوّل

الأدلّة القرآنيّة على إثبات البرزخ

هناك آيات قرآنية كثيرة تدل على وجود عالم البرزخ، يمكن أن نلاحظ منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[1]. الآية المباركة في معرض تنبيه المسلمين إلى هذه العقيدة، وهي الحياة بعد الموت وتطميناً لنفوس المجاهدين في سبيل الله عند القتل، ومفارقة الدنيا، وهذه الحياة التي عبرعنها القرآن الكريم: ﴿ **بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾؛ هي الحياة في النشأة البرزخيّة غير المسانخة للمادة، وهذه الحياة وإن لم تختص بالشهداء فهي تعمّ كثيرًا من الناس، ولكن حياة الشهداء فيها من النوع الكامل المقرون بأنواع النعم المعنويّة، والسرور الذي لا حزن معه، والدرجات الرفيعة التي لا يمكن لأحد أن يسبقهم إليها؛ لذا خصّهم بالذكر، وقد ذكر الطبرسيّ في مجمع البيان أقوالاً عدّة في معنى حياة الشهداء؛ إذ قال : (أحدها هو الصحيح أنهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وإليه ذهب الحسن، وعمر بن عبيد، وواصل بن عطاء، واختاره الجبائيّ، والرمانيّ، وجميع المفسرين)[2].

وذكر السيوطي أن للناس في معنى حياة الشهداء كلامًا كثيرًا، منه أنه: (يجوز أن يحييهم

---

(١) البقرة: ١٥٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ج١ ص ٤٣٧١.

الله في قبورهم، وأرواحهم تكون في جزء من أبدانهم، يحس جميع بدنه النعيم، واللّذّة؛ لأجل ذلك الجزء كما يحس جميع بدن الحي في الدنيا ببرودة، أو حرارة تكون في جزء من أجزاء بدنه، وقيل: المراد أن أجسامهم لا تبلى في قبورهم، ولا تنقطع، أوصالهم، فهم كالأحياء في قبورهم، وقال أبو حيان في البحر: اختلف الناس في هذه الحياة، فقال قوم: معناها بقاء أرواحهم دون أجسادهم؛ لأنا نشاهد فسادها، وفناءها، وذهب آخرون إلى أن الشهيد حي الجسد، والروح، ولا يقدح في ذلك عدم شعورنا به، فنحن نراهم على صفة الأموات وهم أحياء، كما ترى النائم على هيئة وهو يرى في منامه ما يتنعّم به، أو يتألم، وقال الجزوليّ من المالكيّة في شرح الرسالة: اختلف في حياة الشهداء فمنهم من قال حياتهم غير مكيّفة ولا معقولة للبشر، وهي مما استأثر الله بها، كذاته، وصفاته، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿**وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ وقيل: لأنهم يرزقون، ويأكلون، ويتنعمون، كالأحياء ،وقيل: لأن أرواحهم تركع، وتسجد تحت العرش إلى يوم القيامة، وقيل: لأن أجسامهم لا يأكلها التراب، قال: واختلف في أرواحهم فقيل: إنها في حواصل طير خضر، وقيل: الطير نفسه هو الروح؛ لأنه وعاؤها، وقال الحافظ زين الدين بن رجب في كتاب أهوال القبور: الفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين من وجهين، أحدهما: أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد كما وهي الطير التي تكون في حواصلها؛ ليكمل بذلك نعيمها، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله، فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ، والآخر: أنهم يرزقون من الجنة، وغيرهم لم يثبت في حقه مثل ذلك، وقد نقل ابن العربيّ في سراج المريدين إجماع الأمة على أنه لا يعجل الأكل، والنعيم لأحد إلا للشهداء، ثم قال السيوطيّ إذا قلنا بأن الروح نفسها طير لا أنها في جوفه، فقد يتوهم من ذلك

أنها على هيئة الطير، وشكله، وفيه وقفة فإن روح الإنسان إنما هي على صورته، ومثاله، وشكله، والذي ينبغي أن يفهم من هذا أنها كالطير في الطيران فقط، وقد تقدم في كلام القاضي عياض استبعاد هذا، وقد استبعده أيضًا السهيليّ، وقال إن صورة الآدمي أكمل الصور، وأشرفها، فلا تغير إلى صورة غيرها، وهو كلام متّجه ويشير إلى هذا قول ابن العربي: أو يكون على هيئة طائر في صفاته، أي لا في ذاته، وشكله، ويكون المراد بصفاته الطيران، والقوة، والتعلق بالأشجار، ونحو ذلك)[١].

وقد عالج أئمة أهل بيت العصمة ﷺ ما يتعلق بالحياة البرزخية، ومصير الأرواح بما ينسجم مع روح القرآن الكريم، ولا تأباه الأذهان السليمة، بعد أن رد الأئمة ﷺ مضمون بعض الروايات، والآراء المتقدّمة الضيقة، من كون أرواح الشهداء في حواصل الطيور في عالم البرزخ، فأكّدوا ﷺ من أن روح المؤمن أكرم على الله من أن يضعها في حوصلة طائر، وإنّما يكون في قالب كقالبه في الدنيا، وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في بحث الجسد المثالي.

وذكر الجصّاص في أحكام القرآن في معنى الآية المتقدمة: (أنها إخبار بإحياء الله تعالى الشهداء بعد موتهم، ولايجوز أن يكون المراد أنهم سيحيون يوم القيامة؛ لأنه لو كان هذا مراده لما قال ﴿ **وَلَكِن لَا تَشْعُرُونَ** ﴾؛ لأن قوله: ﴿ **وَلَكِن لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ إخبار بفقد علمنا بحياتهم بعد الموت، ولو كان المراد من الحياة يوم القيامة لكان المؤمنون قد شعروا به، وعرفوه قبل ذلك، فيثبت أن الحياة الحادثة بعد موتهم قبل يوم القيامة، وإذا جاز أن يكون المؤمنون قد أحيوا في قبورهم قبل يوم القيامة وهم منعمون فيها جاز أن يحيا الكفار في قبورهم.

فان قيل: (لمّا كان المؤمنون كلهم منعمون بعد الموت، فكيف خص المقتولين في

---

(١) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، جلال الدين السيوطيّ، ج ٤ ص ٤٨١.

سبيل الله تعالى ؟؛ قيل: جاز أن يكون اختصاصهم بالذكر تشريفًا لهم على جهة تقديم البشارة بذكر حالهم) [١].

دفع توهم:

قد يقال: إنّ المراد بهذه الحياة التي وصفها القرآن الكريم للشهداء بقوله: ﴿ **بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾، إنّما هي الحياة التقديريّة المجازيّة، بمعنى الذكر الجميل، والثناء عليهم من قبل الناس في الدنيا؛ لأنّ هدفهم حيّ، ورسالتهم حيّة، وليس المقصود الحياة الحقيقية بعد الموت، وقبل يوم القيامة.

وفي الجواب عن هذا التوهم قال العلامة الطباطبائيّ ﵁:

أولاً: أن كون هذه حياة إنّما هو في الوهم فقط دون الخارج، فهي حياة تخيليّة ليس لها في الحقيقة إلاّ الاسم، ومثل هذا الموضوع الوهميّ لا يليق بكلامه، وهو تعالى يدعو إلى الحق، ويقول: ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾[٢].

نعم: هذا القول الباطل، والوهم الكاذب، إنّما يليق بحال الماديين، وأصحاب الطبيعة، فإنهم اعتقدوا ماديّة النفوس، وبطلانها بالموت، ونفوا الحياة الآخرة، ثم أحسّوا باحتياج الإنسان بالفطرة إلى القول ببقاء النفوس، وتأثرها بالسعادة، والشقاء بعد موتها في معالي أمور لا تخلو في الارتقاء إليها من التغذية، والتضحية، لاسيّما في عظائم العزائم التي يموت، ويقتل فيها أقوام، ليحيا ويعيش آخرون، ولو كان كل من مات فقد فات بمعنى تلاشى،

---

(١) أحكام القران، الجصّاص، ج١ ص ١١٣.

(٢) يونس: ٣٢.

واندثر، وليس بعد موته أي حياة لـم يكـن داع للانسـان أن يبطـل ذاتـه ليبقـى ذات آخـرين، ولا باعث له أن يحرم على نفسه لّذّة الاستمتاع مـن جميـع مـا يقـدر عليـه بـالجور؛ ليتمتـع آخـرون بالعدل، فالعاقل لا يعطي شيئًا إلا ويأخذ بدلـه، وأمـا الإعطـاء مـن غيـر بـدل، والتـرك مـن غيـر أخذ، كالموت في سبيل الغير، والحرمان في طريق تمتع الغير، فالفطرة الإنسانية تأباه.

وثانيًا: أن ذيل الآية وهو قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾، لا يناسـب هـذا المعنـى؛ بـل كان المناسب له أن يقال: بل أحيـاء ببقـاء ذكـرهم الجميـل، وثنـاء النـاس علـيهم بعـدهم؛ لأنـه المناسب لمقام التسلية، وتطييب النفس.

وثالثًا: أن نظير هذه الآيـة وهـي - تفسـرها- وصـف حيـاتهم بعـد القتـل بمـا ينـافي هـذا المعنى؛ قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[1]، ومعلوم أن هذه الحياة حياة خارجيّة حقيقيّة، وليست تقديريّة)[2] .

وقد ذكر العلامة أيضًا معنًى في غاية المتانة في قوله تعـالى: ﴿**أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾، وهي مع الرزق الإلهي، والسرور، الذي يجده الشهداء، متضـمنة رفـع مطلـق الخـوف عنهم، وهو يدل على أنّ حياتهم البرزخيّة في أكمل درجات الحقيقة، وليست تقديريّة.

قال: (وهذه الجملة أعني قولـه: ﴿**أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾، كلمـة عجيبـة، كلمـا أمعنت في تدبرها زاد في اتساع معناهـا علـى لطـف، ورقـة، وسـهولة بيـان، وأوّل مـا يلـوح مـن معناها أن الخوف، والحزن مرفوعان عنهم، والخوف إنّما يكون من أمر ممكن محتمـل يوجـب

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدرسابق، ج٢ ص٢٨٨.

انتفاء شئ من سعادة الإنسان التي يقدر نفسه واجدة لها، وكذا الحزن، إنما يكون من جهة أمر واقع يوجب ذلك، فالبلية، أو كلّ محذور إنّما يخاف منها إذا لم يقع بعد، فإذا وقعت زال الخوف، وعرض الحزن، فلا خوف بعد الوقوع، ولا حزن قبله. فارتفاع مطلق الخوف عن الإنسان إنّما يكون إذا لم يكن ما عنده من وجوه النعم في معرض الزوال، وارتفاع مطلق الحزن إنّما يتيسر له إذا لم يفقد شيئًا من أنواع سعادته لا ابتداء، ولا بعد الوجدان، فرفعه تعالى مطلق الخوف، والحزن عن الإنسان، معناه: أن يفيض عليه كل ما يمكنه أن يتنعم به، ويستلذّه، وأن لا يكون ذلك في معرض الزوال، وهذا هو خلود السعادة للإنسان، وخلوده فيها)[١].

الآية الثانية: قوله تعالى :﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٢].

الآية الكريمة في معرض بيان أحوال العاصين، إذا حضر أحدهم الموت، وأشرف عليه سأل الله تعالى الرجوع إلى دار الدنيا بعد أن عاين مكانه الذي يصير إليه؛ لأنّه لايموت أحد حتى يعرف منزلته عند الله تعالى، وأنه من أهل الثواب، أوالعقاب، ثم عقّب القرآن بقوله: ﴿**كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾، وهنا محل الكلام حيث أن في الآية الكريمة (تصريح لا غموض فيه بوجود حياة متوسطة بين الموت، والبعث، وإنّما سميت برزخًا؛ لكونها حائلاً بين الدنيا، والآخرة، ولا تتحقّق الحيلوله إلاّ بأن يكون للإنسان

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج ٤ ص ٦١.

(٢) المؤمنون: ٩٩- ١٠٠.

واقعية في هذا الحد الفاصل، إذ لو كان الإنسان بين هاتين الفترتين معدومًا، لما صح أن يقال بين الحالتين برزخ، وهو حائل، وفاصل بين الإنسان في الدنيا، والإنسان في الآخرة)[١].

ومراد الآية بكون البرزخ (**ورائهم**)، بمعنى: أمامهم محيطًا بهم، وسمى ورائهم بعناية إنه يطلبهم، كما أن مستقبل الزمان أمام الإنسان، ويقال: وراءك يوم كذا بعناية أن الزمان يطلب الإنسان؛ ليمر عليه، وهذا معنى قول بعضهم: أن في (وراء) معنى الإحاطه، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾[٢].

الآية الثالثة: قوله تعالى في آل فرعون : ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۞ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[٣] ، الآية الكريمة صريحة في إثبات الحياة البرزخيّة وذلك:

أولاً: لأنّ العطف بالواو يقتضي المغايرة بين العذاب الأول ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا** ﴾، وسبق العذاب يوم القيامة الذي عبرت عنه الآية ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾.

وثانيًا: الاختلاف بلحاظ العذاب المتوجه إليهم بحسب النشآت، فهم يعرضون على النار بعد مماتهم في حياتهم البرزخيّة ويوم القيامة يعذّبون بأشد العذاب.

وثالثًا: تخصيص العرض على النار في النشأة البرزخيّة بالغدو، والعشي، وإطلاق العذاب

---

(١) في ظلال التوحيد ، جعفر السبحانيّ، ص٤٢٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١٥ ص٥٦.

(٣) غافر: ٤٥-٤٦.

يوم تقوم الساعة، والذي لا يتصوَّر فيه الغدو، والعشي، وهذا المعنى هو المروي عن أبي عبد الله ﷺ؛إذ قال: (**ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة؛ لأن في نار القيامة لا يكون غدوٌ، وعشيٌّ، ثم قال: إن كانوا يعذبون في النار غدوًا وعشيًّا ففي ما بين ذلك هم من السعداء، لا ولكن هذا في البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾**)[1].

قال العلامة الطباطبائيّ قدس سره في بيان هذه الآية، أنها صريحة:

أولاً: في أن هناك عرضاً على النار، ثم إدخالهم فيها، والإدخال أشدّ من العرض.

وثانيًا: في أن العرض على النار قبل قيام الساعة التي فيها الإدخال، وهو عذاب البرزخ - عالم متوسط بين الموت والبعث-.

وثالثًا: أن التعذيب في البرزخ، ويوم تقوم الساعة بشيء واحد وهو نار الآخرة؛ لكنّ البرزخيين يعذبون بها من بعيد، وأهل الآخرة بدخولها[2].

وذكر الجصّاص في أحكام القرآن: (هذه الآية تدل على عذاب القبر؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾، فدلّ على أن المراد بقوله: يعرضون عليها غدوًّا، وعشيًّا، قبل القيامة)[3]، وذكر القرطبيّ في تفسيره أنّ (الجمهور على إن هذا العرض في

(١) مجمع البيان، مصدر سابق ، ج٨ ص٤٤٥ .
(٢) الميزان في تفسر القرآن، مصدر سابق، ج١٧ ص٢٧٢ .
(٣) أحكام القرآن، مصدر سابق ، ج٣ ص٥٠٧.

البرزخ)[١]، وكذا الشوكانيّ في فتح القدير، (إن الآية فيها دلالة واضحة على أن العرض في البرزخ)[٢].

الآية الرابعة: قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .... قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** ﴾[٣]، القصة عند مشهور المفسرين تدور حول الرجل المؤمن (حبيب النجار)، ومجيئه من أقصى المدينة بعد أن بلغه أن قومه قد كذّبوا الرسل، وهمّوا بقتلهم، وكانت نتيجة معارضته لهم، وتأييده الرسل أن قتلوه، وبمجرّد حصول القتل نودي (قيل ادخل الجنة) بدون فصل بين القتل، والدخول إلى الجنة، ولا يمكن تصور هذه الجنّة التي انتقل إليها إلاّ جنة البرزخ، وما قيل من إن المقصود بهذه الجنة هي التي سوف يصير إليها في الآخرة، وقد جاء التعبير بالماضي لتحقق الوقوع، أو أن الله تعالى خلق له جنة خاصة به لايموت إلاّ بانقضاء الدنيا، وفناء تلك الجنة، أو أن الخطاب ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ**﴾ هو قول القوم الذين قتلوه استهزاءً بما يعتقد كل ذلك تحكم من دون دليل، كما ذكرذلك العلامة الطباطبائيّ[٤].

قال القرطبي في تفسيره: والظاهر من الآية أنّه لما قُتل قيل له: ادخل الجنة، قال قتادة

---

(١) تفسير القرطبيّ، القرطبيّ، ج١٥ ص٣١٨.

(٢) فتح القدير، الشوكانيّ، ج٤ ص٤٩٤.

(٣) يس : ٢٠- ٢٩.

(٤) انظر:الميزان في تفسير القرآن، مصدرسابق، ج١٧ ص٧٩.

أدخله الله الجنة، وهو فيها حيٌّ يرزق، أراد قوله : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[1].[2] كما هي سنّة الله عزّ وجلّ في الشهداء، والشاهد أنّ هذه الجنة التي دخلها مؤمن آل فرعون هي الجنة البرزخيّة؛ لقوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ** ﴾ إذ تمنّى أن يعلم قومه الأحياء في الدنيا ما أعطاه الله من الثواب الجزيل والإكرام. ومن الواضح أن دخول الجنّة هنا، والتمنّي إنما هو قبل قيام الساعة، بدلالة قوله تعالى في الآية اللاحقة: ﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ** ﴾؛ إذ قتلوا جميعًا بعده بالصيحة.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ** ﴾[3].

الآية المباركة تدلّ بوضوح على أنّ الإنسان عندما يصل إلى يوم القيامة يكون قد مرّت عليه إماتتان، وإحياءان، والمدّعى:

إنّ الإماتة الأولى هي عند الانتقال من الدنيا.

والإحياء الأوّل هو في عالم البرزخ بعد الانتقال من الدنيا .

والإماتة الثانية عند النفخ في الصور قبل يوم القيامة .

والإحياء الثاني عند نفخ الصور الثاني ليوم القيامة .

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدرسابق، ج١٥ ص١٧.

(٣) غافر: ١١.

وقد ذكر القرآن الكريم الإماتة والإحياء الآخرين بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[١]؛ وعليه فالآية تشير إلى الإماتة بعد الحياة الدنيا، والإماتة بعد الحياة البرزخية، وإلى الإحياء في البرزخ، والإحياء ليوم القيامة، ولولا الإحياء البرزخي لم تتحقّق الإماتة الثانية عند(نفخ الصور)؛ لأنها متوقفة على وجود الحياة قبلها -وهو هاهنا- في عالم البرزخ.

قال الشيخ البهائي ﵀: (اشتهر الاحتجاج في الكتب الكلامية في إثبات عذاب القبر بقوله تعالى حكاية عن الكفار: ربنا أمتنا اثنتين الآية، وتقريره أنّه سبحانه حكى عنهم على وجه يشعر بتصديق الاعتراف بإماتتين وإحيائيين، فإحدى الإماتتين في الدنيا، وإلأخرى في القبر بعد السؤال، وأحد الإحياءين فيه للسؤال، والآخر في القيامة، وأمّا الإحياء في الدنيا فإنّما سكتوا؛ لأن غرضهم الإحياء الذي عرفوا فيه قدرة الله سبحانه على البعث، ولهذا قالوا: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾، أي بالذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، والإحياء في الدنيا لم يكونوا فيه معترفين بذنوبهم، قال المحقّق الشريف في شرح المواقف: إن تفسير هذه الآية على هذا الوجه هو الشائع المستفيض بين المفسرين، ثم قال: وأمّا حمل الإماتة الأولى على خلقهم أمواتًا في أطوار النطفة، وحمل الإماتة الثانية على الإماتة الطارئة على الحياة، وحمل الإحياءين على الإحياء في الدنيا، والحشر فقد رُدّ بأن الإماتة إنّما تكون بعد سابقة الحياة، ولا حياة في أطوار النطفة، وبأنه قول شذّاذ من المفسرين، والمعتمد هو قول الأكثرين)[٢].

ولقد ذهب جملة من المفسرين إلى هذا الرأي الذي ضعّفه صاحب المواقف، وتقريره

(١) الزمر: ٦٨.

(٢) الأربعون حديثًا، الشيخ البهائيّ العامليّ، ص٤٨٩ .

إنّ الأماتة الأولى حال كونهم نطفًا، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة الثانية، ثم أحياهم للبعث، فهاتان حياتان، وموتتان، ونظيره قوله: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا** ﴾، وهو مروي عن ابن عباس، وقتادة، والضحّاك، وأبو مسلم[1].

والملاحظ في هذا التعبير أنه يستلزم نفي الحياة البرزخية المتضمن للثواب، والعقاب بعد الموت، وهو مما لا يمكن الالتزام به حتى عند كثير من المفسرين الذين ذهبوا إلى هذا التعبير؛ قال العلامة السيد الطباطبائيّ: (وربما ذكر بعض المنكرين للبرزخ أن الآيتين أعني قوله:﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا**﴾، وقوله: ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾متحدتا السياق، وقد اشتملتا على موتين، وحياتين فمدلولهما واحد؛ وهو خطأ، فإن الآيتين مختلفتان سياقًا؛ إذ المأخوذ في الآية الأولى موت واحد، وإماتة واحدة، وإحياءان، وفي الآية الثانية إماتتان وإحياءان، ومن المعلوم أن الإماتة لا يتحقق لها مصداق من دون سابقة حياة، بخلاف الموت، فالموت الأول في الآية الأولى غير الإماتة الأولى في الآية الثانية، فلا محالة في قوله تعالى: ﴿ **أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾ الإماتة الأولى هي التي بعد الدنيا، والإحياء الأول بعدها للبرزخ، والإماتة، والإحياء الثانيتان للآخرة يوم البعث وفي قوله تعالى: ﴿**وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**﴾، إنّما يريد الموت قبل الحياة، وهو موت وليس بإماتة، والحياة هي الحياة الدنيا، وفي قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ حيث فصل بين الإحياء والرجوع بلفظ ثم تأييدًا لما ذكر)[2].

---

(١) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ٨ ص ٤٣٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١ ص٩٨.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**﴾[١].

في هذا الخطاب القرآنيّ كمال التهويل مما سيلاقيه الظالمون في سكرات الموت، وشدائده، وحال انتزاع الروح مبالغة في عظيم مايغشاه، وأليم مايلقاه وبسط الملائكة أيديهم لقبض أرواح الظالمين هو ابتداء شروعهم في تعذيبهم كما حكاه الله تعالى في موضع أخر: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ**﴾[٢]، أو يحمل على الأعم كما في قوله تعالى: ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**﴾، أو يحمل على اختلاف المراتب حسب حالة الظالمين، ومراتب الظلم.

وقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**﴾- وهو محل الاستدلال-،أي قائلين زمان قبض أرواحهم الذي يجزون فيه العذاب المشتمل على الذلّ، والخزي، وذكر بعظهم أن المراد به يوم القيامة، وهو بعيد، فإنّه ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾، فيكون ماورد في آية المقام هو العذاب حين الموت، ولما ينتقلون من الدنيا، وأمّا وراءها فلهم عذاب إلى يوم القيامة، ويلوح للمتتبع أن الآية فيها دلالة واضحة حاكية عن حال القيامة الصغرى، وهي الحياة البرزخيّة، وقد ذكر ذلك العلامة الطباطبائيّ في تفسيره[٣]، والبخاريّ في صحيحه[٤]،

---

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) الأنفال: ٥٠.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج٧ ص٢٨٤.

(٤) صحيح البخاريّ، باب ما جاء في عذاب القبر، ج٢ ص١٠١.

والمغني في عمدة القاري[١]، والبيهقيّ في إثبات عذاب القبر[٢]، وابن حجر في فتح الباري[٣]، وغيرهم.

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا** ﴾[٤].

الآية المبارك التي تصوّر غرق قوم نوح ممّا استدل بها على إثبات الحياة البرزخية، وذلك لقوله: ﴿ **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا** ﴾، حيث أن الفاء تفيد التعقيب، بمعنى أنّهم أغرقوا، فأدخلوا، بلا فصل في عذاب النار في البرزخ.

قال الفخر الرازيّ في تفسيره: (تمسّك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله: ﴿ **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** ﴾؛ وذلك من وجهين:

الأول: إن الفاء في قوله: ﴿ **فَأُدْخِلُوا نَارًا** ﴾ تدلّ على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلاّ بطلت دلالة هذه الفاء.

الآخر: إنّه قال ﴿ **فَأُدْخِلُوا** ﴾ على سبيل الإخبار عن الماضي، وهذا إنّما يصدق لو وقع ذلك.

(١) عمدة القارى، العينيّ، ج٨ ص١٩٨.

(٢) إثبات عذاب القبر، البيهقيّ، ص١٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج٣ ص١٨٣.

(٤) نوح: ٢٥.

قال مقاتل، والكلبي: معناه أنهم سيدخلون في الآخره نارًا، ثم عبّر عن المستقبل بلفظ الماضي؛ لصحة كونه ، وصدق الوعد به كقوله: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ**﴾[١] ، ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾[٢] ، واعلم أنّ الذي قالوه ترك للظاهر من غير دليل)[٣].

وقد ذكر الطباطبائيّ أنّ الآية من آيات البرزخ؛ فقال في تفسيرها: (من أجل معاصيهم، وذنوبهم أغرقوا بالطوفان، فأدخلوا نارًا لا يقدر عذابها بقدر، ومن لطيف نظم الآية الجمع بين الإغراق بالماء، وإدخال النار. والمراد بالنار: نار البرزخ، التي يعذب بها المجرمون بين الموت، والبعث، دون نار الآخرة، والأية من أدلّة البرزخ؛ إذ ليس المراد أنهم أغرقوا وسيدخلون النار يوم القيامة، ولا يعبأ بما قيل: إن من الجائز أن يراد بها نار الآخرة)[٤].

فإن قيل: كيف يتوجّه لهم الإحراق، والعذاب، وهم في الماء لم يقبروا بعد ؟، كان الجواب: إن الإشكال على كون تمام حقيقة الإنسان هو ذلك الهيكل المحسوس، وهو باطل باعتبار أن للإنسان حقيقة وراء هذا البدن المادي، والذي سيأتي تفصيله في الأبحاث القادمة. ثم إن هذا المتوهم يخلط بين النشأة الدنيوية، والنشأة الأخروية، والتي منها البرزخية، والتي لايفرق فيها بين بر وبحر، حيث تزول فيها الموانع، والحوائل، والأبعاد، والأجسام، فربُّ الأرض هو تعالى ربُّ الماء، ورب الهواء، وقد ورد هذا المعنى في الرواية عن الصادق ﵇ عندما سئل عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟، فقال ﵇: (**إن ربَّ الأرض هو ربُّ الهواء،**

(١) الأعراف: ٥٠.
(٢) الأعراف: ٤٤.
(٣) التفسير الكبير، مصدر سابق ، ج٣٠ ص١٣٠.
(٤) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج٢٠ ص ٣٢.

فيوحي الله عزّ وجلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشدّ من ضغطة القبر)[١].

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ** ﴾[٢].

هذه الآيات من جملة ما استُدل به على إثبات الحياة البرزخية بعد الموت، والتي تضمّنت ذكر طبقات الخلق عند الموت، وما بعده إلى يوم البعث، ومحل الاستدلال هو قوله تعالى: ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ** ﴾، بمعنى أنّ الملائكة تبشّر المحتضرين من أهل الإيمان بالروح، والريحان، وهو الراحة، والنعيم عند الاحتضار، وما بعده في النشأة البرزخيّة.

قال الطريحيّ في مجمع البحرين: الرَّوح بفتح أوله: الراحة، والاستراحة، والحياة الدائمة، وبضمّه: الرحمة؛ لأنّها كالروح للمرحوم، وقد قُرئ بالوجهين قوله تعالى (فروح)، وفسر الريحان في الآية بالرزق الطيّب.

ونقل الطبرسيّ عن بعضهم أنّه قال: الريحان المشموم يؤتى به عند الموت من الجنة، فيشمه فيقول: (أنا عملك الصالح)[٣].

وقال الطوسيّ في التّبيان: (روح، وريحان هو الهوى الذي يلذّ النفس، ويزيل عنها الهمّ،

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص٢٦٦ نقلاً عن الكافي .

(٢) الواقعة: ٨٨ – ٩٤.

(٣) مجمع البحرين، الطريحيّ، ج٢ ص٢٣٦.

وقيل: الروح، والراحة، والريحان: الرزق في قول مجاهد، وسعيد بن جبير[١]، وقيل: الرَّوح لقلوبهم، والريحان لنفوسهم، والجنة لأبدانهم، وقيل: روح في الدنيا، وراحة في القبر، وجنة نعيم في الآخرة[٢]، وقيل: الراحة في القبر، والريحان في دخول الجنة[٣]، وقيل: الروح، والريحان في القبر، وجنة نعيم يوم القيامة، ويقال: الروح عند الموت، والريحان في قبر، وجنة نعيم في القيامة عند البعث[٤]، وقيل: الروح راحة لهم في القبر، ويقال: رحمة إن قرأت بضم الراء، (وريحان) إذا خرجوا من قبورهم، ويقال: رزق، وجنة نعيم يوم القيامة لايفنى نعيمها)[٥].

قال السيوطيّ في الدر المنثور (روح من جهد الموت، وروح يؤتى به عند خروج نفسه، وجنّة نعيم أمامه، ثم قال: وأخرج القاسم بن منده في كتاب الأحوال، والإيمان بالسؤال، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أول ما يبشّر به المؤمن عند الوفاة بروح، وريحان، وجنة نعيم، وإن أوّل ما يبشّر به المؤمن في قبره أن يقال أبشر برضا الله تعالى، والجنّة، قدمت خير مقدم، قد غفر الله لمن شيّعك إلى قبرك، وصدق من شهد لك، واستجاب لمن استغفر لك)[٦].

وذكر الفخر الرازيّ في دلالة قوله: ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ**﴾ على البرزخ بقوله: وفاء التعقيب تدل على أن هذه الروح، والريحان، والجنة حاصل عقيب الموت، وقال عند قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾: وهذا وجه تعلّقه معنًى، وأما تعلّقه

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج٩ ٥١٤.
(٢) تفسير السلمي السلميّ، ج٢ ص٣٠٣
(٣) تفسير الثعلبيّ، ج٩ ص٢٢٤.
(٤) تفسير السمعانيّ، ج٥ ص٣٦٢.
(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آباديّ، ص٤٥٥.
(٦) الدر المنثور، السيوطيّ، ج٦ ص١٦٥.

لفظًا فنقول: لمّا قال: ﴿**فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ**﴾[1]، وكان فيها أن رجوع الحياة، والنفس إلى البدن ليس تحت قدرتهم، ولا رجوع لهم بعد الموت إلى الدنيا صار كأنه قال: (أنتم بعد الموت دائمون في دار الإقامة، ومجزيون، فالمجزي إن كان من المقربين فله الروح، والريحان)[2]، وقال في موضع آخر: (وفاء التعقيب في قوله: - **فروح وريحان**- تدل على أن هذه الروح، والريحان حاصل عقيب الموت)[3]، بمعنى أن القيامة الصغرى لكل إنسان حاصلة بعد موته مباشرة، أمّا القيامة الكبرى فهي حاصلة في الوقت المعلوم عند الله تعالى.

ويمكن أن يراد بالروح، والريحان ما يكون من نصيب المؤمنين حال الاحتضار، وفي الحياة البرزخيّة، بدلالة أن الحديث عن جنة النعيم في اليوم الآخر جاء بعد ذكرهما.

ففي تفسير على بن إبراهيم بسند تام إلى أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (﴿**فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ**﴾، **قال: في قبره، وجنة نعيم، قال: في الآخرة،** ﴿**وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ**﴾ في قبره، ﴿**وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**﴾ في الآخرة)[4].

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (**إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهد، وإن كنت عليّ لثقيلاً، فماذا عندك؟، فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم**

---

(١) الواقعة: ٨٦-٨٧.

(٢) التفسير الكبير الفخر الرازيّ، مصدر سابق ج٩ ص١٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٩ ص٩٢.

(٤) تفسير القميّ، مصدر سابق، ص٢٥٠.

نشرك، حتى أعرض أنا وأنت على ربك؛ قال: فإن كان لله وليًّا أتاه أطيب الناس ريحًا، وأحسنهم منظرًا، وأحسنهم رياشًا، فيقول: أبشر بروح، وريحان، وجنّة نعيم، ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، ارتحل من الدنيا إلى الجنّة)[1].

هذه الآيات الكريمة المارة الذكرتعدّ من جملة المعارف الحقّة، التي ذكرها القرآن الكريم، والتي تدلّ على استمرار الحياة بعد الانتقال من الدينا إلى عالم آخر، يثاب فيها المحسن، ويعذّب فيها المسيء، وذلك تبعاً للعقائد، والأعمال، وأن حقيقة الإنسان التي وراء الجسد المادي المحسوس لايبطل بالموت، ولا يعتريه الانحلال، والفناء؛ بل يبعثه الله تعالى إلى نشأة أخرى، تلك النشأة، وذلك العالم هو البرزخ، والذي لاتدركه الحواس الظاهرية لاختلاف قوانينه وحيثّياته.

(١) تفسير نور الثقلين، الحويزيّ، ج٥ ص٢٢٩.

المبحث الثاني

الأدلّة الروائيّة

الروايات الدالّة على وجود النشأة البرزخية كثيرة بلغت حد التواتر، أو كالمتواترة، وقد ذكرت من طرق الفريقين[1]. وقد حملت أكثر الأخبار التصريح بوجود هذا العالم بعد انتقال الانسان من الحياة الدنيا، وجاء التعبير بلسان هذه الروايات عن هذه النشأة بالبرزخ تارة، وأُخرى بعالم القبر، ولكنّها جميعًا تشير إلى العالم المتوسّط الذي يقع بين الدنيا، والآخرة.

فعن النبي ﷺ أنّه قال: (**القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران**)[2].

وعنه ﷺ أنّه قال: (**إنّ القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده ليس أقل منه**)[3].

وعن أنس عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (**الموت القيامة، فمن مات فقد قامت قيامته**)[4].

وروى مسلم وأحمد، وابن حبان حديث زيد بن ثابت قال: (بينما النبي ﷺ في حائط

---

(١) انظر: بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٦ ص٢٧٧ ؛ وكذلك الغزاليّ في الإحياء، ج٤ ص١٦٥.

(٢) الكافي، مصدر سابق ، ج٣ ص٢٤٢ ح ٢ ؛ عمده القارى، العيني، ج٢٤ ص ١٤٨؛ وانظر: إحياء علوم الدين، الغزاليّ، ج٤ ص ٤٣٣ باب ما يلقاه الميت في قبره.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص٢٥٢.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي ج٤ ص ١٧٩.

لبنى النجار على بغلة له، ونحن معه؛ إذ حادت به فكادت تلقيه؛ وإذا أقبُر ستّة، أو خمسة، أو أربعة، قال كذا كان يقول الجريريّ، فقال: **من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوّذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر**)[1].

وروى الكلينيّ في الكافي، عن جابر، قال أبو جعفر الباقر عليه السلام، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **إني كنت أنظر إلى الإبل، و الغنم، وأنا أرعاها، وليس من نبيّ إلا وقد رعى الغنم، وكنت أنظر إليها قبل النبوّة وهي متمكنة في المكينة ما حولها شيء يهيجها، حتّى تذعر فتطير، فأقول ما هذا، وأعجب، حتى حدثني جبرئيل عليه السلام أنّ الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئًا إلا سمعها، و يذعر لها إلا الثقلين، فعلمنا: ذلك لضربة الكافر، فنعوذ بالله من عذاب القبر**)[2].

ولا عجب من سماع الحيوانات لأصوات المعذّبين، وخفائه عنّا؛ لحكمة عدم فقد الاختيار، والتكليف، وقد ثبت في الأبحاث العلميّة الحديثة أنّ بعض الحيوانات تمتلك حواسًّا عجيبة، وخارقة، وذلك قياسًا بما يمتلكه الإنسان من حواس؛ ولذا فإن هذه الحيوانات بإمكانها أن تستشعر، أو ترى ما لا تراه عيوننا، وأسماعنا من كائنات، وأرواح في عوالم أُخرى.

وفي أمالي الطوسيّ في ما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: (**يا عباد الله، ما**

---

(١) صحيح مسلم ج٨ ص ١٦٠ باب عرض مقعد الميت من الجنة، أو النار، ومسند أحمد ج٣ ص٢٣٣، وإثبات عذاب القبر للبيهقي، ص ٧٤.

(٢) حق اليقين السيد عبد الله شبر، ص ٣٦٤، والكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج٣ص٢٣٣ح ٤٧٠٩، تفسير العياشيّ، ج٢ ص ٢٢٩.

بعد الموت لمن لم يغفر له أشد من الموت، القبر فاحذروا ضيقه، وضنكه، وظلمته، وغربته، إن القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، والهوام، والقبر روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران)[1].

وممّا دلّ على ثبوت البرزخ، والتشديد عليه، ما ذُكر في أمالي الشيخ الصدوق عن الصادق ﷺ قال: (**من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا المعراج، والمسألة في القبر، والشفاعة**)[2].

وفي النهج الشريف ذكر أمير المؤمنين ﷺ أنّ غاية الغايات هو اليوم الآخر، والقيامة، وقبل الوصول إلى ذلك المنتهى لا بد للإنسان من المرور في عالم القبر والبرزخ، ثم شرع ﷺ يبين ماهيّة هذا العالم وما فيه من أهوال فقال ﷺ: (**وبادروا الموت في غمراته، وأمهدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله، فإنّ الغاية القيامة، وكفى بذلك واعظًا لمن عقل، ومعتبرًا لمن جهل، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الإرماس، وشدّة الإبلاس، وهول المطّلع، وروعات الفزع، واختلاف الأضلاع، واستكاك الأسماع، وظلمة اللَّحد، وخيفة الوعد، وغمّ الضريح، وردم الصفيح**)[3].

وقال ﷺ في الخطبة الغرّاء واصفًا الساعات الأولى بعد الموت: (**حتى إذا انصرف المشيّع، ورجع المتفجع، أقعد في حفرته نجيًّا لبهتة السؤال، وعثرة الامتحان**)[4].

---

(١) الأمالي، الشيخ الطوسيّ، ص ٢٨.

(٢) الأمالي، محمد بن علي الصدوق، ص٣٧٠ ح ٤٦٤ المجلس التاسع والأربعون، وأنظر روضة الواعظين للنيسابوريّ، ص٥٠١، والفصول المهمة للحر العامليّ، ج١ ص ٣٦٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

وروى الشيخ الصدوق في الأمالي، والكلينيّ في الكافي ما كان يعظ به الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**ياابن آدم إن أجلك أسرع شئ إليك، قد أقبل نحوك حثيثًا يطلبك، ويوشك أن يدركك، فكأن قد أوفيت أجلك، وقد قبض الملك روحك، وصرت إلى منزل وحيد، فردّ إليك روحك، واقتحم عليك ملكاك منكر، ونكير؛ لمساءلتك، وشديد امتحانك، ألا وإن أوّل ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده، وعن نبيك الذي أُرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذى كنت تتولاه**)[1].

وقال الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه يوم عاشوراء واعظًا ومبشّرًا لهم بأن الموت ماهو إلاّ قنطرة، وبه وحده يستطيع الإنسان المؤمن أن ينتقل إلى الخلود، والبقاء، وبهذا الموت أيضًا ينتقل الظالمون إلى جحيمهم: (**صبرًا بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس، والضراء، إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وهؤلاء أعداؤكم كمن ينتقل من قصر إلى سجن، وعذاب أليم؛ إن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ماكذبت ولا كُذِّبت**)[2].

حديث أهل قليب:

بعد انتصار المسلمين في معركة بدر، طرحت جثث قتلى المشركين في القليب[3]، وفيهم

---

(١) الأمالي، الصدوق، ص ٥٩٢ ؛ الكافي، مصدر سابق ، ج٨ ص٧٣.

(٢) معاني الأخبار، مصدر سابق ، ص٢٨٨ وبحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص١٥٤.

(٣) القليب هو البئر القديم «يؤنث، ويذكر».

سادات قريش، فكان النبي ﷺ يخاطبهم بأسمائهم، وكان فيهم عتبة بن ربيعة، وشيبة، وأُمية بن خلف، وأبو جهل، وغيرهم، وكان يخاطبهم رسول الله ﷺ: **(هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟، فإنّي قد وجدت ماوعدني ربّي حقًا)**.

أخرج البخاري قال طلع النبي ﷺ على أهل القليب، فقال: **(وجدتم عندما وعد ربكم حقاً؟، فقيل له: تدعوا أمواتًا فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لايجيبون)**[1].

وقد ذكر هذا الحديث عامّة المسلمين من الخاصّة، والعامة ولم يقع فيه خلاف يذكر، فقد ذكره الصدوق في من لايحضره الفقيه[2]، والمفيد في تصحيح الاعتقادات[3]،والمجلسيّ في البحار[4]، وغيرهم، وذكره من العامّة أحمد في مسنده[5]، والصنعانيّ في تفسيره[6]، والبخاريّ ومسلم في صحيحيهما[7]، والسيرة النبويّة[8]، والسيرة الحلبيّة[9]، والنسائيّ في سننه[10]، وغيرهم كثير.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة، فصاريتخلّل بين الصفوف حتى مرّ على كعب بن سورة - وكان هذا قاضي البصرة، ولاه إياها

(١) صحيح البخاريّ، رقم ١٢٠٤، كتاب الجنائز .

(٢) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق ، ج١ ص ١٨٠.

(٣) تصحيح الاعتقادات، مصدر سابق ، ص٩٣.

(٤) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج١٩ص ٣٤٦ نقلاً عن الواقديّ.

(٥) مسند أحمد بن حنبل، ج٣ ص٢٨٧.

(٦) تفسير الصنعانيّ، ج١ ص ٢٥١.

(٧) صحيح البخاريّ، ج٥ ص٧٦،٨٦،٨٧ صحيح مسلم، ج٨ ص١٦٣، باب مقعد الميت.

(٨) السيرة النبويّة، ج٢ ص ٤٥٠

(٩) السيرة الحلبيّة، ج٢ ص١٧٩

(١٠) سنن النسائي، النسائيّ، ج٤ ص٨٩ باب أرواح المؤمنين.

عمر بن الخطاب، فأقام بها قاضيًا بين أهلها زمن عمر، وعثمان، فلمّا وقعت الفتنة بالبصرة علق في عنّقه مصحفًا، وخرج بأهله، وولده، يقاتل أمير المؤمنين، فقتلوا بأجمعهم - فوقف عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو صريع بين القتلى، فقال: (**أجلسوا كعب بن سورة**، فأُجلس بين نفسين، وقال له: **يا كعب بن سورة، قد وجدت ما وعدني ربّي حقًا، فهل وجدت ما وعدك ربك حقًا**؟ ثم قال: (**أضجعوا كعبًا. وسار قليلاً فمرّ بطلحة بن عبد الله صريعًا، فقال: أجلسوا طلحة، فأجلسوه، فقال: يا طلحة، قد وجدت ما وعدني ربي حقًا، فهل وجدت ما وعدك ربك حقًا؟ ثم قال: أضجعوا طلحة، فقال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين، ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك؟ فقال: مه يا رجل، فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم)[1]، والروايتان المتقدمتان حادثة القليب، وحديث أمير المؤمنين مع قتلى حرب الجمل، و ما فيهما من تطابق في الحادثتين حتى أنهما (صلوات الله عليهما) أسمعوهم توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمة، وحسرة، وندمًا، وهذا دليل على حياة الموتى في قبورهم، وبرازخهم، وعلمهم بما عليه الأحياء.

تشكيك السيدة عائشة بحادثة القليب:

ذكر أحمد في مسنده، عن يحيى بن عبد الرحمن أنه حدثهم ابن عمر أنّه قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على القليب يوم بدر؛ فقال: (**يافلان يافلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟، أما والله إنهم الآن ليسمعون كلامي**). قال يحيى فقالت عائشة: غفر الله لأبي عبد الرحمن (يعني ابن عمر) أنه وهمٌ.

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية، مصدر سابق ، ص٩٣؛ الإرشاد، محمد بن محمد المفيد، ج١ ص٢٥١؛ وانظر: الشافي، السيد المرتضى، ج٤ ص٣٤٤.

إنّما قال رسول الله ﷺ إنّهم ليعلمون الآن إنّ الذي كنت أقول لهم حقًا، وإنّ الله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾[١].

وقد تكلّف جملة من أهل الحديث، ومن رواة هذا الحديث المتواتر بتخريج كلام السيدة عائشة بأنها لم تنكر سماع النبي للأموات في حادثة القليب، وإنّما اعترضت على لفظة (**يسمعون**)، وأنّه ﷺ قال (**يعلمون**)، أو من الجائز أن النبي ﷺ قال اللفظين معًا[٢]، أو أن سماع الأموات إنّما هو من خرق العادة، وليس عامًا)[٣].

وكل هذا الكلام أقاويل وتخرصات؛ لأن السيدة عائشة أعقبت كلامها بذكر الآيتين: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾، فظاهر كلامها أنها لم تكن معتقدة بالحياة البرزخيّة، والحياة بعد الموت، وإن حكمها بعدم السماع قد استنبطته من القرآن الكريم؛ لأنها لم تحضر الواقعة، ولم تسمع قول النبي ﷺ، ولم تنقل عن أحد كان حاضرًا في القليب؛ بل الذي حضر نقل عن خلاف قولها.

الحياة البرزخيّة كما صورته السيد عائشة ونقله أصحاب الصحاح:

ذكر أصحاب الصحاح كالبخاريّ، ومسلم، وغيرهم ماروته السيدة عائشة في عذاب القبر، ومع أن هذه الأحاديث لاتصمد أمام البحث، والنقد، فقد تلقّاها أصحاب ماتسمى بالكتب الصحيحة بالقبول استنادًا إلى مبدأ عظمة الزوجات، وأن ما ذكرته مُسلّم صحيح، بينما هو في الحقيقة تجنّيًا على مقام صاحب الرسالة ﷺ، وإليك بعض هذه الروايات.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٤ ص٤٢٧ ؛ صحيح البخاري، ج٥ ص٩.

(٢) تفسير الآلوسي، محمود الآلوسيّ، ج٢١ ص٥٧ .

(٣) سبيل الهدى والرشاد، ج٤ ص ٥٧ ؛ نقلاً عن السهيلي.

عن عائشة أن يهوديّة كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئًا من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت: فقلت يا رسول الله وهل للقبر عذاب؟ **قال: كذبت اليهود لا عذاب دون يوم القيامة**، قالت: ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار وهو ينادى بأعلى صوته: **أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق)**[١].

وفي رواية أخرى عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود، وهى تقول إنكم تفتنون في القبور، فارتاع رسول الله ﷺ، وقال: **تفتن يهود**. قالت عائشة: فلبثنا ليالى، ثم قال رسول الله ﷺ: **هل شعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور ؟**، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ بعد ذلك يستعيذ من عذاب القبر[٢].

كذلك في رواية أخرى عن عائشة قالت: (دخلت عليّ امرأة من اليهود فقالت: إنّ عذاب القبر من البول فقلت: كذبت؛ فقالت: بلى؛ إنا لنقرض منه الجلد والثوب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة وقد ارتفعت أصواتنا فقال: **ما هذا؟** فأخبرته بما قالت فقال: **صدقت.** فما صلّى بعد يومئذٍ صلاة إلا قال في دبر الصلاة: **ربَّ جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، أعذني من حرّ النار، وعذاب القبر)**[٣].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٦ ص٨١، عمدة القارى، العنبيّ، ج٨ ص٢٠٣.

(٢) صحيح مسلم، ج٢ ص٩٢؛ مسند أحمد، ج٦ ص٨٢؛ السنن الكبرى للنسائي، ج١ص٦٦٢؛ تفسير ابن كثير، ج٤ ص٨٨؛ قال وهذا إسناد على شرط البخاريّ، ومسلم، وانظر: البخاريّ الحديث ١٣٧٢.

(٣) السنن الكبرى، النسائيّ، ج٣ ص٧٢.

ما ترمي إليه الأحاديث المتقدّمة:

١- أن الرسول ﷺ لم يكن يعلم بأن هناك حياة برزخيّة بعد الموت فيها عذاب، ونعيم؛ ولذا كذّب من يدّعي ذلك، كما نقلت الرواية (**كذبت يهود**)، و(**لا عذاب قبل يوم القيامة**).

٢- أن الرسول ﷺ لم يكن يعلم شيئًا عن الحياة بعد الموت، فتعلّم هذه العقيدة من هذه المرأة اليهوديّة؛ لذا قالت عائشة: فما رأيته بعد ذلك إلا ويتعوذ من عذاب القبر بعد كل صلاة، ولولا كلام هذه العجوز اليهوديّة التي أخذت دور جبرائيل عليه السلام في تبليغ تعاليم الدين لبقت الحياة البرزخية، وعالم القبر بنعيمه، وعذابه خافيًا على رسول الله ﷺ، وأمّة الإسلام.

٣- تؤكّد الروايات المتقدمة أن حديث اليهوديّة استتبعه نزول الوحي بعد ليالٍ، وبمجرد أن علم النبي ﷺ بهذه المقالة نزل جبرائيل بالوحي مصدّقًا لهذه المرأة، وبدأ الرسول ﷺ يتعوّذ من عذاب القبر، ويُعلّم أصحابه، إذ أن النبيّ ﷺ لم يتعوذ ولا مرّة واحدة في حياته من عذاب القبر! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلاّ كذبًا.

وفي مقام الجواب على هذه الأقاويل التي لانعلم هل هي من عنديات السيدة عائشة، أو من تخبطات رواة الصحاح؟؛ ولنا أن نقول:

من النظرة الأوليّة البسيطة لهذا الروايات نعلم أن القصّة ملفّقة على سيد المرسلين، وخاتمهم ﷺ، فهل يعقل أن من وصل إلى سدرة المنتهى فكان قاب قوسين أو أدنى، والذي لا يتلقّى القرآن، والحكمة إلا من لدن حكيم عليم، والذي لاينطق عن الهوى كيف ينطق بقول يهوديّة؟، وهل يُعقل أن يعيش الرسول ﷺ طيلة هذه المدّة الطويلة مع المسلمين ولم يخبرهم بهذا الأمر، ولم ينزل به وحي إلا عند حديث أسطورة السيدة عائشة مع اليهوديّة، مع

ما لهذه العقيدة من مساس بحياة المسلم، وما فيها من تهذيب النفوس، حتى (**يهلك من هلك عن بيّنة، ويحيا من حيَّ عن بينة**).

ثم إنّ اليهود لم يؤمنوا يومًا بالحساب، والقيامة فضلاً عن عالم القبر، وعذابه، وثوابه، والتوراة شاهدة على ذلك؛ فلا تجد نصًّا صريحًا واحداً يتحدّث عن حشر الناس في اليوم الآخر!، فمن أين جاءت هذه اليهودية بهذه العقيدة، ودعت لعائشة بالنجاة من عذاب القبر.

والغريب أنَّ أكثر أصحاب الصحاح الذين نقلوا أُسطورة عائشة يقولون: إن جملة من الآيات القرآنية التي تثبت الحياة في القبر والبرزخ هي آيات مكيّة نزلت على النبيِّ ﷺ في مكة في أول البعثة، في حين أنّ أحاديث عائشة هذه في المدينة كقوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾[1]، وقوله تعالى في آل فرعون: ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾[2].

فيتلخّص ممّا ذكرنا في الأدلّة الروائيّة على إثبات الحياة البرزخيّة ما يأتي:

١- لا سبيل إلى إنكار عذاب القبر، ونعيمه بعد أن تواترت الأحاديث فيه.

٢- إثبات الحياة بعد الموت بلا فصل في القبر، وفي النشأة البرزخيّة، وسيأتي الكلام مفصَّلاً في الفرق بينهما.

٣- إنَّ العالم البرزخيّ هو محل التنعيم والتعذيب.

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) غافر: ٤٥- ٤٦.

٤- إنَّ هذه النشأة متوسطة بين الدنيا والآخرة، ولها أحكامها الخاصّة بها.

٥- إنَّ ما يراه الإنسان في عالم البرزخ من نعيم، أو عذاب ليس من قبيل الأمور الوهمية، وإنّما هي حقيقة واقعيّة تتناسب مع تلك النشأة.

٦- إنَّ الميت في القبر يسمع، ويدرك، ويعقل؛ لذا وقف النبي ﷺ في القليب، وأمير المومنين عليه السلام في البصرة، يخاطبان الموتى من أعداء الله تعالى، وقد وردت روايات كثيرة في هذا المضمون، منها إنَّ الميت يسمع قرع نعال المشيّعين، وتلقين الميت في القبر، وكان رسول الله ﷺ يسلّم على الموتى من أهل البقيع، ويقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وكان يأمر أصحابه بذلك، ولابدّ أن يكون هذا الخطاب لمن يسمع، ويدرك، وإلا كان لغوًا، والنبي ﷺ منزّه عن ذلك.

المبحث الثالث

أقوال بعض العلماء في إثبات الحياة البرزخيّة

١ـ الشيخ الصدوق رضي الله عنه:

(اعتقادنا في المسألة في القبر أنّها حق لابدّ منها، فمن أجاب بالصواب فاز بروح، وريحان في قبره، وبجنة نعيم في الآخرة، ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره، وتصلية جحيم في الآخرة)[1].

٢ـ الشيخ المفيد رضي الله عنه:

(جاءت الأخبار الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الملائكة تنزل على المقبورين، فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متظافرة، ثم قال: وليس ينزل الملكان إلا على حيّ، ولا يسألان إلاّ من يفهم المسألة ويعرف معناها، وهذا يدل على أن الله تعالى يحيي العبد بعد موته للمساءلة، ويديم حياته بنعيم إن كان يستحقّه، أو بعذاب إن كان يستحقه)[2].

٣ـ المحقق نصير الدين الطوسيّ رضي الله عنه:

(عذاب القبر واقع؛ لإمكانه، وتواتر السمع بوقوعه)، وقال العلامة في شرح التجريد:

(١) الاعتقادات في دين الإمامية، مصدر سابق ، ص ٥٨ باب الاعتقاد في المسألة في القبر.

(٢) تصحيح الاعتقادات، مصدر سابق ، ص١٠٠.

(نقل عن ضرار أنه أنكر عذاب القبر، والإجماع على خلافه)[١].

٤- الشيخ البهائيّ ﷺ:

(عذاب القبر وهو العذاب الحاصل في البرزخ، أعني مابين الموت، والقيامة ممّا اتفقت عليه الأمة سلفًا، وخلفًا، وقال به أكبر أهل الملل، ولم ينكره من المسلمين إلا شرذمة قليلة، لا عبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقًا، ولاحقًا، والأحاديث الواردة فيه من طرق الخاصة، والعامة متواترة المضمون، وهي أكثر من أن تحصى)[٢].

٥- أحمد بن حنبل:

قال: (وعذاب القبر حق، ويسأل العبد عن دينه، وعن ربه، ويرى مقعده من النار، والجنة، ومنكر ونكير حقّ، وهما فتّانا القبور، نسأل الله تعالى الثبات)[٣].

٦- القسطلانيّ:

قال في إرشاد الساري نقلاً عن مصابيح الجامع: (وقد كثرت الأحاديث في عذاب القبر حتى قال غير واحد أنها متواترة، وإن لم يصحّ مثلها لم يصح شيء من أمر الدين)[٤].

٧- السبكيّ:

قال في شفاء السقام: (وقد أجمع أهل السنة على إثبات الحياة في القبر، قال إمام

(١) كشف الاعتقاد في شرح التجريد، للعلامة الحليّ، المقصد ٦ المسألة ١٤.
(٢) تسلية الفؤاد، عبد الله شبر، ص٨٢؛ نقلاً عن كتاب الأربعون للبهائيّ.
(٣) السنة، أحمد بن حنبل ص٥٠.
(٤) إرشاد الساري، للقسطلاني، ج٢ ص٤٦٠، إثبات عذاب القبر للبيهقيّ، ص٨

الحرمين (الجوينيّ) في الشامل: اتّفق سلف الأمة على إثبات عذاب القبر، وإحياء الموتى في قبورهم، وقال الفقيه أبو بكر بن العربي: إن إحياء المكلّفين في القبر، وسؤالهم جميعًا لاخلاف فيه بين أهل السنّة)[1].

٨- الطحاويّ:

قال: (نؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر، ونكير في قبره عن ربه، ودينه، ونبيّه، على ماجاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران)[2].

٩ - الشريف الجرجانيّ:

قال: (إحياء الموتى في قبورهم، ومسألة منكر ونكير، وعذاب القبر للكافر، والفاسق حق عندنا، واتفقت عليه سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والأكثر بعده)[3].

١٠- عبد القادر البغداديّ الأشعريّ:

قال: (أجمع المسلمون على أن عذاب القبر حقّ، وأن من أنكر عذاب القبر يعذّب في قبره؛ وذلك لأنه يكون شاذاً عن جماعة المسلمين، ومن شذَّ شُذَّ في النار)[4].

آراء شاذّة:

بعد أن بينا بما لا خلاف فيه من اتفاق الأمّة سلفًا، وخلفًا على عقيدة الحياة البرزخية،

---

(١) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص٣٤٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاويّة، ابن أبي العز، ص٣٩٦.

(٣) شرح المواقف، القاضي الجرجانيّ، ج٨ ص٣١٧.

(٤) الفرق بين الفرق، الأشعريّ، ص٣٠١.

بقي أن نذكر بعض الآراء الشاذة التي تبنّت إنكار عذاب القبر، ونعيمه، أو أثبتته وأنكرت كيفيّته، ومن الممكن حصر هذه الأقاويل بما يأتي:

أولاً: إنكار الحياة البرزخيّة بعد الموت من أصلها، ومن أبرز القائلين بذلك (ضرار بن عمر الضبيّ)، وهو ممن صحب شيخي المعتزلة واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد، ثم تبع جهم بن صفوان حتى تبرأت منه المعتزلة)[١]. ويعتبر شيخ الضراريّة، وهي من فرق الجبريّة، ومن سيرته نفهم أنه كان حيًّا في عصر هارون الرشيد، وقد شهد قوم على زندقته عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن، فأمر بضرب عنقه، فهرب.

وكان جلداً في مذهبه له مقالات خبيثة منها: إن النار لا حرّ فيها، ولا في الثلج برد، ولا في العسل حلاوة، وإنّما يخلق ذلك عند الذّوق واللّمس، وله تصانيف كثيرة، وكان ينكر عذاب القبر[٢]، وقد قال بمذاهب خالف فيها جميع أهل العلم وخرج عن مقالة المعتزلة في خلف الأعمال.

ومن القائلين بالإنكار كذلك (بشر المريسي، الذي تولى زعامة هذه الفتنة في وقته، وكان عين الجهميّة ورأسهم، وعالمهم في عصره، فقد كان أبوه يهوديًّا)[٣].

قال عنه العجيليّ في ثقاته: (عليه لعنة الله، شيخ قصير، دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، أشبه شيء باليهود، وكان أبوه يهوديًّا صبّاغًا بالكوفة، ثم لا يرحمه الله فلقد كان

---

(١) أوائل المقالات، مصدر سابق ، ص١٤٨.

(٢) أنظر: سير أعلام النبلاء، الذهبيّ، ج١٠ ص٥٤٤ رقم ١٧٥، الصغفاء الكبير، العقيليّ، ج٢ ص٢٢٢ رقم ٧٦٥، ميزان الاعتدال، ابن حجر، ج٢ ص٣٢٨.

(٣) العلل، أحمد بن حنبل، ج١ ص٦٩.

فاسقًا)[١]، وكان يقول: ليس ثم جنّة، ولا نار[٢]، وروى الخطيب البغداديّ عن إسحاق بن إبراهيم قال: مررت بالطريق فإذا بشر المريسيّ، والناس عليه مجتمعون، فمر يهوديّ فأنا سمعته يقول: (لايفسد عليك كتابكم، كما أفسد أبوه علينا التوراة)[٣].

وممن ذهب إلى الإنكار مطلقًا الخوارج، وبعض المرجئة أيضًا.

ثانيًا: يجوز العذاب في القبر من غير إحياء، أي من غير رد الروح إلى الجسد، وأن الله تعالى يخلق فيه إدراكاً، بحيث يسمع، ويعلم، ويلذ، ويألم، وبه قال الصالحيّ، وابن جرير الطبريّ.

ثالثًا: إن الآلام تجتمع في أجساد الموتى من غير إحساس به، فإذا حشروا يوم القيامة أحسّوا بها دفعة واحدة، وبه قال بعض المعتزلة.

رابعاَ: إن عذاب القبر إنّما يكون بين النفختين، وبه قال أبو الهذيل العلاف وبشر بن المعتز[٤].

---

(١) معرفة الثقات، العجيليّ، ج١ ص٤٣.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ج ٧ ص٦٣.

(٣)المصدر السابق.

(٤) انظر المواقف للايجيّ، ج ٣ ص٥٦١، وكذلك: إثبات عذاب القبر للبيهقيّ، ص٨.

المبحث الرابع

الارتباط بين عالم الدنيا وعالم البرزخ

تقدّم أن عالم البرزخ يعتبر من متممات عالم الدنيا؛ ولذا قد يسمى بعالم الدنيا الأخير وهذا هو المعنى الواضح من كون العالم البرزحيّ نشأة متوسطة فيه من صفات الدنيا، ومن صفات الآخرة، فإذا كان عالم البرزخ له وجهة باتجاه عالم الدنيا فما هو نوع هذا الارتباط؟، وكيف يتم التواصل بين الأحياء في الدنيا مع الأرواح في عالم البرزخ؟.

ونحن إذا تتبعنا الأخبار والروايات لانجد صعوبة في معرفة حصول هذا الارتباط مع البرزخيين وخاصة في ما يتعلق بالمعصومين كالأنبياء، والأوصياء ﷺ، وذلك بما منحهم الله تعالى من الإحاطة الشموليّة، والعلميّة، لعوالم الوجود المختلفة وإليك بعض هذه الأخبار:

فقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يخاطب القتلى من المشركين بعد أن وضعوا في قليب بدر، وقد قيل له: يارسول الله ما خطابك لهامٍ قد صديت، قال ﷺ: لهذا المعترض فوالله ما أنت بأسمع منهم[1]، ومن الواضح أن النبي ﷺ لم يكن يخاطب هذه

(١) انظر الرواية كاملةً في بحار الانوار/ ج٦/ ص٢٥٤.

الأجساد البالية الدنيويّة، وإنّما كان يخاطب أرواح المشركين البرزخيّة، وكان يسأل فيسمعون السؤال، وهو ﷺ يسمع الإجابة.

وفي رواية أخرى أتى النبي ﷺ بقيع الغرقد فوقف على قبرين فقال: **(أدفنتم ها هنا فلانًا، وفلانةً؟ أو قال فلانًا، وفلانًا؟ قالوا نعم، فقال: (قد أقعد فلان الآن يضرب)، ثم قال: (والذي نفسي بيده لقد ضرب ضربة ما بقي منه عرق إلا انقطع، ولقد تطاير قبره نارًا، ولقد صرخ صرخة يسمعها الخلائق إلا الثقلين الجن، والأنس، ولولا تمريج في صدروكم، وتزييدكم في الحديث، لسمعتم ما أسمع)**[1].

وكذلك ماروي عنه ﷺ في خصوص شهادة جعفر بن أبي طالب عليه السلام في غزوة مؤته: **(رأيته وله جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنّة)**[2].

وفي حديث طويل لابن نباته يذكر فيه خروج أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة حتى تجاوز الغريين، قال فألحقناه وهو مستلقٍ على الأرض بجسده ليس تحته ثوب، فقال له قنبر: يا أمير المؤمنين، ألا أبسط لك ثوبي تحتك؟

قال: لا هل هي إلا تربة مؤمن، أو مزاحمته في مجلسه؟

قال الأصبغ: يا أمير المؤمنين تربة مؤمن قد عرفناها كانت، أو تكون، فما مزاحمة في مجلسه؟

---

(١) الزوائد، ابن حبان، ص٧٨٢.

(٢) المستدرك الحاكم النيسابوري ج٣ ص ٤٠

قال: يا ابن نباته لو كشف لكم لرآيتهم أرواح المؤمنين في هذا الظهر[1] حلقاً يتزاورون، ويتحدثون، إن في هذا الظهر روح كل مؤمن، وبوادي برهوت نسمة كل كافر)[2].

وروى الشيخ الصفّار في بصائر الدرجات بسنده المتصل عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام **قال خرجت مع أبي مع بعض أمواله فلمّا برزنا إلى الصحراء استقبله شيخ أبيض الرأس، واللحية، فسلم عليه، فنزل إليه أبي أسمعه يقول له: جعلت فداك! ثم جلسنا فتساءلا طويلاً، ثم قام الشيخ وانصرف، وودّع أبي، وقام ينظر في قفاه حتى توارى عنه، فقلت لأبي: من هذا الشيخ الذي سمعتك تقول له مالم تقله لأحد؟ قال: هذا أبي**[3].

هذا ما يرتبط بمقام المعصومين عليهم السلام، ومشاهداتهم للحالات البرزخيّة بعد الموت.

أمّا ما يرتبط بالعلاقة بين سائر الأحياء من البشر في الدنيا مع البرزخيين فهنا مقامان:

الأوّل: حصول الانكشاف لأهل المقامات العالية.

يمكن حصول الانكشاف على أحوال عالم البرزخ من قبل بعض الذين وصلوا إلى مقامات عالية من القرب الإلهي، وانفتحت أبصارهم، إذ يمكنهم مشاهدة أحوال البرزخ، والتحدث مع بعض الأموات، (وعلى أساس هذا يمكن القول بأن الإنسان له القابلية، والاستعداد لتقبّل إدراك العالم غيرالمادي، ولكن بشرط أن ينال تلك القابلية على أثر

(١) الظهر: بمعنى ظهر الكوف، وهو وادي السلام.

(٢) المحتضر، الشيخ حسن بن سليمان الحلي، ص١٧.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصفار، ص٣٠٢، باب في أن الأئمة عليهم السلام يزورون الموتى.

تحولات، وتبدلات عديدة، ذلك هو ما حصل لبعض الناس عن طريق قيامهم بسلسلة من الأعمال، و الآداب، و المسير فى وادى السير، و السلوك، حيث نالوا قابلية فهم العوالم العليا و إدراكها فى هذه الدنيا نفسها، و قبل الموت و قيام القيامة، و انكشفت لهم كثير من الحقائق. فإن من مشى فى طريق تزكية النفس، و تطهير القلب، فإنّه يكون قد طوى منازل، و مراتب، وحصل على بعض المقامات، فهو فى المرتبة الأولى يصبح قادرًا على معرفة أسرار عالم الملك، و فى مرتبة أعلى يطّلع على أسرار عالم الملكوت، و المرتبة التى هى أعلى من هذه هى رتبة الاستعداد للنظر إلى الجبروت؛ إذ يصبح الإنسان مستحقًّا للنظر إلى عرش الله سبحانه، و هذا هو ما وصل إليه بعض الناس من قبيل حارثة بن مالک، الذى قال فى جوابه للنبى ﷺ حين سأله: كيف أصبحت؟، فقال: (كأنّى أنظر إلى عرش الرحمن بارزًا)[١].

ولا ينبغي الإنكار، والتشكيك بهذه المقامات، إذا لم يستند هذا الإنكار إلى دليل، ولا يكتفى بمجرّد الاستبعاد الذوقيّ والعرفيّ.

نعم هذه الحالات الخاصة من رؤية عالم البرزخ من قبل أصحاب الكرامات لا تعتبر دليلاً، وحجّة إلاّ على أصحابها، وإنّما سقناها هنا كمؤيّدات خاصّة ماصدر من بعض العلماء الكبار من الذين عرفوا بالصدق، والورع، والمعرفة، وسوف نكتفي بذكر حادثتين فقط.

---

(١) علم المعرفة جوادى آملى، ص٤١٠، مصدر فارسي.

قصة المحدّث القميّ صاحب كتاب سفينة البحار:

والمحدّث القميّ صاحب التأليفات النافعة؛ مثل: سفينة البحار، و الكُني والألقاب، ومفاتيح الجنان، و غيرها، لاشكّ في ورعه، و تقواه، و صدقه بين أهل العلم قاطبة، و قد نقل أفراد موثّقون عنه بلا وساطة أنّه قال: ذهبتُ يومًا إلى وادي السلام في النجف الأشرف لزيارة أهل القبور، و أرواح المؤمنين، فسمعتُ فجأة من بعيد رغاء بعير يريدون كيّه، و كان يهدر ويئنّ بحيث كانت أرض وادي السلام تهتزّ من صراخه، فقصدتُ نحوه لاسنتقذه، و حين اقتربتُ من مصدر الصوت رأيت أن ليس في الأمر من بعير!!، كانت هناك جنازة جيء بها لتدفن، و كان ذلك الصراغ يتعالي منها، إلاّ أن الأفراد القائمين بأمر الدفن لم يكن لديهم اطلاّع على ذلك أبداً، فكانوا مشغولين بعملهم في هدوء و برود.

لقد كانت هذه الجنازة - بلا ريب - لرجل ظالم، متعدٍّ، ناله في أوّل وهلة من ارتحاله عقوبة كهذه، أي أنّه قد خاف، و فزع قبل الدفن، و قبل عذاب القبر من مشاهدة الصور البرزخيّة، فكان يئنّ و يضجّ بالصراخ[1].

ومما يدلّ على وقوع ذلك، وأن الإنسان العاصي لا يتمنّى القبر بعد أن يرى ببصره البرزخيّ مكانه الذي يذهب إليه على خلاف المؤمن الذي يستبشر بالقدوم على الروح والريحان، ما رواه الشيخ الصدوق عن الصادق عليه السلام (**أن الميت إذا كان من أهل الجنة نادى عجّلوا بي، وإن كان من أهل النار نادى: ردّوني**)[2].

وقد ذكر الشيخ الكلينيّ في الكافي ما يقوله الميت قبل دفنه ما روي عن جابر قال:

---

(١) معرفة المعاد السيد محمد الحسينيّ الطهرانيّ، ج١ ص١١٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٨ الباب ٧ ،تشييع الجنائز، ص٢٦٠.

قال علي بن الحسين عليه السلام: **ما ندري كيف نصنع بالناس، إن حدثناهم بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا، قال:** فقال ضمرة بن معبد -وهو رجل من بني زهرة - حدثنا **فقال: هل تدرون ما يقول عدوّ الله إذا حمل على سريره؟ قال: فقلنا: لا، قال: فإنه يقول لحملته: ألا تسمعون أنّي أشكو أليكم، عدوّ الله خدعني، وأوردني، ثم لم يصدرني، وأشكو إليكم إخوانًا واخيتهم فخذلوني، وأشكو إليكم أولادًا حاميت عنهم فخذلوني، وأشكو إليكم دارًا أنفقت فيها حريبتي فصار سكانها غيري، فارفقوا بي ولا تستعجلوا، قال:**

فقال ضمرة: يا أبا الحسن إن كان هذا يتكلم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق الذين يحملونه؟ قال: فقال علي بن الحسين عليه السلام: **اللهم أن كان ضمرة هزأ من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخذه أخذة أسف،** قال: فمكث أربعين يومًا ثم مات، فحضره مولًى له، قال: فلمّا دفن أتى علي بن الحسين عليه السلام فجلس إليه فقال له: من أين جئت يا فلان؟ قال: من جنازة ضمرة، فوضعت وجهي عليه حين سوّي عليه فسمعت صوته، والله أعرفه كما كنت أعرفه وهو حي، يقول: ويلك يا ضمرة بن معبد، اليوم خذلك كل خليل، وصار مصيرك إلى الجحيم، فيها مسكنك، ومبيتك، والمقيل، قال:

فقال علي بن الحسين عليه السلام: **أسأل الله العافية هذا جزاء من يهزأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**[1].

---

(١) الكافي، ج٣ ص٢٣٤، وأورده السيوطيّ في الحاوي للفتاوي، ج٣ ص٢٧٢.

مكاشفة للمرحوم النراقيّ، وكلامه مع ميّت دُفن حديثًا في واديالسلام:

و لقد وقعت هذه القصّة لسماحة آية الله، رئيس الملّة والدين، شيخ الفقهاء و المجتهدين، المرحوم الآخوند المولي محمد مهدي النِّراقيّ أعلى الله مقامه الشريف، و كان المرحوم النراقيّ من كبار العلماء، وكان جامعًا للعلوم العقليّة، والنقليّة، وحائزًا لمرتبة العلم، و العمل، و العرفان الإلهي، وكان فيالفقه، والأُصول، و الحكمة، و الرياضيّات، و العلوم الغريبة، و الأخلاق، و العرفان، من علماء الإسلام الذين عزّ نظيرهم.

لقد سكن المرحوم النراقيّ النجف الأشرف، و توفّي فيها، ومقبرته فيالنجف مُلحقة بالصحن المطهّر، و قد مرّ عليه في أيّام إقامته في النجف يومٌ من أيّام شهر رمضان لم يكن لديه شيء في منزله للإفطار، فقالت له زوجته: ليس في البيت من شيء، فاخرج و أحضر شيئاً!،

و يغادر المرحوم النراقيّ البيت و ليس في جيبه فلس واحد، فيتوجّه مباشرةً إلى وادي السلام في النجف لزيارة أهل القبور، ويجلس مدّة بين القبور يقرأ الفاتحة، حتّي مالت الشمس للغروب و بدأ الظلام ينتشر رويدًا رويدًا.

ثمّ يري الشيخ النّراقيّ في تلك الحال جماعة من العرب، و قد جاءوا بجنازة، وحفروا لها قبرًا، ثمّ إنّهم وضعوا الجنازة في القبر والتفتوا إلى المرحوم النراقيّ، فقالوا: إنّ لدينا عملاً، و نحن في عجلة من أمرنا؛ لنعود إلى مكاننا، فقمْ أنت بباقي تجهيزات هذه الجنازة، ثمّ إنّهم تركوا الجنازة، وذهبوا.

يقول المرحوم النراقيّ: دخلتُ القبر لافتح الكفن، و أضع خدّ الميّت على التراب، ثمّ أضع فوقه اللَبِنَ و أهيل عليه التراب، فشاهدتُ فجأة نافذةً، ثمّ دخلتُ تلك النافذة لأشاهد روضةً كبيرةً ذات أشجار خضراء، يانعة، متكاتفة، محمّلة، بالثمار المتنوّعة، و كان هناك طريقٌ من باب هذه الروضة إلى قصرٍ مجلّل، وقد فُرش هذا الطريق بأجمعه بحصًى صغار من المجوهرات، وردّتُ بلا إرادة منّي، و توجّهتُ مباشرةً إلى ذلك القصر، فرأيت أنّه قصر فخم، مبنيٌّ بطابوق من المجوهرات، ثمّ صعدتُ السُلّم، و دخلتُ غرفةً كبيرة، فشاهدتُ شخصًا يتصدّر تلك الغرفة، وأشخاصًا جالسين في أطراف الغرفة، فسلّمتُ عليهم، و جلستُ، فردّوا عليَّ السلام.

ثمّ شاهدتُ أنّ هؤلاء الجالسين في أطراف الغرفة كانوا يُديمون السؤال من ذلك الجالس في صدرها عن أحواله، ويستفسرون عن أحوال أقاربهم و خاصّتهم، فكان يجيب على أسئلتهم. كان ذلك الرجل مبتهجًا مسرورًا و هو يجيب على أسئلة الجالسين واحدًا بعد الآخر.

ثمّ انقضت مدّة فشاهدتُ فجأة أنّ ثعبانًا قد دخل من باب الغرفة وتوجّة مباشرةً إلى ذلك الرجل، فلدغه، ثمّ خرج من الغرفة، و لقد امتقع وجه ذلك الرجل من ألم لدغة الثعبان، و تورّم بعض الشيء، ثمّ إنّه عاد إلى حالته الأولى تدريجًا، فشرعوا من جديد بالحديث مع بعضهم، و بالاستفسار عن الأحوال، و السؤال عن أخبار الدنيا من ذلك الرجل.

ثمّ انقضت ساعة فشاهدتُ مرّة أُخرى أنّ ذلك الثعبان دخل من الباب من جديد، ولدغ الرجل بالطريقة نفسها، و عاد من حيث أتى، فاضطربت حالُ الرجل، و امتقع وجهه، ثمّ إنّه عاد إلى حالته الأُولى.

فسألته في تلك الحال: من أنت أيها السيّد؟ و أين هذا المكان؟ ولمن هذا القصر؟ و ما هذا الثعبان؟ و لماذا يقوم بلدغك؟.

قال: أنا الميّت الذي وضعتَه توّاً في القبر، كما أنّ روضة الجنّة البرزخيّة هذه لي، أنعم الله عليّ بها فظهرتْ من نافذة فُتحت من قبري إلى عالم البرزخ. هذا القصر لي، و هذه الأشجار المجلّلة، و هذه المجوهرات، و هذا المكان الذي تراه جنّتي البرزخيّة، و ها قد جئتُ إلى هنا، كما أنّ هؤلاء الجالسين في أطراف الغرفة أقاربي، و أرحامي الذين توفّوا قبلي، وهاهم قدموا لرؤيتي، و للسؤال عن أهليهم، وأرحامهم، وأقاربهم في الدنيا، فكنتُ أُحدّثهم عن أحوال أُولئكم.

قلتُ: فلماذا يلدغك هذا الثعبان؟!.

قال: إليك الأمر: أنا رجلٌ مؤمن، من أهل الصلاة، و الصيام، والخُمس، و الزكاة، ثم يقص له أنّ ذلك عقوبة لبعض ما صدر منه في تضييع حقٍّ لبعض الناس، ثمّ إنّي حين سمعت بذلك نهضتُ، و قلتُ: إنّ أهلي ينتظروني في البيت، و عليّ أن أذهب فآخذ لهم إفطارًا.

فنهض ذلك الرجل الجالس في صدر الغرفة، فشايعني إلى الباب، وحين أردت الخروج أعطاني كيسًا صغيرًا من الرزّ و قال: هذا رزّ جيّد، فخذه لعيالك!.

فأخذتُ الرزّ، ودّعته، وخرجتُ من الروضة من النافذة التي كنتُ قد دخلتُها من قبل، فرأيتني داخل ذلك القبر، وكان الميّت راقدًا على الأرض، وليس هناك من نافذة، ثمّ إنّي خرجتُ من القبر، ووضعتُ عليه اللَبِن، و أهلتُ التراب، و توجّهت إلى منزلي، و جلبتُ كيس الرزّ فطبخنا منه.

و انقضت مدّة و نحن نطبخ من ذلك الرزّ فلا ينفد، وكلّما طبخنا منه شيئًا فاحت منه رائحة طيبّة، فعطّرت أرجاء المحلّة، وكان الجيران يتساءلون: من أين اشتريتم هذا الرزّ؟.

وأخيرًا حلّ يومٌ لم أكن فيه في المنزل، فقدم إلينا أحد الضيوف، وقامت زوجتي بطبخ شيء من ذلك الرزّ، وتركته على النار؛ لينضج، وكان العطر الفوّاح يتصاعد منه، فيملأ فضاء البيت، ويتساءل ذلك الضيف: من أين لكم هذا الرزّ الذي يفوق في عطره جميع أنواع الرزّ العنبر؟.

فاستحيت زوجتي، وشرحت له القصّة؛ ثمّ إنّهم طبخوا القدر الباقي من الرزّ بعد ذلك، فنفد جميعه، و لم يبقَ منه شيء؛ بلى، هذه هي أطعمة الجنّة التي يرزقها الله سبحانه للمقرّبين من حضرته[1].

الثاني: رؤية الأموات من قبل الأحياء في المنام.

دلّ صريح القرآن الكريم على أن النوم، والموت، من جنس واحد: (**الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**)[1].

---

(١) معرفة المعاد، السيد محمد الحسيني الطهرانيّ، ج٢ ص١٤٧ بتصرف.

وروي (**أن النوم أخو الموت**)[٢]، ولم يتمكن فلاسفة العالم، ومفكريه إلى اليوم من الإتيان بتفسير واضح، وجليّ عن حقيقة النوم، وما يراه النائم من أحلام، ولكن ماهو معروف أن روح الإنسان تنتقل حال النوم من بدنها الماديّ إلى عالم آخر هو عالم التجرّد، وعالم الصور، والمثال.

وقد تقدم أن روح الإنسان جوهر مجرّد، وهو حيٌّ، و قادر، و عالم، و مختار، ولم يكن تعلّق الروح بالبدن إلا تعلّق تدبيريّ، وإلا فهي حيّة بنفسها، ولها الأصالة في الوجود.

إنّ قدرة الروح بعد أن تترك البدن ستكون كبيرة جداً، وهي بلا شك سوف تقوم بالأعمال العجيبة مالم تستطع أن تقوم به حال وجودها في البدن؛ ولذا نرى النائم يتحرك شرقًا وغربًا، ويقطع المسافات المهولة في لحظة، ويسافر، ويلتقي، وينتقل إلى أماكن يعجز عن فعلها وهو في جسده الماديّ، وعندما ينتبه من نومه يجد أن ذلك السفر، والحركة، وما شاهده لم يكن أكثر من دقائق معدودة، وهذه هي طبيعة الروح عندما تتجرّد من بدنها الثقيل.

إن الروح عند تلبسها بعالم المثال حال النوم سوف يكون لها ارتباط بعالم المجردات، وعالم المثال، وهنا يحصل ارتباطها بالعالم البرزخيّ، فتلتقي بأرواح الأموات، كما تلتقي بأرواح الأحياء كذلك، وكلما كانت الروح أكثر استعدادًا وصفاءً كانت معارفها أكمل، ومشاهداتها أوضح.

---

(١) الزمر ٤٢.

(٢) مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، باب ٤٤ص٢٩.

وقد روى العلماء الحوادث الكثيرة، والمشاهدات الغريبة عن ارتباط الأرواح في ما بينها، منها ما ذكر في كتاب الروح أن الصعب بن جثامة، وعوف ابن مالك، كانا متآخيين، قال صعب لعوف: أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليتراءى له، قال: أو يكون ذلك؟، قال: نعم، فمات صعب، فرآه عوف في ما يرى النائم كأنه قد أتاه، قال: قلت: أي أخي، قال: نعم، قلت: ما فعل بكم؟، قال: غفر لنا بعد المصائب، قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه، قلت: أي أخي ما هذا، قال: عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهوديّ، فهن في قرني، فأعطوه إياها، واعلم أي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره، حتّى هرة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أن إبنتي تموت إلى ستة أيام، فاستوصوا بها معروفًا، فلما أصبحت قلت: إن في هذا لمعلمًا، فأتيت أهله، فقالوا: مرحبًا بعوف، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم؟، لم تقربنا منذ مات صعب، قال فأتيت فأعتللت بما يعتلّ به الناس، فنظرت إلى القرن، فأنزلته، فانتثلت ما فيه، فوجدت الصّرّة التي فيها الدنانير، فبعثت بها إلى اليهوديّ، فقلت: هل كان لك على صعب شيء، قال: رحم الله صعبًا، كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، هي له، قلت: لتخبرني، قال: نعم، أسلفته عشرة دنانير، فنبذتها إليه، قال: هى والله بأعيانها، قال: قلت هذه واحدة.

قال: فقلت: هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب، قالوا: نعم حدث فينا كذا حدث، قال: قلت: اذكروا، قالوا نعم هرّة ماتت منذ أيام، فقلت هاتان اثنتان، قلت: أين

ابنة أخي، قالوا: تلعب فأتيت بها، فمسستها، فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفًا فماتت في ستة أيام)[١].

ومن هنا فإن أرواح الأحياء مع الأموات كثيرًا ما تتلاقى، وتتعارف، وهذا الأمر الناس فيه سواء، فهو يقع عند جميع البشر، إذ إن الأحياء يرون الأموات مِمّن شاهدوهم في الحياة من أحبائهم، أو مِمّن سمعوا بهم أو لم يروهم؟، ولم يسمعوا بهم، ويقع أن يخبر الميت الإنسان الحي بما لايعلم، ويكون كما أخبر سواءً كان ذلك في الماضي أم في المستقبل، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

(و ربّما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم فيه سواه، وربما أخبره بدين عليه، وذكر له شواهده، وأدلته، وأبلغ من هذا أنّه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين، وأبلغ من هذا أنّه يخبره أنّك تاتينا إلى وقت كذا وكذا، فيكون كما أخبر، وربّما أخبره عن أمور يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره)[٢]، وكثيرًا ماتقع المواعظ الجليلة من أرواح عالم البرزخ لأحبائهم، وكم من تائبٍ وراجع إلى الله بسبب نصيحة، وتذكير من أحد الأموات.

فنخلص إلى أن تلاقي أرواح الأحياء، والأموات وهي في قوالبها المجرّدة مِمّا لايمكن إنكاره، وهو دليل على حصول هذا الارتباط بين الدنيا، وعالم البرزخ.

---

(١) الأهوال، ابن رجب، ص١٣٥، والروح، ابن القيم، ٣١.

(٢) الروح، ابن القيم الجوزية، ص٤٢.

زيارة الأموات لدار الدنيا:

لتتمة البحث في العلاقة بين عالم الدنيا، والبرزخ، فهل يمكن للأرواح البرزخيّة زيارة عالم الدنيا؟.

تقدّم في الأبحاث السابقة أن الروح مجرّدة، وهي بعد انتقالها من الدنيا سوف تكون بقوالب مثالية على نفس الصورة الدنيوية، وهذه الروح سوف لا يعجزها الحركة والانتقال ضمن حدود المشيئة الإلهية، وبحسب الروايات، فإن الأرواح البرزخيّة يمكنها الاطلاع على أحوال أهل الدنيا، وزيارتهم، ولكنّ ذلك بحسب الدرجات، والمنزلة التي تناسب كل واحد من أهل عالم البرزخ، وهذه المنزلة مرتبطة بلا شكّ بأعمال الإنسان عندما كان في عالم الدنيا.

روى إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: (سألته عن الميت يزور أهله؟ **قال: نعم فقلت في كم يزور؟، قال في الجمعة، وفي الشهر، وفي السنة، على قدر منزلته)**[١]، وفي رواية أخرى (**يزور على قدر عمله)**[٢].

وفي الكافي بسنده عن أبي بصير أن الصادق عليه السلام قال: (**مامن من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسره)**[٣].

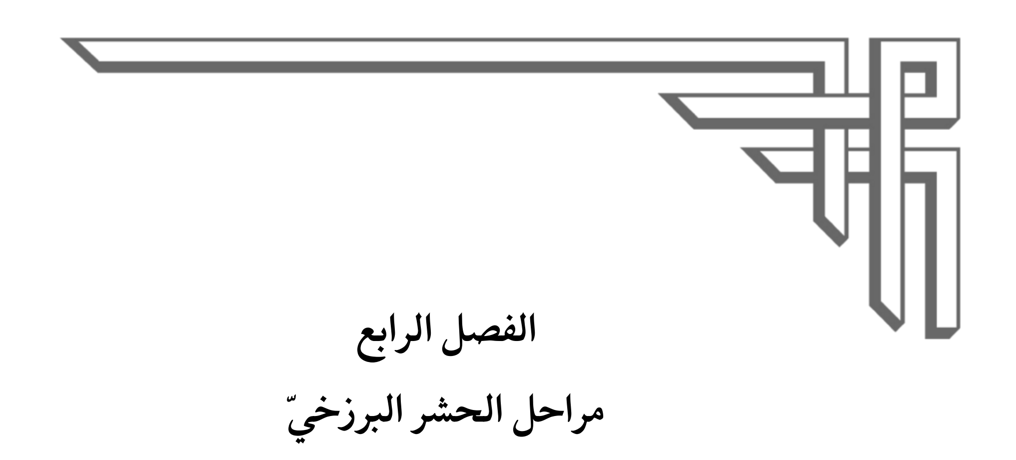
(١) فروع الكافي، باب ١٥٧/ ح٣/ ج٣/ ص ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ح٣.

(٣) المصدر نفسه، ح٢.

وقد ورد في بعض الروايات أنّ الميت يأتي أهله بصورة طائر حيث قال عليه السلام:(**يستأذن ربه، فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره، فينظر إليهم، ويسمع كلامهم**)[١]، والظاهر أن الإمام عليه السلام عبر عن حصول زيارة الموتى لأهليهم بصورة الطائر من باب التمثيل، وللدلالة على سهولة اطلاع أرواح الموتى على أحوال أهليهم التي تناسب سهولة وقوع الطير على جدران البيوت .

(١) المصدر نفسه، ح٤.



الفصل الرابع

مراحل الحشر البرزخيّ

المبحث الأوّل: ضغطة القبر و المُسآلة.

المبحث الثاني: المسؤولون في القبر.



المبحث الاول

ضغطة القبر

ضغطة القبر أوّل المنازل المهولة في عالم البرزخ كما يظهر من بعض الأخبار الدالة على ذلك، ومحلها قبل السؤال من قبل الملائكة أو معه، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه: (**ليس من مؤمن إلا وله ضمّة**)[1].

وعن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ: (**ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم**)[2]، وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (**أيفلت من ضغطة القبر أحد، فقال** عليه السلام: **نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر**)[3]، وفي صحيحة يونس قال: سألته عن المصلوب يعذب عذاب القبر؟ قال: فقال: **نعم إن الله يأمر الهواء أن يضغطه**)[4].

وهذا المعنى ورد أيضًا مورد الضرورات في كتب وروايات العامة[5].

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص٢٢١ ، باب من أبواب الموت ح١٩ ؛ وانظر: منازل الآخرة، عباس القميّ، ص١٣٩.

(٢) المصدر السابق: ج٦ ص٢٢١ ح١٦

(٣) الكافي، مصدر سابق: ج٣ ص٢٣٦ ح٦ باب المسألة في القبر، وانظر بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٣ ص٢٢.

(٤) الكافي، مصدر سابق ص٢٤١ ح١٦، باب ما ينطق به موضع القبر.

(٥) انظر مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، ج٣ ص٤٦ ؛ المعجم الوسيط، الطبراني، ح٢ ص٣٧. وإثبات عذاب القبر، البيهقي، ص٨٢ والاستيعاب، ابن عبد البر؛ ج٢ ص٦٠٤. والقرطبي في تفسيره ج٢ ص٢٤٩ والآلوسي في تفسيره ج١٦ ص٢٧٧ وغيرهم.

لكن الملاحظ أن الرواة استغرقوا كثيرًا في مروياتهم، وشروحهم في حصول ضغطة القبر، وكيفيتها، إلى حد المبالغة، فجاء التعبير بتكسير الأضلاع تارةً، واختلاف الأضلاع أخرى، وانطباق جانبي القبر على بدن الميت، وأن القبر يلتئم على أضلاعه حتى تختلف فلا يزال يعذب حتى يبعث.

أمّا المعذبين بهذه الضغطة فهم الجميع فجّار، وصلحاء، وأطفال رضّع؛ بل حتى الأنبياء، والأوصياء، والشهداء، بينما الأمر مختلف في مدرسة أهل البيت ﷺ فهي - الضغطة- إذا كانت عقوبة لا بد أن تكون جزاءً للعمل حتى للمؤمن وقد عبرت عنها الروايات (بتضييع العمل)، وهي بالتأكيد لا تشمل الأطفال، والمؤمنين الكاملين، فضلا عن الأنبياء، والأوصياء ﷺ.

وإذ تبين أن الضغطة واقعة كما مر في الأخبار فهل أن حصولها يكون على الجسد العنصريّ الماديّ في القبر، أو على الجسد البرزخيّ المثاليّ، أو على الروح فقط؟.

وهنا يوجد رأيان في المسألة:

الرأي الأوّل: ضغطة القبر تكون على الجسم الماديّ العنصريّ.

الذي يظهرمن تتبع الأخبار أن بعض الأحوال الواردة على الروح إنما تكون من الأمور الحسية، كالضغطة، والسؤال، فتكون الروح ضمن البدن الأول العنصري، فلا امتناع في أن يعيد الله سبحانه وتعالى تعلق النفس بالبدن المادي الذي فارقته بالموت بنحو من التعلق، بحيث يسمى إحياءٌ، ولكن لا كالحياة المعهودة في الدنيا، حيث تقوم الروح في البدن متصرفة، مدبرة، وإنّما الإعادة هنا بنحو غير مألوف، الغاية منها الامتحان، والمُساءلة، وبعد ذلك تنفصل الروح عن بدنها، وترجع إلى عالمها البرزخيّ، وهذا المعنى وردت الإشارة إليه

في لسان بعض الأخبار.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (**حتى إذا انصرف المشيّع، ورجع المتفجع، أُقعد في حفرته نجيًّا لبهتة السؤال، وعثرة الامتحان، وأعظم ما هنالك بلية نزول الحميم، وتصلية الجحيم... الخ**)[1].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: (**كأن قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى منزل وحيداً، فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان منكر، ونكير؛ لمسألتك، وشديد امتحانك**)[2].

وفي كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر قوله: (**إن العبد المؤمن إذا دفن قالت الأرض له: مرحبًا وأهلاً ...، وإن الكافر إذا دفن قالت الأرض له لا مرحبًا ولا أهلاً ...، فتضمه حتى تلتقي أضلاعه، وإن المعيشة الضنك التي حذر الله منها عدوه عذاب القبر**، ثم قال عليه السلام: **اعلموا يا عباد الله إن أنفسكم الضعيفة، وأجسادكم الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم، وأنفسكم مما لا طاقة لكم به، ولا صبر لكم عليه، فاعملوا بما أحب الله، واتركوا ما كره الله**)[3].

وفي الكافي عن محمد بن يحيى عن أبي جعفر عليه السلام قال: (**فإذا دخل حفرته ردت الروح في جسده، وجاء ملكا القبر فامتحناه، قال: وكان أبو جعفر عليه السلام يبكي إذا ذكر هذا الحديث**)[4].

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: (**ويدخل عليه في قبره ملكا القبر، وهما**

---

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام عليه السلام الخطبة الغراء، ١٨٣.

(٢) ميزان الحكمة، مصدر سابق ، ج٣ ص٢٤٧٩.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام ، الخطبة ٢٢٤.

(٤) الكافي، مصدر سابق، ج٣ ص٢٣٤ الحديث ٤٧١١ باب أن الميت يمثل له ماله، وولده، وعمله.

قعيدا القبر، منكر ونكير، فيلقيان فيه الروح إلى حقّويه، فيقعدانه ويسألانه)[١].

وكذا ما ورد من نوم رسول الله ﷺ في لحد فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام فلما سُئل عن نومه هذا قال ﷺ: **(أما نومي في لحدها فإني ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقالت: واضعفاه، فنمت في لحدها لأجل ذلك حتى كفيتها ذلك)**[٢].

وفي ما مرّ من الروايات دلالات واضحة بأن جزءًا مما يقع على الإنسان في القبر إنما يكون ببدنه الأصلي العنصريّ، كالضغطة والسؤال بعد أن تعاد إليه الروح، إمّا كاملة، أو إلى بعض أجزاء جسده.

وقد صرح الشيخ المجلسي رضي الله عنه بعدما ظهر له من الآيات، والأخبار، والبراهين القاطعة، في هذا الباب قال: (ويرد إليه الحياة في القبر، إمّا كاملاً، أو إلى بعض بدنه، ويسأل بعضهم عن بعض العقائد، وبعض الأعمال، ويثاب، ويعاقب بحسب ذلك، وتضغط أجسام بعضهم، وإنما السؤال والضغطة في الأجزاء الأصليّة، وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين، كمن لُقّن أو مات ليلة الجمعة، أو يومها، ثم تتعلق الروح بالأجساد المثاليّة اللطيفة ...، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه، واتساع القبر وضيقه)[٣].

تفسير الشيخ كاشف الغطاء لموت البدن:

فسر الشيخ كاشف الغطاء قدس سره ما يقع على الإنسان في قبره من الضغطة والمساءلة علميًّا بالتفريق بين موتتين، موتة ناجزة، وغير ناجزة، وقد استفاد ذلك من مراجعة مجموعة من شهادات علماء الطب، والأحياء، قال رحمه الله: (فظهر أن ما نسميه حياة ليس خاصة واحدة لا

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ باب أهوال البرزخ والقبر، وعذابه، وسؤاله.

(٢) بحار الأنوار، ج٦ ص٢٤١ أهوال البرزخ، والقبر، وعذابه، وسؤاله.

(٣) المصدر السابق، ج٦ ص ٢٧٠، باب أحوال البرزخ، وعذابه، وسؤاله.

تتجزأ، وليست كذبالة السراج تنطفئ بنفخة واحدة، ويمكن أن يوصلنا العلم لغاية أبعد من هذه، فالروح التي برهنّا على علوقها بالجسد، وجوّزنا أن تفاض حتى على الجماد، حيث لا يوجد دليل على امتناع ذلك تبقى مشتبكة بهيكلها الجسدي، ولا تفارقه بتاتًا، إلا بموتة ناجزة تنحل فيها مجموعة مجاميع الخلايا الجسدية، فهي متشبثة به ما دامت فيه بقايا من الحياة، ومستمرة معه إلى آخر موتة من موتاته، وهي التي سماها أمير المؤمنين ﷺ بـ (الموتة الناجزة)، ويكون سريان الموت في جسد الميت تدريجيًا إلى أن تفارق الحياة آخر خلية حيّة فيه، والنتيجة إذا كان للموت طبقات، ومنازل، ودرجات، وليس عندنا شاهد، ولا دليل على أنه في أول مرحلة من مراحل الموت تذهب الروح من هيكلها وتنصرف عن بيتها ...

وإذا كان هذا حال سريان الموت في الجسد، وإن أول درجة من الموت لا تقطع تعلق الروح به، فهذا البدن الحي الميت ذو روح حساسة، متألمة، ويكفي ما فيه من حياة، وما في روحه من إدراك وشعور لأن يوجّه إليه السؤال، ويفاجأ بتلك الأحوال)[١].

الرأي الثاني: ضغطة القبر على البدن المثالي البرزخيّ.

إن الضغطة، والسؤال، لا علاقة لهما بالقبر الأرضي، ولا بالجسد الدنيوي، وإنما هي من شؤون عالم البرزخ، غير منفصلة عنه، وإن تلك النشأة تبدأ من حين خروج الروح من بدنها المادي، وتلبسها بالبدن البرزخي فيكون السؤال، والضغطة، والمؤاخذة على الروح ببدنها المثالي البرزخي؛ لأن البدن المادي أصبح بعد خروج الروح عنه جسداً بلا حركة، ولا حياة، سواء استحال إلى رميم أم لم يستحل، وقد فسر أصحاب هذا القول جميع ما ورد في الروايات من العذاب، والنعيم، والضغطة، والسؤال، والضيق، والضنك الذي يصيب الميت

(١) الغيب والشهادة، محمد رضا كاشف الغطاء، ص٩٠.

في قبره أن ذلك ورد في الأخبار من باب التمثيل للمساءلة في البرزخ.

قال العلامة الطباطبائي في تعليقة على بحار الأنوار: (وأما الروايات الدالة على إدخال الروح إلى حقّويه في القبر فهي تمثيل للمسألة)[1].

فهذه النشاة البرزخية لا علاقة لها بالحس؛ لأنها من عالم الغيب، والملكوت لا من عالم الشهادة والملك ...

(إن تعلق الروح بالبدن فيما بعد الموت هو عين التفات النفس إلى حالها؛ إذ بعد شروع سكرات الموت، وانقطاع ارتباط النفس بالبدن يحصل للنفس نحو التفات إلى البدن مرة أخرى، وليس معنى الارتباط والتعلق المذكور إن النفس تعود فتتلبس فيما انسلّت عنه من جسد؛ إذ أن نسبة النفس إلى البدن المتفسخ هي نظير نسبتها إلى سائر الأجسام، وليس سوى إن الشارع الأقدس فرض لهذا الجسم مجموعة من الأحكام، التي إن دلّت على شيء فإنما تدل على نوع من الشأنية والاحترام له باعتبار أنه كان فيما مضى بدنًا لإنسان)[2].

ومن هنا يظهر أن الروايات التي عبرت عن القبر بأنه دار الثواب، والعقاب، إنما المراد به حقيقة هو الحياة البرزخية، التي هي من عالم آخر غير العالم المادي الترابي؛ ولذا سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن القبر ما هو فأجاب: (**القبر هو البرزخ**)، فليس المقصود من محل السرور، والغم، والسؤال، والمستقر أن يكون في هذه الحفرة الصغيرة التي لا تتجاوز المترين من الأرض، ومنشأ التوهم عند بسطاء الناس جاء من حمل كلمة القبر الذي يراد به تلك الحياة الملكوتية البرزخية على هذه الحفرة الضيقة، بينما لا يعدو القبر الترابي بأكثر من وعاء لحفض الأجساد الميتة. نعم وردت خصوصية للقبر أنه يحمل أصل الطينة التي خلق منها،

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ح٦ ص٢٨٤.

(٢) المعاد في نظر الإمام الخميني، إعداد لجنة إحياء تراث الإمام الخميني: ص١١٨ .

ففي الرواية سئل أبوعبدالله ﷷ عن الميت هل يبلى جسده؟، فقال: نعم حتى لا يبقى لحم، ولا عظم، إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة[١].

يقول الامام الخميني ﵁ في الفرق بين القبر المادي، وعالم القبر البرزخي: (ما دامت النفس موجودة في البرزخ، وعالم القبر يظل لديها أنس واهتمام بدار الطبيعة، بحيث إن سعة وضيق هذا العالم تابعان لصدر ونفس الإنسان سعةً وضيقًا ، لكن القبر الذي طوله متران وعرضه نصف المتر ليس هو ما قيل عنه أنه ما بين المشرق والمغرب، وليس هو القبر الذي لو فتحناه لوجدنا فيه التنائن التي وصفتها الرواية **(أنه يسلط على الكافر في قبره تسعة تسعين تنينًا لو أن تنينًا منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعًا)**. إن أيّاً من الروايات الواردة في باب القبر عماً كشفوا لنا أسرار الغيب لا تناسب أحكام الدنيا، وخصائصها، وظروفها أن عالم القبر هو أول مراتب الحياة الروحانية، والمعنوية، والبرزخية)[٢].

---

(١) بحار الأنوار : (ج٧ ص٤٣ ب٣ ح٢١).

(٢) المصدر السابق ، ص٢٣٢.

المبحث الثاني

المسؤولون في القبر

القبر هو عبارة عن أول منزل يوضع فيه الإنسان بعد انتقالة من النشأة الدنيوية، والمستفاد من الأخبار أن القبر هو المكان الذي يعيش فية الإنسان بعد موته، فأما أن يكون منعّمًا أو يكون معذّبًا، وهوعالم فسيح تكون الأرواح فيه محبوسة، أو مرسلة علويّة، أوسفليّة وقد عبر عن عالم البرزخ بعالم القبر من باب الكناية، ففي أكثر الروايات يطلق لفظ القبر ويراد به عالم البرزخ .

وفي القبر يُسأل الإنسان عن عقائده، وأعماله وسلوكه الدنيوي؛ إذ يسأل عن ربه، وخالقه، وعن دينه، وعن نبيه، وعن إمامه، وعن عباداته، وأعماله، وقد وردت روايات متعدده في ذكر التفاصيل التي يسأل عنها الإنسان، ومن هذه الأخبار مارواه سليمان بن مقبل عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال:

(إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أُدخل قبره أتاه منكر ونكير، فيُقعدانه، ويقولان له: من ربّك ؟ وما دينك ؟ فيقول: ربّي الله، ومحمّد نبيّي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنّة، ويُدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿**فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ**﴾ (يعني في قبره) ﴿**وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾ (يعني في الآخرة).

ثمّ قال ﷺ: إذا مات الكافر شيّعه سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وإنّه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كلّ شيء إلاّ الثقلان ويقول : لو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين، ويقول: ارجعونِ لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية : كلاّ ! إنّها كلمة أنت قائلها، ويناديهم ملك: لو رُدّ لعاد لما نهي عنه .

فإذا أُدخل قبره، وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة، فيقيمانه، ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيتلجلج لسانه، ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربة من عذاب الله يذعر لها كلّ شيء، ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: لا دريت، ولا هديت، ولا أفلحت؛ ثمّ يفتحان له باباً إلى النار، وينزلان إليه من الحميم من جهنّم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ**﴾ ﴿**فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ**﴾(يعني في القبر) ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (يعني في الآخرة)[1] .

و في هذا الباب سنبحث عن أهم المواضيع المرتبطة بعالم البرزخ، وهو أن السؤال في القبر هل هو مخصوص بطائفة خاصة من الناس أو هو عام ؟، وقد وردت طائفتان من الروايات؛ إحداهما دالة على خصوصية السؤال، والثواب، والعقاب، لمن محض الإيمان محضًا، أو محض الكفر محضًا، أمّا ما سوى هؤلاء فيلهى عنهم.

والطائفة الأخرى من الروايات دلت على عموم السؤال، وأنه يطال جميع البشر، ولا يختصّ بمن وصل إلى مرتبة الإيمان الخالص أو الكفرالخالص.

---

(١) بحار الأنوار : ج٦ ، ص٢٢٢، ب٨ ، ح٢٢.

الطائفة الأولى:

الروايات الدالة على أن سؤال القبر لطائفة خاصة من الناس، وفيها ست روايات ففي الكافي عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (**لا يسأل في القبر إلا من محض الايمان محضًا، أو محض الكفر محضًا والآخرون يلهون عنهم**)[١].

ومنها في الكافي أيضا بسنده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضًا والكفر محضًا وأما ما سوى ذلك فيلهى عنهم**)[٢].

ومنها فيه بسنده الموثق، عن أبي بكير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (**إنما يسال في قبره من محض الإيمان محضًا وأمّا ما سوى ذلك فيلهي عنه**)[٣].

ومنها فيه بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم قال قال أبو عبد الله عليه السلام: (**لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضًا أو محض الكفر محضًا**)[٤].

ومنها فيه عن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله من المسؤلون في قبورهم ؟؛ قال: (**من محض الإيمان ومن محض الكفر، قال قلت: فبقية هذا الخلق قال: يلهى والله عنهم ما يعبأ بهم**)[٥].

وفي البحار عن الاختصاص عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: (**لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان أو محض الكفر محضًا فقلت له: فسائر الناس فقال يلهي**

(١) الكافي ، مصدر سابق ، ج٣ باب المسألة في القبر، ومن يسأل، ومن لا يسأل، الحديث١ ص٢٣٥.
(٢) المصدر السابق، ح٢.
(٣) المصدر السابق، ح٣.
(٤) المصدر، السابق، ح٤.
(٥) المصدر السابق، ح٨.

عنهم)[١].

الطائفة الثانية:

وهي الروايات الدالة بالنص، أو بالاطلاق، والعموم على أن السؤال، والثواب ، والعقاب في القبر إنّما يكون لجميع الناس، ولا يختص بالذين محضوا الإيمان محضًا، أو الكفر محضًا، والروايات في هذه الطائفة كثيرة جداً منها:

ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: **(القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران)**[٢].

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **(إن أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربنا أقم الساعة لنا، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأولنا)**[٣].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **(ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو ياتي أهله عند زوال الشمس فإذا رآى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رآى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة)**[٤].

وعن حبه العرني، قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر، فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى أعييت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى أنالني

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق ح٦ باب ٨ ح ٥٢ ص٢٣٥.

(٢) المصدر السابق، ح٦ ص٢١٨.

(٣) الكافي، مصدر سابق، ح٣ ص٢٤٤ كتاب الجنائز باب آخر في أحوال المؤمنين ح٢.

(٤) المصدر السابق، ح٣ ص ٢٣٠ باب إن الميت يزور أهله الحديث ٢.

مثل ما نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت، وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة ثم طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: (**يا حبه إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته**، قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم كذلك، قال: **نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقًا حلقًا، محتبين يتحادثون**، فقلت: أجسام أم أرواح ؟ فقال: **أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن**)[1]

وفي البحار عن كشف اليقين عن النبي ﷺ أنه قال: (**فلا يبقى ميت في شرق، ولا غرب، ولا في بر، ولا في بحر، إلا ومنكر، ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميت من ربك، وما دينك، ومن نبيك، ومن إمامك**)[2].

وقد ذهب الشيخ الصدوق رضي الله عنه إلى القول بعموم السؤال للمؤمنين، والكافرين؛ إذ قال (واعتقادنا فيها أنها إذا فارقت الأبدان فهي باقية منها منعمة، ومنها معذبة الى أن يردها بقدرته إلى أبدانها)[3].

ويمكن استفادة عمومية السؤال وحصول الثواب، أو العقاب لجميع الناس من أخبار باب الاحتضار والتلقين وباب سلّ الميت، ووضع الجريدتين، وما يقال عند دخول القبر من الدعاء، وباب تربيع القبر، ورشه بالماء، وزيارة القبور، وغيرها من الأبواب.

فقد روي في باب الاحتضار روايات كثيرة، منها مافي في الكافي عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام: (**إن رسول الله** ﷺ **دخل على رجل من بني هاشم وهو يقضي فقال: له رسول**

(١) الكافي، مصدر سابق ح٣ ص٢٤٣ باب في أرواح المؤمنين الحديث ١.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ح٦ الباب ٨ ص٢١٦ ح٦.

(٣) الاعتقادات، الصدوق، ص ٨٠.

الله ﷺ قل لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع، ورب الأرضين السبع، وما بينهن، ورب العرش العظيم، والحمد لله ربِّ العالمين، فقالها فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي استنقذه من النار)[١] وهذه التلقينات عند الاحتضار إنما تقرأ عند كل ميت من دون فرق بين إنسان، وآخر ممن محض الإيمان، أو محض الكفر.

أمّا ما ورد في تلقين الميت، وسلّه إلى القبر، فأخبار كثيرة منها:

موثقة سماعًا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**إذا وضعت الميت في القبر قلت: اللهم هذا عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، نزل بك وأنت خير منزول به، فإذا سللته من قبل الرجلين، ودليته فقل: بسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، اللهم إلى رحمتك لا إلى عذابك، اللهم افسح له في قبره، ولقنه حجته، وثبته بالقول الثابت، وقنا وإياه عذاب القبر**)[٢].

وما ورد في باب الجريدتين، ورش الماء على القبر، وتربيعه، ففي الكافي قيل لأبي عبد الله عليه السلام: لأي شيء توضع الجريدة قال: (**إنه يتجافى عنه العذاب ما دامت رطبه**)[٣].

وعنه عليه السلام قال: (**يستحب أن يدخل معه في قبره جريدة رطبة، ويرفع قبره عن الأرض أربع أصابع مضمومة، وينضح عليه الماء ويخلّى عنه**)[٤].

وكذلك ما ورد في زيارة القبور، وأن الميت يزور أهله، فعن الصادق عليه السلام في زيارة القبور

---

(١) الكافي، مصدر سابق، ح٣ ص١٢٤ باب تلقين الميت ح٩.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص١٩٧ ح١١.

(٣) المصدر السابق، ج٣ ص١٥٣ ح١ باب الجريدة.

(٤) المصدر السابق، ج٣ ص١٩٩ ح٢

قال: (**إنهم يأنسون بكم فإذا غبتم استوحشوا**)[١] وعنه ﷺ: (**إن المؤمن ليزور أهله، فيرى ما يحب، ويستر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحب قال: ومنهم من يزور كل جمعة، ومنهم من يزور على قدر محلّه**)[٢].

والمتحصل من استعراض بعض هذه الأبواب أنها عامة لكلّ الناس، ولم تقيد في باب من الأبواب، ولم تشر إلى التفصيل بين الطائفتين، فتبقى على عمومها بشمول جميع الناس للسؤال، والثواب، أو العقاب في عالم القبر، والبرزخ.

رأي الشيخ المفيد ﵁:

ذهب الشيخ المفيد ﵁ إلى تبني الطائفة الأولى من الروايات، وهي الدالة على أن السؤال والثواب والعقاب إنما يكون لمن محض الإيمان أو الكفر لا غير قال ﵁ في شرح اعتقادات الصدوق ﵁: (والذي ثبت من الحديث في هذا الباب أن الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين، منهما ما ينقل إلى الثواب، والعقاب ومنها ما يبطل، فلا يشعر بثواب ،ولا عقاب، وقد روي عن الصادق ﵇ ما ذكرناه في هذا المعنى وبيناه ، فسئل عمن مات في هذه الدار أين تكون روحه؟؛ فقال: (**من مات وهو ماحض للإيمان محضًا، أو ماحض للكفر محضًا، نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة، والكافر ينتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه في نار ويعذب بها إلى يوم القيامة ...**).

والضرب الآخر يلهي عنه، وتعدم نفسه عند فساد جسمه، فلا يشعر بشيء حتى يبعث، وهو من لم يمحض الإيمان محضًا، ولا الكفر محضًا ،وقد بين الله تعالى عند قوله: ﴿ **إِذْ**

(١) المصدر السابق، ج٣ ص٢٢٨ ح١.

(٢) المصدر السابق، ج٣ ص ٢٣٠ ح١.

يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾[١] فبين أن قومًا عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتى يظن أن ذلك عشرًا ﴿ **يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا** ﴾[٢]، ويظن بعضهم أن ذلك كان يومًا، وليس يجوز أن يكون ذلك عن وصف من عُذّب إلى بعثه أو نُعّم إلى بعثه لأن من لم يزل منعّمًا أو معذبًا لا يجهل عليه حاله فيما عومل به ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته)[٣].

ولكن ما استشهد به الشيخ المفيد ﵁ من الآيات قد يكون أجنبيًّا عن المقام لأن الآيات تحكي عن الكفار والمجرمين (ومتيقنها هم الذين محضوا الكفر محضًا وقد عرفت أنه المتيقن ممن لهم عذاب البرزخ كما أن الذين محضوا الإيمان محضًا هم المتيقن ممن يتنعمون بثواب البرزخ. وعليه فالظاهر أن نظر تلك الآيات الدالة على حالة السبات في ما قبل البعث ليس إلى عالم البرزخ بل النظر إلى ما بين النفختين المتعلقتين بيوم القيامة قال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾[٤] والذي يظهر من إطلاق الآية المباركة هو أن الصعق الذي يحصل على أساس النفخة الأولى يشمل كل من في السموات والأرض، بما فيهم الذين ماتوا قبلاً، وانتقلوا إلى البرزخ)[٥].

---

(١) طه: ١٠٤.

(٢) طه: ١٠٣.

(٣) تصحيح الاعتقادات، مصدر سابق ، ص٨٩.

(٤) الزمر: ٦٨.

(٥) أصول الدين، الحائري، ص٣٢٢- ٣٢٣.

قال العلامة الطباطبائي ﷺ: في تفسير هذه الآية (ومعنى الجملة على ما يعطيه السياق يقولون ما لبثتم في الدنيا قبل الحشر إلا عشرة أيام يستقلون لبثهم فيها بقياسها ما يلوح لهم من حكم الخلود الأبدية، وقوله: نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يومًا، أي لنا إحاطة علمية بجميع ما يقولون في تقرير لبثهم؛ إذ يقول أمثلهم طريقة أي الأقرب منهم إلى الصدق إن لبثتم في الأرض إلا يومًا، وإنما كان قائل هذا القول أمثل القوم طريقة، وأقربها إلى الصدق لأن اللبث المحدود الأرضي لا مقدار له إذا قيس في اللبث الأبدي الخالد)[١].

فلا دلالة في الآيات المتقدمة على ما ذهب إليه الشيخ المفيد من كون المراد عدم علم هؤلاء بمدة لبثهم دليل على أنهم كان ملهوّ عنهم، وبذلك فهم معدومون، ولا توجد حياة برزخيّة في حقهم إلى يوم القيامة.

الجمع بين الروايات المتقدمة:

١- قد يقال للجمع بين الطائفتين من الروايات بأن نتصرف في مفاد روايات الطائفة الأولى في خصوص السؤال لمن محض الإيمان، والكفر، خاصة الرواية الثانية، والثالثة، والرابعة، وذلك بالقول إنها راجعة إلى خصوصية السؤال لا إلى خصوصية المسؤولين، حيث عبر فيها (**إنما يسأل من محض الإيمان أو محض الكفر**)، فالسؤال في القبر يكون عن الاعتقادات لا عن الفروع، وجملة (**ما سوى ذلك فيلهى عنهم أو فيلهي عنهم**) راجعة إلى ما سوى الإيمان وهي الفروع، وهذا كله بناء على كون كلمة (من) في قوله: (**من محض الإيمان ومن محض الكفر**) جارًّا ومجرورًا، أما على قراءتها بالفتح (صلة وموصولا) فيكون المراد خصوص المسؤولين، فتبقى دلالتها واضحة على خصوصية السؤال للطائفتين فقط

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١٤ ص٢١٠.

أعني من محض الإيمان ومن محض الكفر، والحق أن اعتبار (من) في الرواية جارًّا ومجرورًا بعيدٌ جداً.

٢- لو فسرنا (الإلهاء) الوارد في قوله عليه السلام (**يلهى عنهم**) بمعنى عدم الشعور والإحساس مطلقًا لهذه الطائفة من الناس في حياتها البرزخية لوقع التعارض بين الطائفتين من الروايات، ولكن يمكن الاستدلال بصحيحة ضريس الكناس كشاهد جمع بين الطائفتين؛ إذ بينت الرواية ثلاث طوائف من الناس في البرزخ منها منعمة، ومنها معذبة، ومنها موقوفة، فهؤلاء الموقوفون من الممكن أن يكونوا ممن لم يمحضوا الإيمان أو الكفر محضًا.

والرواية هي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قلت له: جعلت فداك ما حال الموحدين المقرين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم ؟ فقال: (**أما هؤلاء فانهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فانه يُخد له خداً إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته فإما إلى الجنة وإما إلى النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله قال: وكذلك يفعل بالمستضعفين، والبله، والأطفال، وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، وأما النصاب من أهل القبلة فانه يخدُّ لهم خدًا إلى النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم اللهب، والشرر، والدخان، وفورة الجحيم إلى يوم القيامة، ثم بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم**)[1].

وبذلك يكون الإلهاء الوارد في الأخبار لا بمعنى موت الأرواح، وإعدامها تمامًا، بحيث لا يكون لها حظٌّ من الحياة البرزخية بنحو ما، وقد ثبت بالدليل إن الأرواح إذا فارقت البدن فهي

(١) الكافي، مصدر سابق ج٣ ص٢٤٧ ؛ جنة الدنيا كتاب الجنائز ح١، وانظر: بحار الأنوار، مصدر سابق ، ح٦ ص٢٨٦ باب جنة الدنيا ونارها ح٧.

باقية لا يطرأ عليها الموت والفناء؛ بل قيل: (**إنها مستثناة حتى من الصعق عند نفخ الصور، على أنّ الصعق لا يلزم منه الموت، والهلاك ليس مختصًّا بالعدم بل يتحقّق بخروج الشيء عن حدّ الانتفاع به**)[1] ولذا قال المجلسي في مناقشة الشيخ المفيد (وأما القول ببقاء الأرواح فقد قال رحمه الله به في بعضها، فأي استبعاد في القول بذلك في جميعها ؟ وما ذكره من الأخبار لا يدل على فناء الأرواح الملهو عنهم، بل على عدم إثابتها وتعذيبها)[2].

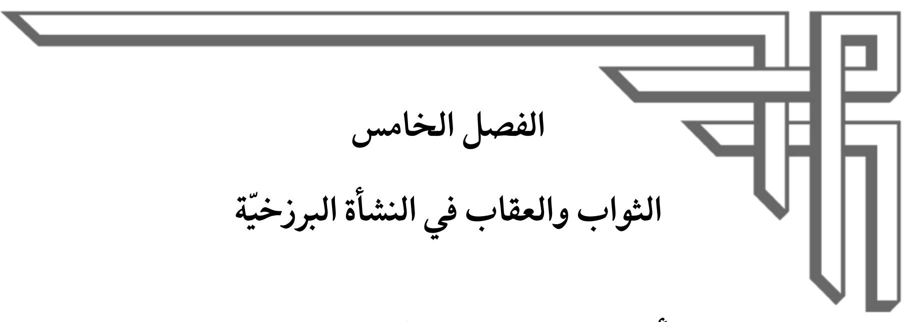
٣- قد يكون الإلهاء الوارد في الرواية انما هو ترك وإهمال لبعض الناس إهمالاً مؤقتًا وذلك لمن تتساوى حسناته وسيئاته، ولكن هذه النفوس قد تلتحق بالمؤمنين وقد تلتحق بالكافرين، بحسب ما يحصل لهم من استكمال برزخي، أو تسافل برزخي مِمّا يصل إليهم من الدنيا من أعمال صالحة خلفوها، أو أعمال سيئة فيكون مصيرهم في عالم البرزخ موقوف على نتائج الأعمال، والآثار التي تأتيهم من عالم الدنيا .

وبعد ذلك قد يصلون إلى عالم القيامة وقد حصل لهم تكامل إيمان، أو يتسافلون إلى الكفر، وسيأتي مزيد من الكلام في مفهوم التكامل البرزخي نهاية الفصل الأخير من الكتاب .

---

(١) المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، أبو المعالي شهاب الدِّين محمود بن عبدالله البغدادي الآلوسي، ج١١، ص٨٢.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٦ ص٢٥١.



الفصل الخامس

الثواب والعقاب في النشأة البرزخيّة

المبحث الأوّل: في اختلاف النشآت الثلاث حقيقتها، وصفاتها.

المبحث الثاني: العوالم الوجوديّة للإنسان.

المبحث الثالث: الجسد المثالي في النشأة البرزخية.

المبحث الرابع: ثبوت اللذة، والألم البرزخيين.

المبحث الخامس: تجسم الأعمال في البرزخ.



المبحث السادس: التكامل البرزخيّ.

المبحث الأول

في اختلاف النشآت الثلاث حقيقتها وصفاتها

مِمّا سنطرحه في هذا البحث من اختلاف بين النشأتين النشأة الأولى، وهي الدنيا، والنشأة الثانية، وهي الآخرة سيتضح معنى الحياة المتوسطة وهي النشأة البرزخية.

النشأة الأولى، والآخرة:

إن جوهر الدنيا وحقيقتها يختلف عن جوهر الآخرة وحقيقتها، فليست هناك سلسلة زمانية، أو مكانية من حيث تنتهي الدنيا تبدأ الآخرة بنفس الأحكام والقوانين، وإنما لكل نشأة أحكامها، وقوانينها الخاصة بها، واللائقة لها ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[١].

فالدنيا لابد أن تُفنى؛ لأنها غير مخلوقة لذاتها، وإنما خُلقت لتكون وسيلة إلى الدار الآخرة، بينما الدار الآخرة باقية ببقاء خالقها وقيومها، فهي محل القرار ودار الإقامة: ﴿**إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾[٢].

يقول العلامة الطباطبائي: (من الظاهر المسلم من الكتاب والسنة أن النظام الحاكم في الآخرة غير النظام الحاكم في الدنيا، الذي نألفه من الطبيعة وكون البصير مبصرًا لكل مبصر، والأعمى غير مدرك لكل ما من شأنه أن يُرى، كما هو المشهود في النظام الدنيوي لا دليل على

(١) سورة ق: ١٥.

(٢) غافر: ٣٩.

عمومه للنظام الأخروي)[١].

نعم وإن قلنا :إن النشأة الأخرى لا تنظم مع الدنيا في جهة واحدة، ولكن الآخرة محيطة بالدنيا إحاطة الروح بالجسد.

قال المولى الكاشاني في علم اليقين: (ومن هنا صح أن يقال إن الدنيا والآخرة حاقان للنفس، وأن يقال إن النشأة الثانية عبارة عن خروج النفس عن غبار هذه الهيأة البدنية، فمن قبل أن تخرج عن البدن لا ترى تلك الصورة إلا مشاهدة ضعيفة، وذاك أيضًا لبعض الناس وإذا تجردت وارتفعت الشواغل وقويت العزيمة وانحصرت القوى كلها في قوة واحدة وهي المتخيلة وتصير هي عينًا باصرة، وقوة فعالة، ينقلب العلم مشاهدة والمسموع مشافهة، وقد بين أن أهل كل نشأة إنما يدرك الموجودات التي فيها على سبيل المشاهدة ،والتي في غيرها على سبيل الحكاية، فشهادة كل نشأة غيب في أخرى وعيانها علمٌ وخبرٌ في غيرها والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[٢].

من هنا يتبين أن لدار الدنيا خصائص تختلف عن دار الآخرة، ومن هذه الخصائص:

إن الدنيا دار العمل والتكليف، بينما الآخرة دار الجزاء يقول أمير المؤمنين ﵇: (**وأن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل**)[٣]، فيكون بين النشأتين بما تشتمل عليه من عمل وجزاء رابطة حقيقية سوف تظهر آثارها في الحياة الأخرى، فيبصر الإنسان نتائج أعماله وأفكاره واقفًا على صحيفة أعماله.

ومنها: أن نشاة الدنيا تسير على وفق نظام الأسباب والمسببات، وهذا يعني أن الإنسان

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ص٢٢٦ ج١٤.

(٢) علم اليقين، المولى محسن الكاشاني، ص١٠٨٦ ج٢ المقصد الرابع.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٤٢.

إذا أراد تحقيق أي شيء لابد أن تتحقق ظروفه ومقدماته الخاصة به أولاً، فالعطشان لا يروي ظمأه سوى التحرك باتجاه الماء، ولا يمكن أن نحصل على النبات إلا بأن ننتظر المدة الزمنية لإنباته وتوفير جميع الإمكانيات والمقدمات حتى نحصل عليه وفق قانون الأسباب، بينما في النشأة الأخروية لا يوجد نظام الأسباب وإنّما الحاكم هناك هو سلطة الإرادة في تحصيل ما يراد تحصيله، كل شيء هناك يتحقق بكن فيكون، فما يطلب يستحضر وإن لم يكن موجودًا أصلاً ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ**﴾[١] ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ**﴾[٢] ﴿**لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ**﴾[٣].

ومنها: إن لذّات النفس في هذه النشأة الدنيوية كلها خيالية لدفع الآلام، بينما في الآخرة جميع اللذائذ تكون حقيقة، (ولهذا قيل إن اللذة الخيالية لا تكون في الجنة؛ لأنها من قضيات الوهم؛ إذ من شأنه أن يتخيل أشياء عن طريق التمني فتلتذ بها النفس، والمنى رأس مال المفاليس، والآخرة دار الصدق، ودار الحقائق؛ ولذلك سميت الحاقّة؛ لأن فيها حواقّ الأمور، وليس فيها أباطيل، وأكاذيب، ولا أمنية، إذ فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين)[٤].

قال صدر الدين الشيرازي في الأسفار: (لذات الآخرة وآلامها ليست من مقولة لذات الدنيا وآلامها حتى يكون لذاتها رفع الآلام كما في الدنيا، فإن هذه اللذات الدنيوية كلها انفعالات للنفس بما يرد عليها من الخارج، ويؤثر فيها بخلاف اللذات الأخروية فإنها

(١) فصلت: ٣١.

(٢) الزخرف: ٧١.

(٣) النحل: ٣١.

(٤) عين اليقين، المحدث الفيضي الكاشاني، ج١ص٣١٤.

ابتهاجات للنفس بذاتها ،وبلوازمها، وأفعالها من حيث أفعالها)[١].

وعليه فإن اللذائذ، والآلام الدنيوية إنما هي على وفق تلك النشأة ،وأحكامها، وقوانينها وهي تختلف تمامًا عما سوف يراه الإنسان في النشأة الأخرى سرورًا، وإيلامًا.

ومنها: إن الأجساد في النشأة الدنيوية قابلة للتغيرات والاستحالات، فهي معرضة للآفات والأمراض بينما الأجساد الأخروية ليست كذلك قال تعالى: ﴿**لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾[٢].

ومنها: إن الآخرة نشأة قريبة من الله يتكلم فيها الإنسان مع الله، وينظر إلى الله بعين قلبه، وينظر الله إليه، وهذه - الحياة الدنيا- بعيدة من الله داثرة ذاتها، بائدة أهلها هالكة ذووها، لا يكلمهم الله ،ولا ينظر إليهم ،كما في الحديث القدسي: (**ما نظرت في الأجسام مذ خلقتها**)[٣].

ومنها: في النشأة الدنيوية يكون الإنسان مختارًا في التوسل باختلاق الأكاذيب، والخداع، والحيل لأغراضه المصلحية ،ونيل المنافع الوقتية ،بينما في عالم الآخرة يُسلب الاختيار من الإنسان فلا مجال للكذب وغيره مما يتوسل به الإنسان، بعد انكشاف حقيقته فالكلام مع باطنه، وروحه الملكوتية؛ لأن هذا العالم عالم ظهور الحقائق وبروز السرائر قال تعالى: ﴿**لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾[٤].

---

(١) الأسفار الاربعة ، صدر المتألهين، ص١٥٥ ، ج٤ الفصل الثالث باب ١١.

(٢) فاطر: ٣٥.

(٣) عين اليقين، مصدر سابق ، ج١ ص٣١٩ المقصد الأول.

(٤) هود:١٠٥.

وقال : ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[١].

خصائص النشأة البرزخية:

مما تقدم من التفريق ببعض الخصائص والصفات بين النشأتين الدنيوية والأخروية تتبين جملة من خصائص الحياة البرزخية ، فهذه النشأة فيها مجموعة من صفات الدنيا وبعض من خصائص الآخرة، وهو مقتضى قولنا إنها نشأة متوسطة، ويمكن إجمال بعض هذه الخصائص بما يأتي:

أولا : إذا كانت الحياة الدنيا حياة اللعب واللهو كما عبر عنها القرآن الكريم، وهي عرض زائل، وإن الآخرة هي الحياة الحقيقية ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٢]، فيكون ما بينهما من نشأة متوسطة، وهي الحياة البرزخية إنما تكون دار الاستعداد، والتهيؤ للحساب.

ثانيا : مقتضى كونها متوسطة أيضًا أن الموجودات في عالم البرزخ ليس لها مادة كما في الدنيا، إلا أنها تملك شكلاً ،وصورة محضة ،وأن هذه الصورة أقوى بمراتب كثيرة جداً من عالم الطبيعة ،والمادة، وأكثر إحساسا بالألم، واللذة فما يلاقيه الإنسان في البرزخ من الآلام، واللذائذ أشد ممّا كان يحس به في عالم الدنيا، وأقل من لذائذ وآلام الآخرة.

ثالثاً: أما البدن البرزخي فهو حيٌّ لا ينتقص إدراكه، ولا تضعف بصيرته على خلاف البدن الدنيوي المادي الذي يطرأ عليه التغيير، والتحول، والفساد مع تغيرات المادة.

رابعًا: ومن الخصائص المهمة لهذه النشأة البرزخية وجود الزمان الذي فيه الصباح،

---

(١) غافر: ١٦.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

والمساء، والشمس، والقمر، والأرض، والسماء، قال تعالى حكاية عن هذه النشأة: ﴿**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾[1]؛ لأن عالم الآخرة ليس فيها أرض، وسماء ،وشمس، وقمر، وصبح ،ومساء.

خامسًا: كذلك من مقتضيات توسط هذه النشأة البرزخية أنها تشابه الدنيا بعدم انقطاع حصول الثواب، وإن انقطع التكليف فهناك مجال لاستكمال الإنسان بوصول الثواب في نشأته البرزخية هذه، بينما لا نجد في الآخرة التي هي دار الجزاء أي استكمال أخروي في البين.

سادسًا: في هذه النشأة البرزخية هناك تشابه للحياة الآخرة في عدم جريان نظام الأسباب، والمسببات الذي نراه في عالم الطبيعة والدنيا .

سابعاً: لا مجال في هذه النشأة البرزخية للخداع، والحيلة، والكذب، لانكشاف الحقائق وظهور الباطن، كما تقدم في خصائص الآخرة.

ومجمل القول: إن الفرق بين العوالم والنشآت الثلاث إنما هو: (بالشدة، والضعف، والصفاء، والكدر، فإن الإنسان بعد موته ما دام كونه قريب العهد بالدنيا، ومتوجهًا إلى القفاء فجميع ما يشاهده ويراه يكون ذا حظٍّ من الجانبين كما هو حكم البرزخ، ولا يكون في الصفاء مثل الصور الأُخروية إلذاذًا وإيلامًا؛ ولذا كان البرزخ أيضًا منامًا بالنسبة إلى الآخرة، التي فيها يصير الإنسان بعيد العهد من الدنيا، مقبلاً بشراشر وجوده إلى أسماء الله اللطيفية، والقهرية، والدنيا كانت منامًا في منام)[2].

---

(١) مريم:٦٢.

(٢) عيون مسائل النفس، الشيخ حسن زاده آملي ، ص٧٤١.

المبحث الثاني

العوالم الوجودية للإنسان

ذكر الفلاسفة في تقسيمات العوالم الإمكانية ثلاث نشآت:

النشأة الأولى: نشأة البدن، أو المادة.

النشأة الثانية: الذهن، أو المثال.

النشأة الثالثة: العقل، أو النفس.

النشأة الأولى: عالم المادة.

وأول هذه العوالم هو العالم المادي الذي يجري على وفق نظام الحركة، والسكون، والتغير، والتبدل، وهو عالم الموجودات العينية الكثيفة ، ويعتبر أدنى مراتب الوجود؛ لأنه عالم المجاز، والقشور، ويعبر عنه بعالم الطبع، والشهادة، والملك، وعالم الناسوت، وقد وصفت هذه النشأة بأنها (نشأة الموت والفناء والضعة والظلمة والجهل ،وهي مركبة من مادة وصورة زائلتين، دائمتي التغيير، والتفرقة والانقسام لا يتعلق بها شعور ولا إشعار إلا بتبعية النشأتين الأُخريين، وإنما يظهر للحس بتوسط الأعراض ...، فهذه النشأة مشوبة بالظلم، مخلوطة بالعدم، فهي أخس النشآت وأضعفها، ولضعفها احتاجت إلى مهد المكان وضئر الزمان)[1].

---

(١) عين اليقين، المولى محسن الكاشاني ج١ ص٢٧٧-٢٧٨.

وقد وصفها أعلم الناس بها بعد رسول الله، وهو سيد الأوصياء علي عليه السلام حينما قال: **(وأحذركم الدنيا فإنها منزل قلعة، وليست بدار نجعة، قد تزينت بغرورها، وغرت بزينتها، دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرها، لم يصفها الله تعالى لأوليائه، ولم يضن بها عن أعدائه . خيرها زهيد، وشرها عتيد، وجمعها ينفد، وملكها يسلب، وعامرها يخرب. فما خير دار تنقض نقض البناء ، وعمر يفنى فيها فناء الزاد، ومده تنقطع انقطاع السير ! اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم ، واسألوه من أداء حقه ما سألكم ، وأسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم إن الزاهدين في الدنيا تبكى قلوبهم وإن ضحكوا، ويشتد حزنهم وإن فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة)**[١].

النشأة الثانية: عالم المثال.

وهو العالم الثاني من عوالم الوجود، سمي بعالم المثال؛ لأنه مثال من الحقيقة فهو متوسط بين العقل المجرد والجوهر المادي (عالم الدنيا وعالم القيامة)، ويقال لهذا العالم بعالم الخيال المنفصل[٢] عن المادة تفريقاً له عن الخيال المتصل الموجود في النشأة المادية؛ فقد قيل: (إن كل ما له وجود في العالم الحسي هو موجود في العالم المثالي دون العكس،

---

(١) نهج البلاغة ابن ابي الحديد الخطبة ١١٣ ج٧ ص٢٤٦

(٢) عالم الخيال غير قوة الخيال فإن عالم الخيال عبارة عن عالم المثال، وهو ها هنا عالم البرزخ بينما المقصود من قوة الخيال عبارة عن مرتبة من مراتب الحس والإدراك الحسي المرتبطة بعالم المادة (الدنيا).

وإن العالم الحسي بالنسبة إلى العالم المثالي كحلقة ملقاة في بيداء لا نهاية لها)[١].

قال القيصري في شرح الفصوص: (إن العالم المثالي هو عالم روحاني، من جوهر نوراني، شبيه بالجوهر الجسماني، في كونه محسوسًا مقداريًّا، وبالجوهر المجرد العقليّ في كونه نورانيًّا، وليس بجسم مركب ماديٍّ، ولا جوهر مجرد عقلي، لأنّه برزخ، وحد فاصل بينهما، وكل ما هو برزخ بين الشيئين لابد وأن يكون غيرهما، بل له جهتان يشبه بكل منهما ما يناسب عالمه)[٢].

فهذه النشأة الفاصلة بين عالم المادة وعالم العقل أو النفس ليست بمادة، ولكن لها آثار المادة من الكيف، والكم، والأين وغيرها من الأعراض، بمعنًى آخر أن هذه الموجودات المثالية لها صورة جسمية إلا أنها بدون مادة، وبهذا العالم المثالي يتم عالم البرزخ وهو أول عالم الجزاء.

وقد أنكر الشيخ أبو علي بن سينا تجرد الخيال المنفصل الأمر الذي يؤدّي إلى إنكار عالم المثال والبرزخ.

(وذلك لأن البرزخ يجب أن يكون له تجرد مادي لينفصل عن عالم المادة، وفي اعتقاده فإن من غير المتصور أن يكون هناك عالم كهذا له صورة محضة وفيه حد، وكم، وكيف، إلا أنه ليس له مادة، ولذا فإنه لم يعتقد ولم يقل بعالم البرزخ الواقع بين عالم المادة والنفس أي بين (الدنيا والآخرة)، بيد أنه كان يقول بتجرد النفس الناطقة حيث أقام البراهين الساطعة على تجردها)[٣].

---

(١) شرح فصوص الحكم، محمد داود قصيري رومي، ص١٠١.

(٢) المصدر السابق، ص٩٧.

(٣) معرفة المعاد، السيد محمد حسين الطهراني، ج٢، المجلس ١١.

أما صدر المتألهين الشيرازي فقد أقام أدلة متينة على تجرد عالم الخيال المنفصل، وكان يقول في كتبه صراحة بعالم البرزخ، والمثال المنفصل، ويعد العبور من البرزخ للوصول إلى عالم القيامة من ضروريات المسائل الحكمية[١].

وقد نسب العلامة الشيرازي في شرح حكمة الإشراق القول بوجود هذا العالم (المثال) إلى الأنبياء، والأولياء، المتألهين من الحكماء[٢] وقد وافق هذا الرأي سائر الحكماء من مدرسة الحكمة المتعالية.

قال ﷺ في المبدأ والمعاد: (إن الروح إذا فارق البدن العنصري مع بقاء تعلق ما ضعيف بالبدن لا بأجزاء مادية كما زعمه جمع من المتأخرين لما مر بطلانه غير مرة، بل بجملة بدنه وهيئاته وهيكله الذي فارقه لأجل بقاء صورته وهيئاته في ذكره، فإن النفس إذا فارق البدن حملت القوة الوهمية المدركة للمعاني الجزئية بذاتها وللصور الجسمانية باستخدام الخيال والمتخيلة، وقد مرت الإشارة في الأصول إلى أن النفس في إدراكها الجزئيات والشخصيات المادية لا يحتاج إلى البدن، بل كثيرا ما تدرك الأمر المادي الشخصي بذاتها أو بقوتها القائمة بها. وقد مر في مباحث العلم أن النفس تدرك بدنها الشخصي بذاتها بعلم إشراقي حضوري، وكذا يدرك وهمه وخياله الشخصيين لا بوهم آخر وخيال آخر. وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فلا ضير أن يدرك النفس بذاتها، أو بقوتها الخيالية الذاتية أمورًا جسمانية يكون صورها العلمي الخيالي عين وجودها الخارجي فإن للنفس في ذاتها حواسًا تدرك بها أشخاصًا أخروية غير أشخاص هذا العالم هي الأشخاص العينية الغائبة عن حواس هذا العالم كما يدرك بهذه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: رياض السالكين، مصدر سابق ، ج١ ص ٣٣٨.

الحواس محسوسات هذا العالم. وهذه الحواس البدنية القائمة بهذا البدن الدنيوي ظلال للحواس التي هي لها في ذاتها سمعًا، وبصرًا، وذوقًا، ولسانًا، ووهمًا، وخيالاً. ألا ترى أنها في النوم تُدرك بجميع الإدراكات التي ذكرناها مع تعطل هذه الحواس، وركودها. فإذا تمهد هذا فنقول: إذا مات الإنسان وفارقت نفسه وهي عالمة بذاتها ومعها القوى المدركة للجزئيات فتخيل ذاتها مفارقة عن دار الدنيا، ويتوهم نفسها عين الإنسان المقبور الذي ماتت صورته ويجد بدنها مقبورًا، ويدرك الألم الواصل إليها على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به الشرائع الصادقة هذا عذاب القبر. وإن كانت سعيدة يتصور ذاتها على صورة ملائمة، ويصادف الأمور الموعودة من الجنات، والأنهار، والحدائق، والغلمان، والحور العين، والكأس من المعين، فهذا ثواب القبر كما قال النبي ﷺ: القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران. وإياك أن تعتقد أن هذه الأمور التي يراها الإنسان ما بعد موته من أحوال القبر، وأهوال القيامة أمور موهومة محضة متخيلة صرفة لا وجود لها في الأعيان كما زعمه كثير من المنتسبين إلى الحكمة، والمتشبهين بالحكماء، هيهات هيهات هذا عندنا كفر بحسب الشريعة، وضلال بحسب الحكمة، بل الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. وأمور الآخرة أقوى وجودًا، وأشد تحصلاً، وأقوى تأثيرًا، من موجودات هذا العالم. نعم موجودات هذا العالم غير تصوراتها، وتخيلاتها، ولهذا لا يترتب على تصورها، وتخيلها، ما يترتب على وجودها العيني، بخلاف موجودات الآخرة فإن وجودها العيني هو تخيلها ووجودها الخيالي، فالتخيل هناك نفس الوجود العيني وعين التحصل الخارجي فلهذا يترتب على التخيل ما يترتب على الوجود العيني بوجه أقوى، وأشد لصفاء الموضوع)[1].

قال التفتازاني في شرح المقاصد: (وعلى هذا بنوا أمر المعاد الجسماني، فإن البدن

---

(١) المبدأ والمعاد، صدر الدين الشيرازي ، ص ٥٢٤.

المثالي الذي تتصرف فيه النفس، حكمه حكم البدن الحسي في أن له جميع الحواس الظاهرة والباطنة، فتلتذّ وتتألّم باللذات والآلام الجسمانية)[١].

وذكر صاحب شرح حكمة الإشراق: إن الصور الخيالية لا تكون موجودة في الأذهان لامتناع انطباع الكبير في الصغير ولا في الأعيان، وإلا لرآها كل سليم الحس، وليست عدمًا محضًا، وإلا لما كانت متصورة ولا متميزًا بعضها عن بعض، ولا محكومًا عليها بأحكام مختلفة. وإذا هي موجودة، فليست في الأعيان، ولا في الأذهان ولا في عالم العقول، لكونها صورًا جسمانية لا عقلية، فبالضرورة تكون موجودة في صقع. وهو عالم يسمى العالم المثالي والخيالي، متوسط بين عالمي العقل والحس، لكونه بالرتبة فوق عالم الحس ودون عالم العقل، لأنه أكثر تجردًا من الحس، وأقل تجردًا من العقل، وفيه جميع الأشكال والصور والمقادير والأجسام وما يتعلق بها من الحركات والسكنات والأوضاع والهيئة وغير ذلك، قائمة بذاتها، متعلقة لا في مكان ومحل، وإليه الإشارة بقوله: والحق في صور المرايا. والصور الخيالية أنها ليست منطبقة، أي: في المرآة والخيال ولا في غيرهما بل هي صياصي، أي: أبدان معلقة، أي: في عالم المثال ليس لها محل لقيامها بذاتها وقد يكون لها، أي: لهذه الصياصي المعلقة لا في مكان مظاهر ولا يكون فيها لما بينا، فصور المرآة مظهرها المرآة، وهي معلقة لا في مكان ولا في محل، وصورة الخيال مظهرها الخيال، وهي معلقة لا في مكان ولا في محل، هذا محصل كلام القوم في بيان تحقيق هذا العالم. والذي ورد في الأخبار عن السادة الأطهار صلوات الله عليهم أمور منها:

ما ورد من أن الله سبحانه خلق لكل إنسان في الأرض شبحًا في السماء يفعل مثل فعله،

---

(١) شرح المقاصد، التفتازاني ، ج٢ ص ٥٦.

فإذا اشتغل العبد بالطاعة فعل شبحه مثل فعله حتى ينظر إليه الملائكة، وإذا اشتغل بالمعاصي أرخى الله تعالى على ذلك الشبح سترًا يحجبه عن الملائكة. وبنى المحدثون على هذا ما ورد من أنه ﷺ لما رقى إلى السماوات في حكاية المعراج رآى عليًا عليه السلام في كل سماء واقف يؤم الملائكة، فتكون له أشباح متعددة، وكذا ما روي من أنه عليه السلام يحضر عند كل من يموت مع أنه يموت في الساعة الواحدة ألوف من الخلق، وبنوا عليه أيضًا ما ورد من أنه أضاف عليٌّ عليه السلام في ليلة واحدة أربعين من الصحابة في وقت واحد. ومنها: ما ورد في الأخبار المستفيضة من أن الإنسان إذا مات تعلقت روحه ببدن مثالي على هيئة هذا البدن لو رأيته لقلت فلان، وبذلك البدن يطير في الهواء ويتنعم في جنة الدنيا، أو يعذب في نارها، فيكون لتلك الأبدان نحوًا من الوجود في غير هذا العالم المشاهد لا يدركه إلا من نور الله قلبه بمشكاة العرفان، كأمير المؤمنين وأولاده الأطهار عليهم السلام. ومنها: ما روي في الأحاديث الواردة في عالم الذر، وهو أن الأرواح تعلقت بأبدان لطيفة وخوطبت بخطاب ألست بربكم، وورد عليها نوع من التكاليف فآمنت أو كفرت، وذلك العالم يسمى عالم الظلال وعالم الأشباح)[1].

النشأة الثالثة: عالم العقل أو النفس.

وهو العالم المجرد عن المادة، والطبيعة، والصورة ويمثل التجلي التام لحقيقة العالم، ويقع فوق عالم المثال، وفيه وجود حقائق الأشياء وكلياتها، وظهور النفس الكلية في يوم القيامة، وقد عبر عنها (بنشأة الحياة والبقاء الأبدي، والخير المحض، والنور الصرف، والظهور التام، والإدراك البحت ... وهذه النشأة لغاية شرفها ونقائها وعلوها وبعدها عن إقليم نفوسنا المتعلقة بالأجرام لم يتيسر لنا في هذا العالم أن نشاهدها مشاهدة تامة نورية لا

(١) نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري، ج ١ ص ١٥٨ – ١٦٠.

لحجاب بيننا وبينها، أو منع من جهتها؛ بل لقصور نفوسنا وعجزها وضعف إدراكها)[١] وتسمى هذه النشأة بعالم الجبروت وعالم الحقيقة وعالم الجمع، وفي هذا العالم يكون منتهى سير المخلوقات إلى الله، وفيه تتجلى أسرار جميع الأشياء وحقائقها ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾[٢]، وهو عالم الحياة الحقيقية ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[٣].

(١) عين اليقين، مصدر سابق ، ج١ ص٢٦٧.
٢- الطارق ٩.
٣- العنكبوت ٦٤.

المبحث الثالث

الجسد المثالي في النشأة البرزخية

لما كانت النفس الإنسانية بحاجة إلى الآلات البدنية في إدراكاتها الجزئية، فهي محتاجة بعد أن تفارق بدنها المادي بالموت إلى بدن آخر تتعلق به؛ ليكون آلة لادراكاتها وأفعالها ، ومن الطبيعي أن لا يكون هذا البدن هو البدن العنصري في عالم البرزخ؛ لأن النفس قد فارقته وخرجت عنه بالموت، وكذلك لا يمكن أن يكون هذا البدن من عالم العقل المجرد تجردًا تامًّا الذي يكون في الآخرة فلابد أن يكون من جنس عالم آخر متوسط بين النشأتين المادية، والعقلية المجردة.

وهذا الجسد هو المثالي البرزخي الذي من أهم مظاهره أنه ليس فيه كثافة المادة الطبيعة، ولا فيه لطافة المجردات الأخروية، وهناك أخبار عدة تؤيد هذا المعنى في أصل تعلق الروح بالجسد المثالي البرزخي بعد خروجها من البدن الدنيوي منها:

عن يونس قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فقال: (**ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ قلت يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش فقال أبو عبد الله** عليه السلام: **سبحان الله!، المؤمن أكرم على الله من ذلك أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فياكلون**

ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا)[1].

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين؛ فقال: (**في الجنة على صور أبدانهم لو رأيتهم لقلت فلان)**[2].

وروى الشيخ الصدوق رضي الله عنه عن الصادق عليه السلام: (**إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة الجنة تتساءل وتتعارف فإذا قدمت الروح من الأرواح تقول: دعوها فقد أفلتت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيًّا ارتجوه،وإن قالت لهم: قد هلك قالوا: هوى هوى)**[3].

وفي رواية أخرى (**في روضة كهيأة الأجساد في الجنة**)[4].

وهذه الأخبار ظاهرة الدلالة على وجود الجسد المثالي في عالم البرزخ حيث يُصيّر الله سبحانه تلك الأرواح المفارقة لأبدانها العنصرية بأبدان مثالية وقوالب مثل قوالبها الدنيوية.

ولو تأملنا تعبير الإمام عليه السلام في قوله: (**في أبدان كأبدانهم**)، و (**على صور أبدانهم)، و (لو رأيته لقلت فلان)** لوجدنا أن هذه الأرواح ستتخذ شكل الأبدان الدنيوية من دون خصائصها المادية.

يقول الشيخ المفيد رضي الله عنه في أجوبة المسائل السرورية: (وأما كيفية عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمن فيه فإن الأثر أيضا قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جناته ينعمه فيها إلى يوم الساعة فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي

---

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ، ج١ ص٤٦٦ باب تلقين المحتضرين ح١٧١.

(٢) المصدر السابق، ج١ص٤٦٦ باب تلقين المحتضرين ح١٧٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق ، ج١ ص١٩٣.

(٤) الكافي، مصدر سابق ، ج٣ ص٢٤٥؛ كتاب الجنائز باب آخر في أرواح المؤمنين.

بلى في التراب وتمزق ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف وأمر به إلى الجنة ... والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محل عذاب يعاقب فيه ونار يعذب بها حتى قيام الساعة)[١].

وذكر البهائي ﷫ في تجرد القوالب المثالية في البرزخ ما ورد في بعض أحاديث أصحابنا ﭫ من أن الأشباح التي تتعلق بها النفوس ما دامت في عالم البرزخ ليست بأجسام وأنهم يجلسون حلقًا حلقًا على صور أجسادهم العنصرية يتحدثون ويتنعمون بالأكل والشرب وأنهم ربما يكونون في الهواء بين الأرض والسماء يتعارفون في الجو ويتلاقون وأمثال ذلك مما يدل على نفي الجسمية وأثبات بعض لوازمها على ما هو المنقول في الكافي وغيره عن أمير المؤمنين والأئمة من أولاده ﭺ يعطي أن تلك الأشباح ليست في كثافة الماديات ولا في لطافة المجردات بل هي ذوات جهتين وواسطة بين العالمين.

وهذا يؤدي ما قاله طائفة من أساطين الحكماء من أن في الوجود عالمًا مقداريًّا غير العالم الحسي وهو واسطة بين عالم المجردات وعالم الماديات ليس في تلك اللطافة ولا في هذه الكثافة فيه للأجسام والأعراض من الحركات والسكنات والأصوات والطعوم والروائح وغيرها مُثل قائمة بذواتها معلقة لا في مادة وهو عالم عظيم الفسحة وسكانها على طبقات متفاوتة في اللطافة والكثافة وقبح الصورة وحسنها ولأبدانهم المثالية جميع الحواس الظاهرية والباطنية فيتنعمون ويتألمون باللذات والآلام النفسانية والجسمانية)[٢].

ومن جملة الشواهد على حقيقة الجسد المثالي ما يراه الأنسان في النوم حيث تُنقل الروح إلى القالب المثالي بعد مفارقتها للبدن المادي وقد ورد ذلك في بعض الأخبار من قبيل تشبيه عالم البرزخ وما فيه بحال الرؤيا في المنام وأن النوم أخو الموت والوجه في ذلك أن

---

(١) المسائل السرورية، الشيخ المفيد ، ص٦٣.

(٢) الأربعون حديثا، الشيخ البهائي ص٥٠٦.

الصورة التي تشاهد في حال النوم لا تخلو إما أن تكون محسوسة بآلة البصر الظاهري - العين- أو بحاسة أخرى والأول باطل لأن البصر الظاهري للإنسان معطل عند النوم فيثبت أن تلك الصور التي نراها في حال النوم ليست إلا صور برزخية مثالية.

ولذا قد يقال: إن الروح متعلقة في الدنيا ببدنين أحدهما العنصري المادي والآخر بدن مثالي برزخي ولكن بالعرض وإنما يظهر هذا الجسد بصورته الجلية عند مفارقة الروح لبدنها المادي حين الموت وعليه فإن: (هذا البدن والصورة والمثال مجتمعة معًا في هذه الدنيا ثم أنها تنفصل عن بعضها بالترتيب كما أن اجتماعها ليس بمعنى مجاورة أحدها للآخر بل إن للنفس نوعًا من السعة والإحاطة بالصورة المثالية وللصورة المثالية نوعًا من السعة والإحاطة بالبدن غاية الأمر إن الناس الرازخين تحت أسر الطبع في هذه الدنيا لا يمكنهم إدراك أكثر من أن وجودهم هو هذا البدن.

وعليه فإن الصورة المثالية التي ناخذها بنظر الاعتبار هي الآن معنا بيد أنها ليست داخل البدن وليست منفصلة عنه)[1]. وقد ذكر هذا المعنى الإمام الأكبر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه الفردوس الأعلى من ان الانسان يمتلك جسداً برزخياً بمعية البدن العنصري وأسماه بالجسم الاثيري والذي يتصف بالشفافية واللطافة وقد اقام عليه جملة من الادلة والبراهين العقلية والوجدانية حيث ذكر ما ملخصه ان في كل جسم حي مادي عنصري جسم آخر اثيري سيال شفاف اخف والطف من الهواء هو برزخ بين الجسم المادي الثقيل، والروح المجرد الخفيف ولعل هذا هو الجسم البرزخي الذي يسأل في القبر ويحاسب، وينعم ان كان تقياً ويعذب ان كان شقياً ويبقى في نعيم أو حميم إلى يوم

(١) معرفة المعاد، السيد محمد حسين الطهراني، ج١، ص١٣٦.

القيامة الذي تعود فيه هذه الابدان العنصرية للحياة الابدية ارأيتك حين تقول: روحي وجسدي وعقلي من تعني بياء المتكلم؟ ومن هو الذي تقصده بقولك (انا وانت وهو) وامثالها من الضمائر؟ فهل تريد بقولك: انا لهذا الجسد الخاص ولشخصيتك المتعينة من الجسد والنفس؟ اذاً فماذا تريد بقولك جسدي؟ ومن هو الذي اضفت اليه جسدك أو اضفت جسدك أو نفسك أو عقلك اليه؟.

ان في الانسان بشخصه الخاص جوهر مفيض وآخر مستفيض وغلاف وقشرة يحمل هذين الجوهرين فالمفيض هو النفس الجزئية المتصلة بالنفس الكلية المبدأ الأعلى، والمستفيض هو ذلك البدن المثالي الأثيري، والغلاف هذا البدن العنصري، على ان التحقيق والبحث الدقيق اوصلنا إلى حقيقة جلية وهي ان هذه الحقائق الثلاث شيء واحد وانها تنشأ نشأة واحدة وان النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء فهي تتدرج في تكونها ونشوئها ونموها من النطفة إلى ان تصير انساناً كاملاً عاقلاً بل إلى ان تصير عقلاً مجرداً ملكاً أو شيطاناً، وهذا البدن الأمتدادي الأثيري هو همزة الوصل بين الروح المجردة عن المادة ذاتاً المتعلقة بها تصرفاً وبين البدن المادي ذاتاً والذي هو آلة الروح تعلقاً وتصرفاً.

إنظر إذا كنت تحفظ سورة من القرآن أو خطبة من الخطب أو قصيدة من الشعر فربما تلوتها في نفسك وقرأتها في خاطرك فتجد كأن شخصاً في طويتك يتلوها عليك كلمة كلمة وانت سامد ساكن لم تفتح فماً ولم تحرك لساناً وليس شيء من هذه الاعمال من وظائف الروح والنفس وانما وظائفها العلم والادراك ومعرفة الكليات المجردة والامور العامة كما انها ايضاً ليست من وظائف الجسد المادي الحي فان وظيفته ادراك

الجزئيات وثورة العواطف من تأثير الحس الظاهري أو الباطني نعم بحكم الوحدة والاتصال بين تلك القوى يستمد بعضها من بعض ويتقوى بعضها ببعض[١].

(وتبعًا لهذا فإن مقولة بعضهم ممن تصوروا أن الله أوجد في عالم البرزخ صورة مثالية للإنسان منفصلة عنه، وإن الإنسان يموت حين يموت فتخرج روحه وترد في ذلك البدن المثالي البرزخي مقولة خاطئة، فليس القالب المثالي خارجًا عن حقيقة الإنسان ليخلقه الله فتحل الصورة فيه وتذهب الروح فيه الصورة المثالية لها اتحاد ومعية مع الانسان وهناك خلع ولبس يحصل بينهما)[٢].

بل يظهر من بعض الأخبار إمكان تعلق روح واحدة بأكثر من بدن مثالي، خاصة إذا كانت الروح مقدسة وشريفة .

فقد ذكر السيد المحقق الداماد قدس سره في الجذوات أن مظهر العجائب ومظهر الغرائب سيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام وعلى أولاده المعصومين أجمعين سلام الله تعالى إلى يوم الدين كان ليلة من ليالي شهر رمضان ضيفًا لعدة من الصحابة، وأفطر في بيوتهم المتعددة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن علياً أفطر في بيته)[٣].

(فان توجيه هذا الحديث إنما يمكن على القول بعالم المثال، وبوجود البدن المثالي، حيث أن حضور علي عليه السلام ببدنه العنصري في بيوت عدة من الصحابة مع كونه في بيته بذلك البدن ممتنع بالذات، فإن جسمًا واحداً بالشخص لا يمكن أن يكون في زمان واحد، وفي آن واحد إلا في مكان واحد لا أزيد، وادعاء أن ذلك لعله كان من معجزاته وكراماته عليه السلام لا يكاد

(١) انظر: الفردوس الاعلى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص ٢٤٢- ٢٤٣ (بتصرف).

(٢) معرفة المعاد مصدر سابق ج١ ص١٣٦.

(٣) الجذوات السيد الداماد ص٤٨ / ونهج الرشاد الملا نعيم العرفي الطالقاني ج٣ ص١٣٧.

يصح، فإن المعجزة والكرامة إنما تمكن في شيء يكون ممكنا ذاتيًّا، ويكون ممتنعًا عاديًّا لا في الممتنع بالذات، كما أن ادعاء أن ذلك لعله كان لأجل أن الله تعالى خلق ملائكة بصورة علي عليه السلام، وأن أولئك الملائكة أفطروا في بيوت الصحابة ، وظن الصحابة أنهم علي عليه السلام، والحالة أنه عليه السلام نفسه أفطر في بيته غير مستقيم لأن المفروض في الحديث إفطار علي عليه السلام في بيوت الصحابة لا إفطار الملائكة.

نعم يصح توجيه ذلك على القول بالبدن المثالي فإنه لا مانع من أن يكون لروحه الشريف المقدس أبدان مثاليّة، ويكون قد ظهر في ضمن كل بدن مثالي في بيت واحد من الصحابة، وظهر ببدنه العنصري في بيته)[١].

وقد تحصل من ذلك :

١- جواز تعلق الروح ببدن مثالي برزخي عند الموت وفي البرزخ.

٢- جواز تعلق الروح ببدن مثالي حال النوم.

٣- إمكان تعلق الروح في حال اليقظة ببدن مثالي؛ بل في أكثر من بدن مثالي كما مرّ في رواية المحقق الداماد.

إيراد ودفع:

بعد أن دلّ الشرع المبين والإمكان العقلي على وجود البدن المثالي لكل روح من الأرواح، قد يتوهم حصول المانع من خلق الجسد المثالي من جهة العقل وذلك للزوم التناسخ الممتنع.

إذ يقال: إن انتقال الأرواح إلى أجساد أخرى مثالية إنما هو من التناسخ الباطل! وقبل

---

(١) منهج الرشاد / الملة نعيم العرفي الطالقاني ج٣ ص١١٩.

الجواب على هذا التوهم لابد من بيان مقتضب لمفهوم التناسخ عند مدعيه.

فأهل التناسخ من الوثنيين يؤمنون بعودة الإنسان بعد الموت وتفسخ جسده إلى الحياة بعد أن تحل روحه في جسد آخر أو نطفة أخرى فتحيا حياة جديدة في هذه الدنيا وهكذا يتكرر عودة الإنسان بعد كل موتة فليس هناك جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور وإن القيامة عبارة عن خروج الروح من قالبها إلى قالب آخر.

وعليه فالتناسخ وهو (تعلق النفس المستكملة بنوع كمالها بعد مفارقتها البدن ببدن آخر محال فإن هذا البدن إن كان ذا نفس استلزم التناسخ تعلق نفسين ببدن واحد وهو وحدة الكثير وكثرة الواحد وإن لم تكن ذا نفس استلزم رجوع ما بالفعل إلى القوة كرجوع الشيخ إلى الصبا وكذلك يستحيل تعلق نفس إنساني مستكملة مفارقة ببدن نباتي أو حيواني)[1].

قال الإيجي في المواقف: (قال أهل التناسخ إنما تبقى (الأرواح المتصاعدة) مجردة النفوس الكاملة التي أُخرجت قوتها إلى الفعل وأما الناقصة فإنها تتردد في الأبدان الإنسانية ويسمى نسخًا وقيل: ربما تنازلت إلى الحيوانية ويسمى مسخًا وقيل: إلى النباتية ويسمى رسخًا وقيل: إلى الجمادية ويسمى فسخًا)[2].

وبناء على ما تقدم من مفهوم التناسخ فهل تعلق الأرواح بالأجساد المثالية في عالم البرزخ يعد من التناسخ الباطل؟.

قال البهائي رضي الله عنه: (قد يتوهم أن القول بتعلق الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١ص٢٠٩.

(٢) المواقف، عضد الدين الايجي، ج٣ ص ٤٨٠.

أخرى كما دلت عليها تلك الأحاديث قول بالتناسخ وهذا توهم سخيف لأن التناسخ الذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلق الأرواح بعد خراب أجسامها بأجسام أخرى في هذا العالم أما عنصرية كما يزعم بعضهم ويقسمه على النسخ والمسخ والفسخ والرسخ أو فلكية ابتداء أو بعد ترددها في الأبدان العنصرية على اختلاف آرائها الواهية المفصلة في محلها، وأما القول بتعلقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدة البرزخ ألى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأولية بإذن مبدعها إما بجمع أجزائها المتشتتة أو بايجإدها من كتم العدم كما أنشاها أول مرة فليس من التناسخ في شيء وإن سميته تناسخاً فلا مشاحة في التسمية إذا اختلف المسمى وليس إنكارنا على التناسخية وحكمنا بتكفيرهم بمجرد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر فإن المعاد الجسماني كذلك عند كثير من أهل الإسلام بل لقولهم بقدم النفوس وترددها في أجسام هذا العالم وإنكارهم المعاد الجسماني في النشأة الأخروية)[1].

وذكر الآلوسي في تفسيره: (إن الأرواح وإن كانت جواهر قائمة بذاتها مغايرة لما يحس به من البدن لكن لا مانع من تعلقها ببدن برزخي مغاير لهذا البدن الكثيف وليس ذلك من التناسخ الذي ذهب إليه أهل الضلال وإنما يكون منه لو لم تعد إلى جسم نفسها الذي كانت فيه - والعود حاصل في النشأة الجنانية- بل لو قلنا بعدم عودها إليه والتزمنا العود إلى جسم مشابه لما كان في الدنيا مشتمل على الأجزاء النطفية الأصلية أو غير مشتمل لا يلزم ذلك التناسخ أيضا لأنهم قالوه على وجه نفوا به الحشر والمعاد)[2].

وبذلك لا معنى لتوهم التناسخ بعد أن كان البدن المثالي ليس من جنس البدن العنصري وليس له مادة جسمانية واستعداد جسماني حتى يكون مستعداً لحدوث نفس أخرى بحيث

(١) الأربعون حديثا، الشيخ البهائي، ص٥٠٥.

(٢) تفسير الآلوسي، مصدر سابق ، ج٢ ص٢١.

إذا تعلقت به النفس المستنسخة لزم جواز تعلق نفسان به.

ثـم إن هـذا الكـلام كلـه مبنـي علـى إن البـدن المثـالي حـادث بعـد مفارقـة الـنفس لبـدنها العنصري المادي أما على تقدير ما ذكرناه من أن البدن المثالي لكل نفس إنما كـان موجـودًا فـي عالم الدنيا بمعية تعلق النفس ببدنها العنصري فلا يأتي إشكال التناسخ أصلا.

وذلك لأن البدن المثالي موجود كظـل وشـبح للبـدن المـادي وعـرض لـه قبـل المفارقـة أو منفردًا عنه مقارنًا لأجزائه الأصلية بعد الموت فالروح لم تنتقل من بدن إلى آخـر وإنمـا تغيـرت صورة البدن.

بل أكثر من ذلك فحسب الحركة الجوهرية ليس هنـاك إلا بـدن واحـد طبيعـي تحـول إلـى بدن برزخي ولذا يقول الإمام الخميني رضي الله عنه:

(نتصور عالم ما بعد الموت هو عالم مباين للحياة الدنيوية غـافلين فـي تصـورنا هـذا عـن إن قوى عزرائيل والملائكة العاملة تحت إمرته منهمكـة الآن فـي سـوق الجسـم الطبيعـي وقـواه نحو عالم الحياة البرزخية، وفصله عن عالم الطبيعة، ومن هنـا فأنـت تـرى أنـه مـع مـرور الأيـام تفقد أذنـك قـدرتها السـمعية، وتضـعف عينـاك عـن الرؤيـة ويصـيب الإعيـاء والضـعف العـام جميع قوى بدنك، وحقيقة هذا الضعف، والتداعي، والنقصـان، هـو تبـدل الجسـم الطبيعـي - تدريجيًا- إلى جسم برزخي. إن هذا الجسـم الطبيعـي هـو بنفسـه يتحـول إلـى الجسـم البرزخـي الذي هو مرتبة من مراتب كمالة ولـيس كمـا تـوهم بعضـهم مـن أن الـروح تخـرج مـن الجسـم، والبدن الدنيوي، وتدخل في جسم وقالب مثالي معد لها مسبقًا، كلا الأمر لـيس كـذلك والواقـع إن في البين جسمًا واحداً وحقيقـة واحـدة، وشخصـية واحـدة تمتـد علـى جميـع العـوالم، فـإذا

انتهت مسيرتها التكاملية، والطبيعية، وتبدلت قواها الطبيعية الى قوًى برزخية تبدل هذا الشي الواحد من الجسم الطبيعي إلى الجسم البرزخي، واستغنى عن البدن وألقاه جانبًا غير محتاج إليه)[1].

(١) المعاد في نظر الإمام الخميني، ص١٢٠.

المبحث الرابع

ثبوت اللّذّة والألم البرزخيين

بعد أن دل الشرع والعقل على وجود العالم المثالي البرزخي بين الحياة الدنيا والآخرة، وإن هذه النشأة تشتمل على السعادة، أوالشقاء البرزخيين، فهل هذه اللذائذ من نعيمها، وأنهارها، وصورها، أو عذابها، وآلامها ومؤذياتها، هل هي حسية بحتة أو روحانية؟؛ إذ تنفتح الروح على الحقائق العقلية المحضة فيلتذ بمشاهدتها، أو يتألم لفراقها،أو هو جسماني روحاني معًا ؟.

يمكن القول: إن مقتضى كون النشأة البرزخية نشأة متوسطة جريان الألم واللذة الحسية والعقلية معًا، فتدرك النفس الألم واللذة بالحواس البدنية المثالية وقد تقدم على وفق الكثير من الأخبار إن النفس في عالم المثال تمتلك حواسًا وآلاتاً وسرورًا وشوقًا وكراهة، وتدرك الجزيئات بوساطة آلاتها وحواسها البرزخية المثالية كما كانت تدرك ذلك في الدنيا بوساطة حواسها الظاهرية المادية.

كذلك تدرك النفس بقوتها العقلية السعادة والشقاء فتلتذ لذة عقلية عندما يفاض عليها من أنوار الجمال والجلال ما لا يضاهية من النعيم واللذائذ وتتألم ألماً عقليًّا بحسرة الفوت المتضاعفة كل يوم من أيام ذلك العالم وإن كان البدن بمعزل عنها.

قال الغزالي في الإحياء: إعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا:

أحدها: وهو الأظهر، والأصح أن نصدق بأن الحية موجودة تلدغ، ولكنا لا نشاهد ذلك فإن تلك العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية في كل ما يتعلق بعالم الآخرة، فهو من عالم الملكوت ،أما ترى أن الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل، وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون إنه يشاهده؟، فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي عليك أوجب وإن آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ﷺ ما لا تشاهده الأمة فكيف لا يجوز هذا في الميت؟.

المقام الثاني: أن تتذكر أمر المنام فإنه يرى في منامه حية تلدغه، وهو يتألم بذلك حتى يرى في نومه أن يصيح، ويعرق جبينه، وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه، ويتأذى به كما يتأذى اليقظان، وأنت ترى ظاهره ساكنًا، ولا ترى في حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل، ولكنه في حقك غير مشاهد، وإن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو حية تشاهد.

المقام الثالث: أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم، ثم السم ليس الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم ، فلو حصل ذلك من غير سم، فكان ذلك العذاب قد توفر وقد لا يمكن تعريف ذلك العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يقضي إليه في العادة والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات، ومؤلمات، في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود الحياة.

فإن قلت: (ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة ؟ فاعلم أن من الناس من لم يثبت إلا الثالث، وإنما الحق الذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان وإن

من ينكر بعض ذلك لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره منكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به وما لم يألفه وذلك جهل وقصور؛ بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة هذا هو الحق فصدق به)[١].

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٥ ص١٨٦.

المبحث الخامس
تجسم الأعمال في البرزخ

وردت آيات وروايات كثيرة جداً تدل بمجموعها على تجسم الأعمال بعد فراغ النفس من البدن وهذه الأدلة الشريفة بعضها عامة تشمل الحياة الأخروية والبرزخية وبعضها مختصة بالحياة الأخرة وبعضها مختصة بنشأة البرزخ.

وملخص هذه النظرية القرآنية (إن كل عمل يصدر من الإنسان ينقش في صحيفة وجوده، ويكون باقيًا وخالداً حتى يراه، وتزيله التوبة التكوينية بالإقبال على دار الآخرة، والانغماس في ماء الإنابة والابتهال. فإذن يكون الجزاء بالفعل والحساب بالفعل، وأسبابهما موجودة الآن، و ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ بالفعل، إلا أن لكل شيء ظهورًا وبطونًا، وهذا الجزاء والحساب بطونهما حال العناق مع المادة، وظهورهما لدى الفراق عن المادة والمدة. ولظهورهما مراحل ومراتب تبتدئ من القبر وتنتهي يوم القيامة الكبرى والرجعة العظمى)[1].

وليس غرضنا هنا التعرض لتفاصيل هذه النظرية القرآنية وإنما ذكر المبادئ التصورية العامة لهذا الموضوع.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني، ج ١ ص ٤٥٢.

فمن جملة الايات الشريفة التي أشارت إلى هذه الحقيقة:

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧].

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) آل عمران: ١٨٠.

(٣) الزلزلة: ٧- ٨.

(٤) النساء: ١٠.

(٥) آل عمران: ٣٠.

(٦) العنكبوت: ٥٤

(٧) الطور: ١٦.

أما الروايات فمنها ما دل على تجسم العبادات أو الاعتقادات أو تمثل السرور والعمل والمال والولد وهي كثيرة:

منها: حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقيس بن عاصم **(أنه لابد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريمًا أكرمك وإن كان لئيمًا أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه ولا تجعله ألا صالحًا فإنه إن صلح آنست به وإن فسد لا تستوحش إلا منه وهو فعلك)**[1].

ومنها: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس: أيها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفؤوها بصلاتكم)**[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(اتّقوا الظلم فانّها ظلمات يوم القيامة)**[3]

ومنها: عن أبي بصير عن أحدهما (أي الإمام الصادق أو الإمام الباقر عليهما السلام) قال: **(إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور فيهن صورة هي أحسنهن وجهًا وأبهاهن هيئةً وأطيبهن ريحًا وأنظفهن صورةً قال فيقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجليه وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه فإن أتى عن يمينه منعته التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست قال: فتقول أحسنهن صورةً من أنتم جزاكم الله عني خيرًا؟ فتقول التي عن يمين العبد أنا الصلاة وتقول التي عن يسراه أنا الزكاة وتقول التي بين يديه أنا الصيام وتقول التي خلفه أنا الحج والعمرة وتقول**

---

(١) الأمالي، محمد بن علي الصدوق، ص٥١ وانظر: الخصال، ص١١٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ح١ ص٢٠٨.

(٧) الكافي : ٢ / ٣٣٢، باب الظلم من كتاب الكفر والإيمان ، الحديث ١١.

التي عند رجليه أنا بر من وصلت من أخواتك ثم يقلن من أنت؟ فأنت أحسننا وجهًا وأطيبنا ريحًا وأبهانا هيئةً فتقول: أنا الولاية لآل محمد ﷺ)[١].

ومنها: عن الصادق ؑ: (**إذا وضع الميت في قبره مثل له شخص فقال له يا هذا كنا ثلاثة كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك وكان أهلك فخلفوك وانصرفوا عنك وكنت عملك فبقيت معك أما أني كنت أهون الثلاثة عليك)**[٢].

وعنه ؑ قوله: (**عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه)**[٣].

وعن أمير المؤمنين ؑ: (**إن العبد إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له أهله وماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول والله إني كنت عليك لحريصًا شحيحًا فما عندك؟ فيقول خذ مني كفنك ثم يلتفت إلى ولده فيقول والله إني كنت لكم محبًا وإني كنت عليكم لمحاميًا فماذا عندكم ؟ فيقولون نؤديك إلى حفرتك ونواريك فيها ثم يلتفت إلى عمله فيقول والله إني كنت فيك لزاهدًا وإنك كنت علي لثقيلاً فماذا عندك فيقول أنا قرينك في قبرك ويوم حشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك فإن كان لله وليًا أتاه أطيب الناس ريحًا وأحسنهم منظرًا وأزينهم رياشًا فيقول أبشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم وقد قدمت خير مقدم فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح ...)**[٤].

---

(١) المحاسن، مصدر سابق، ج١ ص٢٨٨ ح٤٣٢؛ وشرح الأخبار، القاضي النعمان، ج٣ ص٤٥٧.

(٢) الكافي، مصدر سابق ج٣ ص٢٤٠.

(٣) المصدر السابق، ج٣ ص٢٥٥ باب النوادر كتاب الجنائز ح١٧.

(٤) تفسير القمي، مصدر سابق ، ج١ ص٣٦٩.

وعن أبان بن تغلب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حق المؤمن على المؤمن، قال: فقال: (**حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك، لو حدثتكم لكفرتم، إن المؤمن إذا خرج من قبره، خرج معه مثال من قبره يقول له: أبشر بالكرامة من الله والسرور، فيقول له: بشرك الله بخير، قال: ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال وإذا مر بهول قال: ليس هذا لك وإذا مر بخير قال: هذا لك فلا يزال معه يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله عز وجل فإذا أمر به إلى الجنة قال له المثال: أبشر فإن الله عز وجل قد أمر بك إلى الجنة، قال: فيقول: من أنت رحمك الله تبشرني من حين خرجت من قبري وآنستني في طريقي وخبرتني عن ربي؟ قال: فيقول: أنا السرور الذي كنت تدخله على إخوانك في الدنيا خلقت منه لأبشرك وأُونس وحشتك**)[1] .

إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الكثيرة.

وقد وقع الكلام في دلالة هذه الآيات والروايات من أن المقصود منها رؤية جزاء العمل وما يترتب عليه من الثواب والعقاب والصور المناسبة له أو رؤية وظهور نفس العمل بمعنى أن الأعمال الظاهرية التي يفعلها الإنسان في نشأة الدنيا بصورة عرضية تبرز في النشآت الأخرى ومنها البرزخ بصورة جوهرية مناسبة لها بالحسن والقبح، وهنا احتمالان:

الأول: وهو الذي يظهر من كلام بعض العلماء القول به وإن كان خلاف ظاهر تلك الآيات والأخبار الواردة، وهو أنه ليس المراد أن نفس ذلك العمل يتصور بتلك الصورة ويتجسم ذلك الجسم بل المراد أنه يخلق الله تعالى على وفق مصلحته الكاملة صورة أخرى مناسبة لذلك العمل موافقة له لأن لكل عمل من خير أو شر صورة تناسبه ويجعلها قرينة

---

(١) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني، ج ٩ ص ٧٤.

لصاحب ذلك العمل مصاحبة له كصورة الحيات والعقارب والزقوم والجحيم أو صور الحور والقصور والجنات ونعيمها فالله تعالى يظهر الصورة البرزخية في عالم البرزخ والصورة الأخروية في عالم الآخرة على صاحب ذلك العمل بحيث يشاهدها ويدركها ويعلم أنها كانت جزاء عمله.

الثاني: أن يراد ان نفس تلك الأعمال وعين تلك الصفات والملكات تتجسم وتتصور صور جسمانية مثالية برزخية في عالم البرزخ وصور أخروية في عالم الآخرة وأن أعمال الخير يتولد منها الجنان والحور والولدان والقصور وأنواع المسرات الحسية واللذات البدنية وأن أعمال الشر يتولد منها النيران والأغلال والحميم والزقوم وأنواع الآلام الحسية والغموم البدنية.

إن تلك الأعمال والصفات تتجسم وتتصور صور برزخية وأخروية بعد صدورها من فاعلها وفي النشأة الدنيوية أيضا لكنها لا تظهر على فاعلها في هذا العالم الحسي لكونه محجوب البصيرة عن إدراكها لانغماسه في الحجب البدنية.

وهذه الوجه هو ظاهر تلك الآيات والأخبار الدالة على التجسيم فإن الأصل هو الحقيقة وعدم المصير إلى المجاز وهو الذي ذهب إليه كثير من العلماء[1].

قال العلامة الطباطبائي ﵁ في المجازاة وتجسم الأعمال: (إن كلامه تعالى موضوع على وجهين:

أحدهما: وجه المجازاة بالثواب والعقاب وعليه عدد جم من الآيات تفيد أن ما

(١) منهج الرشاد في معرفة المعاد، الملة نعيم العرفي الطالقاني في ج٣ ص١٤١ «بتصرف»

سيستقبل الإنسان من خير أو شر كجنة أو نار إنما هو جزاء لما عمله في الدنيا من العمل.

والآخر: وجه تجسم الأعمال وعليه عدد آخر من الايات وهي تدل على أن الأعمال تهيئ بأنفسها أو باستلزامها وتاثيرها أمورًا مطلوبة أو غير مطلوبة أي خيرًا أو شرًا هي التي سيطلع عليه الإنسان يوم يكشف عن ساق وإياك أن تتوهم أن الوجهين متنافيان فإن الحقائق إنما تقرب إلى الأفهام بالأمثال المضروبة كما ينص على ذلك القرآن[١].

وذكر البهائي رضي الله عنه في (الأربعون): (قال بعض أصحاب القلوب إن الحيات و العقارب بل والنيران التي تظهر في يوم القيامة هي بعينها الأعمال القبيحة والأخلاق الذميمة والعقائد الباطلة التي ظهرت في هذه النشأة وبهذه الصورة وتجلببت بهذه الجلابيب كما أن الروح والريحان والحور والثمار هي الأخلاق الزكية والأعمال الصالحة والاعتقادات الحقة التي برزت في هذا العالم بهذا الزي واتسمت بهذا الاسم إذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف المواطن فتتجلى في كل موطن بحلية وتتزين في كل نشأة بزي وقالوا: إن اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿**يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ ليس بمعنى الاستقبال بأن يكون المراد أنها ستحيط بهم في النشأة الأخرى كما ذكره الظاهريون من المفسرين بل هو على حقيقة من معنى الحال فإن قبائحهم الخلقية والعملية والاعتقادية محيطة بهم في هذه النشأة وهي بعينها جهنم التي ستظهر عليهم في النشأة الأخروية بصورة النار وعقاربها وحياتها)[٢].

أما مؤسس مدرسة الحكمة المتعالية صدر الدين الشيرازي فيقول في معنى التجسيم: إن

---

(١) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١ ص٩٣

(٢) الأربعون حديثًا، الشيخ البهائي، ص٤٩٤.

كل من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا لرآه مشحونًا بأنواع المؤذيات والسباع مثل الشهوة والغضب والحسد والحقد والعجب إلا أن أكثر الناس محجوب العين من مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء ووضع في قبره عاينها وقد تمثلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فيرى بعينه العقارب والحيات التي هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن في نفسه فهذا عذاب القبر إن كان شقيًّا ويقابله إن كان سعيداً وقد ورد في الحديث عن النبي ’في عذاب القبر إنه قال هل ترون في ماذا أنزلت ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ قالوا الله ورسوله أعلم قال: في عذاب الكافر في قبره تسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس ينهشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ... إن هذا التنين له صورة غائبة عن هذه الحواس إذ مدركاتها مختصة بما له وضع مادي بالنسبة إلى محل الحس الداثر وليست هذه الحيات والعقارب صور خارجية عن ذات الميت لأنها صور أخلاقه وأعماله فصورة التنين كانت مع الكافر المنافق قبل موته أيضًا متمكنة من باطنه لكن لم يكن شاعرًا بهذه الحيات ورؤوسها.

ومما يدل على تجسم الأعمال والأخلاق ما قال فيثاغورس: اعلم أنك سيعارض لك في أقوالك وأفعالك وأفكارك وسيظهر لك من كل حركة فكرية أوقولية أو فعلية صور روحانية وجسمانية فإن كانت الحركة غضبية أو شهوية صارت مادة شيطان تؤذيك في حياتك وتحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك وإن كانت الحركة عقلية صارت ملكًا ملتذاً منه في دنياك وتهتدي بنوره في آخرتك إلى جوار الله وكرامته)[1].

وبذلك يظهر أن تجسم الأعمال في العوالم الأخروية من الأمور المسلمة عند أهل النظر

(١) المظاهر الإلهية، صدر الدين الشيرازي، ص١٤٢.

والتحقيق نعم يبقى هناك اعتراض وهو أن الأعمال التي يأتي بها الإنسان في النشأة الدنيوية هي من مقولة العرض وهو قائم بالجوهر فإذا قلنا بتجسيم الأعمال يعني قيام العرض بلا موضوع وانقلابه إلى جوهر وهو محال؟.

والجواب على ذلك أنه تقدم أن القوانين التي تحكم النشآت مختلفة فلا يمكن جريان قوانين الدنيا على العوالم الأخرى من البرزخ والقيامة بعد أن كان لكل نشأة ما تختص به فإن قيام الأعراض في موضوعاتها في هذه النشأة لا يدل على كونه كذلك في عالم البرزخ أو القيامة لأنه يمكن وبسبب تغاير العوالم أن يقوم العرض بنفسه متجليًا بصورة العمل الصالح ويظهر بصورة الجنان والنعيم أو متجليًا بصورة النار والجحيم والأغلال (فالطاعة والمعصية اللتان هما حقيقتان كليتان تظهران في العالم الحسي بالصورة العلمية التي هي أعراض قائمة بالجواهر وفي عالم البرزخ بملابسها البرزخية المعنوية وصورها المثالية التي هي جواهر وفي عالم الآخرة بملابسها الأخروية التي هي كالصور المعنوية أيضًا بل كالملابس العقلية وهي جواهر أيضًا فتصيران جنة ونارًا مثاليتين أو عقليتين)[1].

وبذلك نخلص إلى أن تجسم الأعمال والصفات كما هو ظاهر الأدلة النقلية مما لا مانع منه من جهة العقل وأن ما يقع ويحدث في العوالم الأخروية إنما هو ظهور بواطن الإنسان وانعكاسات أعمالنا فالجنة والنعيم والنار وجحيمها إنما هما أثر أعمالنا (فظلمات القبر والبرزخ والقيامة ليست إلا ظلالاً ظلمانية للأخلاق الفاسدة والعقائد الباطلة لبني آدم ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ وظاهرها أننا نرى ذات أعمالنا خيرًا كانت أم شرًا ولولا أعمال بني آدم والصور الغيبية لأعمالنا السيئة لما انوجدت جهنم ولصار

---

(١) منهج الرشاد، الملا نعيم الطالقاني، ج٣ ص١٤٥.

عالم الغيب قاطبة بردًا وسلامًا)[١].

صورة ملك الموت ومنكر ونكير في ظل نظرية التجسم:

وقد ذهب جمع من العلماء في ظل نظرية تجسم الأعمال إلى أن ملك الموت وأعوانه من الملائكة أشبه بالمرآة التي يرى المحتضر فيها حقيقته سواء كانت هذه الحقيقة والباطن بشعة ومخيفة فتوجب الحزن والألم أو جميلة ونورانية فتوجب السرور والبهجة.

أما ما يقال من إن ملك الموت والملائكة الآخرين يظهرون بكيفيات مختلفة وماهيات متعددة عند الموت وقبض الروح فهذا لا دليل عليه وقد أنكر ذلك العلامة الطباطبائي؛ (إذ قال ذكر بعضهم: أن أهل العلم أجمعوا على أن إبليس وذريته من الجن وأن الجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة حتى الكلب والخنزير، وأن الملائكة أجسام لطيفة تتشكل بأشكال مختلفة إلا الكلب والخنزير - وكأنهم يريدون بذلك تغيرهم في ذواتهم - لا دليل عليه من نقل ثابت أو عقل، وأما ما ادعى من الإجماع ومآله إلى الاتفاق في الفهم فلا حجية لمحصله فضلا عن منقوله، والمأخذ في ذلك من الكتاب والسنة ما عرفت)[٢].

وعليه فان الهيئات المختلفة التي تظهر للمحتضرين أثناء قبض أرواحهم إنما هي آثار بواطن الإنسان الحقيقية وما كان يستره بستار المادة في الدنيا فالآن لا محيص من ظهوره.

ولذا قيل (إن ملك الموت وأعوانه من الملائكة الآخرين لايمتلكون ماهيات مختلفة ليمكنهم إظهار وجودهم في قالب إحداها متى عن لهم ذلك بل أنهم باعتبارهم موجودات

---

(١) المعاد في نظر الإمام الخميني، مصدر سابق ، ص٤٤١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدرسابق، ج ٨ ص ٦٢.

ملكوتية ومجردة يكونون كالمرآة الصافية المضيئة لاتظهر نفسها بل هي مظهرة لغيرها لذا فإنهم حين يصبحون مقابل روح أي شخص محتضر فإن انعكاس كمالات تلك الروح أو قبائحها ستظهر في تلك المرآة وهكذا فإن الشخص سيرى حال نزعه صورته الملكوتية وصفاته وأخلاقه حسنه كانت أوسيئة في صورة الملائكة وجمالهم فهو يرى في الحقيقة فيهم حسن نفسه الناطقة وجمالها أوقبحها ومساوئها وباعتبار اختلاف الأفراد الطيبين من المؤمنين في الصفات والكمالات حيث يغلب على بعضهم حال العبادة وعلى بعضٍ حالة السخاة والإكرام وعلى بعض العلم و المعرفة وفي بعض الإيثار والشجاعة وفي بعض العطف والرحمة والمودة وفي بعضهم الآخر الصلابة والحمية لذا يتباين جمالهم الملكوتي ويضهر بأشكال جميلة مختلفة وتظهر أحيانًا الصورة الملكية بشكل جذاب يسلب الألباب حين يكون حب الله شديداً وطاغيًا لديهم.

وبناء على هذه النظرية فإن تشكل ملائكة قبض الأرواح وتصورهم سيتبين لهؤلاء وفي نفس الوقت الذي يتميز هؤلاء الملائكة بالجمال فإنهم سيجلون لهؤلاء المؤمنين من جهة الكيفية وجمال الهيئة بأشكال وصور مختلفة وبناءً على هذا القياس فإن الخبيثين الكافرين والمنافقين يتفاوتون في الصفات والملكات فيغلب على بعضهم حال الإنكار والجحود وعلى بعضهم الآخر حال العناد والقتال وعلى بعضهم حالة البخل والإمساك وعلى بعض الآخر التحجر و الخشونة وعلى بعضهم الجمود والاستكبار كما يغلب على بعضهم الآخر التفر عن والاستبداد لذا فإن أنفسهم الملكوتية متباينة هي الأخرى ومختلفة في أشكال القبح والفظاعة تصل في بشاعتها وقبحها إلى حد كبير عند بعضهم الذي يزداد لديهم العناد والاستكبار على الله وبناءً على ذلك فإن تشكل ملائكة قبض الأرواح وتصورهم لهؤلاء

سيكون متفاوتًا هو الآخر فهو مع شمول قبحه وبشاعته لجميع هؤلاء يظهر لهم في كيفية قبحه وتجلي شناعته بأشكال وصور مختلفة والعلة في جميع هذه الاختلاف أن ملك الموت وأعوانه من الملائكة يُظهرون للإنسان باطنه وملكوته عند قبضهم روحه لذا فإن كل ملكة وصفة ستتجلى فيهم وذلك التجلي سيؤثر على حواس المحتضر فيشاهد وجودهم في المرآة العاكسة وفي الحقيقة سوف يشاهد نفسه وملكوته فيهم)[1].

أما حقيقة منكر ونكير في القبر على وفق هذه النظرية فهي ايظاً تجسيد لأعمال الإنسان وملكاته الباطنية التي تظهر تارة بصورة مرعبة عند السؤال في القبر وتارة تظهر بصورة حسنة نتيجة ظهور الباطن وقد عبر الشيخ المفيد عن ذلك بأن اسمي منكر ونكير ليسا بلقب لهما وإنما كناية عن فعلهما قال ﷺ: (قيل في بعض الأخبار أن اسمي الملكين اللذين ينزلان على الكافر ناكر ونكير واسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشر وبشير وقيل إنه إنما سمي ملكا الكافر ناكراً ونكيرًا لأنه ينكر الحق وينكر ما ياتيانه به ويكرهه وسمي ملكا المؤمن مبشرًا وبشيرًا لأنهما يبشرانه بالنعيم ويبشرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم وأن هذين الاسمين ليسا بلقب لهما وإنما عبارة عن فعلهما)[2].

وهذا المعنى ذكره أيضًا الفيض الكاشاني بشيء من التفصيل في علم اليقين تحت عنوان تحقيق في المنكر والنكير.

قال ﷺ: (يخطر بالبال أن المنكر عبارة عن جملة الأعمال المنكرة التي فعلها الإنسان في الدنيا فتمثلت في الآخرة بصورة مناسبة لها ماخوذ مما هو وصف الأفعال في الشرع أعني

---

(١) معرفة المعاد، مصدر سابق ، ج١ ص١٨٢.

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية، مصدر سابق ص١٠٠.

المذكور في مقابلة المعروف.

والنكير هو الإنكار لغة ولا يبعد ان يكون الإنسان إذا رآى فعله المنكر في تلك الحال أنكره ووبخ نفسه عليه فتمثل تلك الهيأة الإنكارية أو مبدؤها في النفس بمثال مناسب لتلك النشأة وقد علمت أن قوى النفس ومبادئ آثارها يسمى في الشرع بالملائكة ثم أن هذا الإنكار من النفس لذلك المنكر يحملها إلى أن يلتفت إلى اعتقاداتها ويفتش عنها أهي صحيحة حسنة حقة؟ أم فاسدة خبيثة باطلة؟ ليظهر نجاتها وهلاكها ويطمئن قلبها.

وذلك أن قبول الأعمال موقوف على صحة الاعتقاد بل المدار في النجاة على ذلك كما هو مقرر ضروري من الدين.

ثم قد بين أن صور تلك النشأة وموجوداتها كلها حية مدركة ولا ميت فيها وكل حي مدرك يحب نفسه ويحب أن يكون مقبولاً غير مردود فكأن المفتش عن الاعتقاد إنما هو الملكان حيث صار ذلك غرضًا لهما بهذا الاعتبار، وقال بعض العلماء أنه لما كانت السعادة والشقاوة الحاصلتان للنفس إنما تحصل من جهة قوتين: نظرية وعملية جعل ما يكتسب على كل واحدة منهما ملكًا فإن كان المكتسب جهلاً مركبًا ورذائل أخلاق فمنكر ونكير وإن كانا علماً ومكارم فمبشر وبشير ومن تصور ثواب القبر وعذابه يتصور ثواب الجنة وعذاب النار)[1].

(١) علم اليقين، مصدر سابق، ج٢ ص١٠٨٣.

المبحث السادس

التكامل البرزخي

لعل من أهم خصائص النشأة الدنيوية أنها محل التحول والتبدل والتغير في الأحوال وحينئذٍ فهي محل التكامل والارتقاء أو التسافل فالإنسان ما دام في عالم الطبيعة فهو يتمتع بالإرادة والأفعال الاختيارية فطريق الكمال والإصلاح والكدح لتغيير هويته قائم ومجال الاستكمال لنفسه متحصل قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** ﴾[1].

وقال أمير المؤمنين ﷺ: (**ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق والسبقة الجنة والغاية النار أفلا تائب من خطيئته قبل منيته ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه**)[2].

أما عندما يغادر الإنسان عالم الطبيعة ويدخل في عالم البرزخ الذي هو عبارة عن مرحلة قهرية من مراحل الوجود فإن الحركة والتغيير والتكامل سوف يتوقف ويحل محلها الثبات والاستقرار فحين يتحرر الإنسان من قيد الطبيعة فأما أن يكون مجردًا عقليًا أو مجردًا شيطانيًا وحينئذٍ أما مجرد سعيد أو مجرد شقي.

إن الرحيل إلى عالم التجرد أمر قهري غاية الأمر إن الإنسان في هذا السفر القهري مخير

---

(١) الانشقاق: ٦.

(٢) نهج البلاغة خطبة ٢٨.

بين الربح والخسارة وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[١].

والمعنى إنا هدينا الإنسان إلى طريق التجرد القهري بالحركة الجوهرية وهو مختار حينئذ بأن يسلك ذلك بطريق سلوك الشيطان الكفور أو الإنسان المؤمن الشكور)[٢].

غير أن ذلك ليس نهاية كل شيء بعد أن دل الشرع المبين أن من رحمة الله تعالى وفضله على الإنسان وهو في هذه النشأة المتوسطة أن جعل صلته غير منقطعة مع الدار الدنيا حيث يمكن حصول الاستكمال بما يوافق مقتضيات تلك الحياة البرزخية وهذا الأمر من واضحات الأخبار والدلائل من أن الميت يمكن أن يلحقه الثواب بل العقاب أيضا لما خلفه من السنن الحسنة أو السيئة وتسبب به أو بدعاء وأعمال غيره.

وعليه ما ينتفع به الميت ويكون سببًا في استكماله البرزخي يكون على انحاء:

النحو الأول: ما تسبب إليه الميت في حياته

عندما يغادر الانسان نشأة الدنيا وتنتهي مدة ما وهبة الله تعالى من الحياة ويلتحق التحاقًا قهريًّا بالعالم البرزخيّ فلا يمكنه والحال هذا القدرة على فعل الطاعات لانه قد ترك دائرة الافعال الاختيارية والارادية وانقطع عمله بانقضاء زمن التكاليف ومن هنا سوف لن يكون بمقدور الانسان ان يشرع باي عمل جديد في عالم البرزخ يمكن ان يضيفه الى رصيده او يستكمل به نفسه .ولكن الباري تعالى قد جعل بلطفه مجال الاستكمال مفتوحاً في الاعمال التي بدأها الانسان واوجدها في حياته الدنيا وهي لازالت

---

(١) الدهر: ٣.

(٢) المعاد في نظر الإمام الخميني، مصدر سابق، ص ١٢٠

تعطي نتائج حسنه وخيره اي آثارالاعمال التي تظهر في ذلك العالم بل يستفاد من بعض الاخبار ان الانسان يمكنه اتمام الاطلاع على العلوم الشريفة التي لم يتسنى له اتمامها او تعلمها نتيجة بعض الاسباب المانعه له.

من ذلك ما ورد في رواية حفص ابن غياث قال: (سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول لرجل: **أتحبّ البقاء في الدنيا ؟ فقال: نعم. فقال: ولم ؟ قال: لقراءة قل هو الله أحد. فسكت عنه، فقال له بعد ساعة: يا حفص، من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن علّم في قبره ليرفع الله به من درجته؛ فإنّ درجات الجنّة على قدر آيات القرآن، يقال له: إقرأ وارق، فيقرأ ثمّ يرقى**)[1].

وعلى هذا يكون جميع ما خلفه الانسان وتسبب به وكان من آثارسعيه في الدنيا يمكن ان يلحقه ويكون سبباً في رفع شانه وتكامله وهو يعيش حياته المتوسطة البرزخية خاصة اذا علمنا انه لا توجد نفس مؤمنه مهما كانت درجتها وعلو شأنها الا وهي بحاجة الى الاستكمال في ذلك العالم .

وقد بينت الروايات والاخبار الشريفه الوارده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعترة الطاهرة ان الولد الصالح والصدقة الجارية وما خلفه الانسان من السنن الحسنة والصالحة والاعمال التي سعى لايجادها في الدنيا كل ذلك سوف يلحق به بعد موته ويكون سبباً في وصول الثواب اليه .

والاخبار في ذلك عديدة منها ما روي عن الصادق عليه السلام (**ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته وصدقة مبتولة لا**

(١) بحار الانوار مصدر سابق الحديث العاشر، من الباب ٢١، من كتاب القرآن، ١٩، ٤٩

تورث أو سنة هدى يعمل بها بعده أو ولد صالح يدعو له)[١].

وعنه أيضًا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(مر عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه ثم مر به من قابل فإذا هو لا يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان يعذب ومررت به العام فإذا هو ليس يعذب؟ فأوحى الله إليه أنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقا وآوى يتيما فلهذا غفرت له بما فعل ابنه)**[٢].

وعنه عليه السلام قال: **(ستة تلحق المؤمن بعد وفاته ولد يستغفر له ومصحف يخلفه وغرس يغرسه وقليب يحفره وصدقة يجريها وسنة يؤخذ بها من بعده)**[٣].

وفي الصحيح عن معاوية بن عمار قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **(ما يلحق الرجل بعد موته قال سنة يسنها يعمل بها بعد موته فيكون له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ...)**[٤].

ولايقتصر الاستكمال ووصول الثواب للميت في عالم البرزخ على البعد الايجابي ورؤية اثار السنن الحسنه بل الاستكمال مفهوم يمكن انطباقه على البعد السلبي ايظاً حيث تُمنى بعض النفوس وهي في عالمها البرزخي بالتسافل والشقاء وذلك بوصول الشرور اليهم نتيجة السنن السيئة والاعمال الخبيثة التي خلفوها في الدنيا وعُمل بها بعدهم فصارت سبباً في

---

(١) الكافي، مصدرسابق، ج٧ ص٥٦ باب ما يلحق الميت بعد موته.

(٢) المصدر السابق، ج ٦ - ص٣

(٣) المصدر السابق، ج٧ ص٥٧ باب ما يلحق الميت بعد موته.

(٤) المصدر السابق، ج٧ ص٥٧ باب ما يلحق الميت بعد موته.

انحراف الاخرين او شقائهم ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[١].

ففي البحار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (**اياك ان تسن سنة بدعة فأن العبد اذا سن سنة سيئة لحقه وزرها ووزر من عمل بها**)[٢].

النحو الثاني: الاستكمال من خلال اعمال الاخرين له

وتشمل دعاء الآخرين للميت واستغفارهم عنه والصلاة والصيام والحج والصدقة وقراءة القرآن واطعام الطعام وغير ذلك من الأعمال التي يبعث الاحياء ثوابها الى الموتى

فعن معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام أي شيء يلحق الرجل بعد موته؟ قال: (**يلحقه الحج عنه والصدقة عنه والصوم عنه**)[٣].

وفي من لا يحضره الفقيه قال عمر بن يزيد قلت لأبي عبد الله عليه السلام يصلى عن الميت؟ فقال: (**نعم حتى أنه يكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق ثم يؤتى فيقال له خفف الله عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك**)[٤].

وقال عليه السلام: (**إن الميت ليفرح بالترحم عليه والاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية**)[٥].

وعنه عليه السلام: (**يدخل الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء**

---

(١) العنكبوت ١٣.

(٢) بحار الانوار مصدر سابق ج٧٤ باب ٥ ص١٠٤.

(٣) المحاسن، البرقي ج١ ص٧٢، ثواب عمل الحي للميت. وانظر: الوسائل، محمد بن الحسن الحر العاملي، ج٢ ص٤٤٥ باب استجاب الصلاة على الميت.

(٤) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق ، ح١ ص١٨٣.

(٥) تفسير نور الثقلين، مصدر سابق ، ج٥ ص١٧٠.

ويكتب أجره للذي يفعله وللميت)[١].

إن فيما مر من الأخبار من لحوق الثواب لما تسبب به الميت أو ما عمله الأحياء له دلالة على أن للنفس تكاملاً في النشأة البرزخية وهذا المعنى لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾[٢].

فإنها مسوقة لبيان الاستحقاق وأن الأعمال راجعة للإنسان نفسه دون غيره ولا عقاب إلا على صاحب الجرم لقبح معاقبة الإنسان بفعل غيره، وأين هذا من وصول الثواب إليه من غيره أو بما تسبب به في الحياة.

بل حتى لو قلنا بعدم لحوق الإنسان ما قام به الغير من خير أو شــر فان (ما يستفيده المؤمن بعد موته من استغفار المؤمنين له والأعمال الصالحة التي تهدى إليه مثوباتها هي مرتبطة بسعيه في الدخول في زمرة المؤمنين وتكثير سوادهم وتاييد إيمانهم الذي من آثاره ما يأتون به من الأعمال الصالحة)[٣].

فتكون من باب التوسع في معنى السعي الوارد في الآية المباركة لأن ذلك من جملة سعية وإيمانه.

النحو الثالث: انكشاف الحقائق.

كان ذلك كله بما يرتبط بوصول الثواب من النشأة الدنيوية و هناك أمر آخر يمكن أن

---

(١) المصدر السابق، ج٥ ص ١٧١

(٢) النجم: ٣٩.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، مصدرسابق، ج١٩ ص٥٣.

يكون سببًا في استكمال الإنسان في عالم البرزخ وهذا الأمر هو عبارة عن انكشاف الحقائق والأستار عن تلك العوالم وما يشاهده الإنسان هناك بنفسه ترق واستكمال كما أن نفس الآلام والعذابات والعناء الذي يواجهه حال الاحتضار وحصول سكرات الموت وقبض الروح ومخاوف رؤية الملائكة وظلمات القبر وضغطاته ورعب الوحدة والوحشة وطي صفحة الظاهر وظهور صفحة الباطن وانتقال النفس من الغيب إلى الشهود وما يجري في ذلك العالم كل ذلك واقع في صراط التكامل.

قال القيصري في شرحه على فصوص الحكم في بيان الترقي بعد الموت (وهذا الترق ليس مخصوصًا بطائفة دون طائفة لأن العارفين ببعض التجليات يحصل لهم بعضٌ آخر فيحصل لهم الترقي وكذلك المحجوبون من المؤمنين والمشركين والكافرين فإن انكشاف الغطاء عنهم ترق، وظهور أحكام أعمالهم ترق، وشهود أنواع التجليات وإن لم يعرفوا حقيقتها ترق، وحصولهم في البرازخ الجهنمية والجنانية أيضًا ترق لوصولهم فيها إلى كمالهم الذاتي ، وارتفاع العذاب عنهم بعد انتقام المنتقم منهم ترق وشفاعة الشافعين لهم ترق فقوله ﴿ **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾[1] إنما هو العمى عن معرفة الحق لا غير لأن الحق متجلٍّ دائمًا وهو أعمى عنه فاذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة إلى دار الآخرة ونعيمها وجحيمها والأحوال التي فيها لا مطلقا لكن لا يرتفع العمى بالنسبة إلى معرفة الحق وقوله ﷺ: (**إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله**) لا يدل على عدم الترقي لأنه ليس بالعمل بل بفضل الله ورحمته والعمل أيضًا مستند إليه ولأن سلم ذلك فهو يدل على أن الأشياء التي يتوقف حصولها بالأعمال لا تحصل له إلا بالعمل وما لا يتوقف عليها مما سبقت له العناية

---

(١) الإسراء: ٧.

الأزلية على حصوله بلا عمل والاطلاع بأحوال غيره من السعداء والأشقياء أيضًا من مراتب الترقي والله أعلم بالحقائق)[1].

(١) شرح فصوص الحكم، القيصري، ص٧٨٨.

الغاية من وجود عالم البرزخ:

تبين من الأبحاث التي مرّت أن الغاية من الدنيا هي أنها محل الاختبار، والامتحان، والإعداد للآخرة؛ قال تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾، فكانت أداة الاختبار هي متع الحياة، ولمّا كانت الأرواح علويّة ألقى الله سبحانه وتعالى بين هذه الأرواح، وبين ما على الأرض من زينةٍ، ومتاعٍ، وخيراتٍ، وبنين، وتعلّقاتٍ أخرى، وحبّبها لهم، كل ذلك ليمتحنهم؛ حتى يميز المطيعين من أهل السعادة من العاصين من أهل الشقاء.

أمّا الآخرة، فالهدف منها أنّها غاية الغايات، فهي محل حساب الأعمال، ومحكمة العدل الكبرى، ومحل الرجوع إلى الله، ومشاهدة الأنوار الإلهية.

وهنا يأتي السوال عن الغاية من عالم البرزخ، وهذه النشأة المتوسطة التي تكون بين الدنيا والآخرة ؟، ويمكن إجمال الجواب بنقاط عدّة:

أوّلاً: الإنسان يأتي إلى الدنيا، ويبقى أمداً محدوداً، ثم يرتحل عنها قهريًّا، وقد عُدَّ هذا الانتقال بالموت من رحمة الله بالعباد؛ ذلك لأنّه لم تكن الدنيا سوى داراً للاختبار، ثم إن الإنسان لا يمكن أن يستقيم أمره مع طول المكث فيها، فقد قيل: إن قومًا من بني إسرائيل سألوا نبياً لهم أن يدعو الله أن يرفع الموت عنهم، فقالوا يا نبي الله: إن الموت يفزع الصغار، والكبار، فنسألك أن تدعو الله أن يرفعه عنّا.

فقال لهم نبيّهم: ليس هذا من صالحكم، والموت قدَّره الله لحكم، ومصالح للكبار، والصغار، فأكبَروا عليه بذلك، وألحّوا عليه، فلم يجد بدًّا من إجابة طلبهم، فدعى ربّه أن

يرفعه عنهم، فرفعه الله بقدرته عنهم حتى امتلأت الدور، والمنازل، والممرّات من الشيبان، والعجائز، فتجد الرجل عنده أمّه، وجدّته، وجدة أمّه، وجدة أمّ أمّه، والمرأة عندها جدّها، وجدّ أبيها، وجدّ جدها، وهذا يصيح يطلب ماء، وهذا يصيح ليقضي حاجته، وهذا هذا ...إلخ.

فلمّا ضاقوا بذلك ذرعًا، وتكدّرت عليهم معيشتهم، يرى الواحد هؤلاء الجموع من العجائز يتضورون، ويتألمون، ولا يجدون من يلبّي طلبهم، قالوا لنبيهم: يا رسول الله نستغفر الله، ونتوب إليه من هذا القلب الجائر، المخالف لحكمة الله، وقضائه، وقدره، ونسألك أن تدعو لنا ربك أن يعيد إلينا ما كان مقدرًا لنا من الموت المقدّر؛ لقضائه وقدره)[1].

ثم بعد ذلك لابدّ من الانتقال إلى عالم آخر ينتظر فيه الإنسان مدّةً طويلة نسبيًّا إذا ما قورن بالدنيا، وهو عالم البرزخ الذي هو عالم (الانتظار)؛ لأن الوصول إلى الغاية وهو يوم الحساب لابدّ أن يسبقه وجود دار وسطى؛ لتمكث الناس فيه؛ لانتظار الخروج في يوم واحد، ذلك هويوم الحساب، والقيامة ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾.

ثانيًا: مع أن دار البرزخ محط الانتظار للدخول إلى عالم الآخرة؛ لكن الأرواح، والنفوس في هذا العالم لم تمت، ولن تموت، ولا تعدم؛ لأنّ الله تعالى أفاض عليها الخلود، والبقاء، منذ أوجدها، ونفخ فيها من روحه .

(١) كشكول ابن عقيل، (ص:٣٣).

وفي ظلّ قوانين هذه النشأة المتوسطة، سيكون لهذه النفوس نصيب من العذاب، والشقاء، ونصيب آخر لبعض النفوس من الرحمة، والرضوان، ومن أهمّ مايمكن أن يقال في هذا النعيم، وهذا الشقاء: إنّ الفريقين كليهما - المؤمنون السعداء، والكفار، والعصاة- سوف يعيشون في عالم البرزخ، وهم ينظرون، ويعلمون إلى ما سوف ينتهي إليه مصيرهم في الآخرة، وقد جاء تعبير الروايات عن ذلك بـ(يفتح له باب إلى الجنة)، وآخرون بـ(يفتح لهم باب إلى النار)؛ ولذا قال الإمام الخميني ﵀ في الأربعون: (ولابدّ أن نعرف أنّ عالم برزخ كلّ شخص أنموذج من نشأته يوم القيامة)[1].

وعليه سوف يرى الإنسان البرزخيّ مقعده من الجنة، أو النار؛ ليدرك المؤمن فضل الله عليه في أن سيدخله الجنّة، ويباعد عنه النار، ويدرك الكافر أنه؛ وبسبب أعماله هذه النار التي سيحترق فيها، وتصور أنت عظيم البشرى للمؤمنين، وعظيم الندم، والحسرة، والحرمان على الكافرين، ولو لم يكن من عذاب الإنسان الكافر في عالم البرزخ إلا هذا العرض على النار، ورؤية لهيبها، وسعيرها لكفى.

وقد أكّد القرآن الكريم هذا العرض في قصة آل فرعون؛ إذ قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[2].

إذ أن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم، وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾، أي أشدّه ألمًا، وأعظمه نكالاً.

---

(١) الأربعون حديثًا، الإمام الخميني ﵀، ص٤٨١.

(٢) غافر:٤٦.

ثالثًا: من حكمة الله أن جعل لكثير من النفوس المنشدّة إلى ملذّات الحياة واعظًا من الموت، وآخر من البرزخ، بحيث يعلم الإنسان أنّ من يموت سوف لا ينقطع، ولا تذهب نفسه، ولا ينعدم، وإنّما سيكون وراءه سؤال، وحساب، ووقوف على الأعمال، ولن يُترك الإنسان سُدًى في الدار البرزخيّة، وبذلك يحصل لديه الانشداد؛ لتحصيل التقوى، والإنابة، وإلا لو كانت نهاية الدنيا فناء الأرواح، وإعدامها، بحيث لا يحسّ بأي شيء إلى وقت النشور؛ لاستبطأ الإنسان ذلك ممّا يتصوره من الأجل البعيد، فيضعف عن تحصيل الزاد الأُخرويّ.

رابعًا: من عدل الله تعالى أن يجازي أهل المعاصي، والظلم، وينالوا ذلك مباشرة بعد الموت ببعض الجزاء، وكذا المؤمنون ثواب إيمانهم؛ ولذا عبّر عن هذا الجزاء في عالم البرزخ بـ(القيامة الصغرى).

وقد روي عن النبي ﷺ قوله: **(من مات فقد قامت قيامته)**[1].

خامسًا: ورد في الأخبار أن بعض المؤمنين سيلاقون منغّصات، وعذابات في عالم البرزخ؛ لارتكابهم بعض الذنوب، فتكون مشقّتهم - ولو مؤقّتًا - تطهيراً لهم؛ ليصلوا إلى عالم القيامة وهم مستعدون لإفاضة الرحمة الإلهية عليهم، ودخول الجنّة .

سادسًا: إنّ حقيقة المعاد يوم القيامة هو أن يصل الإنسان إلى التجرّد الكامل، والوصول إلى الله بمشاهدة أنوار الجمال، والجلال، ولا يحصل التجرّد إلا بعد المرور من

---

(١) بحار الأنوار ج٥٨ ص ٧.

عالم الطبيعة، والدنيا إلى عالم المثال، والبرزخ في قوس الصعود، ثم لا يحصل التجرّد العقليّ التامّ إلا بالوصول إلى عالم الحشر .

الخاتمة

توصّلنا من البحث في موضوع النشأة البرزخيّة إلى جملة نتائج، نوجزها على النحو الآتي:

١ـ ذكرت الآيات الكريمة موضوع البرزخ إمّا بالتصريح والدلالة الواضحة، أو بتفسيرها بالأحاديث الواردة عن النبي ﷺ، والعترة الطاهرة ﷺ أجمعين، وقد وجدنا أنّها تامّة لا يمكن الطعن بها.

٢ـ أثبتنا أنَّ حمل بعض الآيات الواردة في موضوع البرزخ على غير موضوعها من قبل بعض المفسرين لا يستند إلى دليل عقليّ، أو نقلي.

٣ـ أبطلنا جميع روايات الصحاح التي تهدف إلى قدح عقيدة البرزخ، وتسفيهها.

٤ـ وردت طائفتان من الراويات إحداهما دالة على إن السؤال، والثواب، أو العقاب مخصوص بطائفة معينة، بينما الطائفة الأخرى دلت بعمومها على أن البرزخ يشمل الجميع، وهو ما تميل إليه النفس، وبمعونة الجمع بينهما انتهينا إلى أن الطبقة التي عبرت عنها الروايات أنهم ملهوٌّ عنهم لا بمعنى إعدامهم، وتركهم تمامًا، وإنّما لهم نوع حياة فيها شعور، وإحساس، وإن كان يختلف عن الآخرين ممن محض الإيمان، أو الكفر.

٥ـ ثبت إن هناك جسداً مثاليًّا في البرزخ يعيش فيه الإنسان، فيتنعّم، أو يتعذّب به، ثم إن هذا الجسد لا يرد فيه إشكال التناسخ الباطل بعد بيان معناه، وحقيقته.

٦- أثبتنا اللّذة، والألم البرزخيّين، وأنّهما هل من قبيل الأمور الحسيّة، أو الروحية العقلية؟، وقد ثبت إن الحياة البرزخية حياة متوسطة، ومقتضى توسطها إدراك اللّذّة، والألم الحسي، والعقلي معًا.

٧- إنَّ تجسم الأعمال غير مختص بالقيامة الكبرى، وإنّما على وفق الآيات، والروايات، والإمكان العقليّ يجري التجسيم في النشأة البرزخيّة أيضًا.

٨ - إنَّ موضوع التكامل البرزخيّ، أو الاستكمال البرزخي، له ثلاثة طرق، الأول: عن طريق ما تركه الميت من أعمال جارية، والثاني: عن طريق الأعمال الخيرية التي يُهدى أجرها له، والثالث: عن طريق انفتاحه على كشف الحقائق، والأستار عن تلك العوالم، وعن طريق الآلام، والعذابات، والعناء الذي يواجهه حال الاحتضار، وقبض الروح، ومخاوف رؤية الملائكة، وظلمات القبر، وضغطاته، ورعب الوحدة، والوحشة ،وطي صفحة الظاهر، وظهور صفحة الباطن، وانتقال النفس من الغيب إلى الشهود، وما يجري في ذلك العالم كل ذلك واقع في صراط التكامل.

اللهمّ إنّا ندعوك بما دعاك به مولانا الإمام زين العابدين ﵇:

(اللهمّ صلِّ على محمد وآله، وهوّن عند الموت على أنفسنا كرب السياق، وجهد الأنين، وترادف الحشارج إذا بلغت النفوس التراقي، وقيل من راق، وتجلى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب، ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق، وداف لها من زعاف الموت كأسًا مسمومة المذاق، ودنا منّا إلى الآخرة رحيل وانطلاق، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق.

اللهمّ صل على محمد وآله، وبارك لنا في حلول دار البلى، وطول المقامة بين أطباق الثرى، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا، ولا تفضحنا في حاضر يوم القيامة بموبقات آثامنا).

مصادر البحث

* **القرآن الكريم**

١ . **أبحاث الأربعون**، المحقق مهدي بن المرتض الملقب بالأجلوئيان نشر كانون **أ**صفهان ط١ ١٣٧٨ش.

٢ . **إثبات عذاب القبر،** أبو بكر **أ**حمد بن الحسيني البيهقي تحقيق أشرف محمود القضاة كلية الشريعة الجامعة الأردن دار الفرقان ط٣ ١٩٩٢م.

٣. **الاحتجاج،** أبو منصور أحمد بن علي بن **أ**بي طالب الطبرسي، تعليق السيد محمد باقر الخرساني نشر دار النعمان النجف الآشرف سنة ١٩٦٦م.

٤ . **أحكام القرآن،** أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٩٩٥م.

٥ . **إحياء علوم الدين،** الإمام **أ**بو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، طبعة وخرج **أ**حاديثه د-محمد محمد تامر، مؤسسة المختار، القاهره ط١ ٢٠٠٤م.

٦ . **الأربعون حديثًا**، الشيخ البهائي العاملي، دار الثقلين بيروت ١٩٩٥م.

٧. **الاستيعاب،** أبو عمر يوسف **أ**حمد بن عبد الله **أ**حمد بن محمد بن عبد البر الاندلسي ، تحقيق علي محمد البجاوي ط١٤١٢١ دار الجيل بيروت.

٨. **أصول الدين،** كاظم الحائري الحسيني. ط١ ١٤٢٤، المطبعة شريعت قم المقدسة.

٩. **أصول الكافي،** محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني تحقيق على أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية طهران ط٣ـ ١٣٦٣ش.

١٠. **الاعتقادات في دين الإمامية**، الشيخ الصدوق تحقيق عصام عبد السيد دار المفيد ط٢ ١٤١٤هـ.

١١. **الأمالي،** الصدوق، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق تحقيق حسين الأعلمي مؤسسة الأعلمي بيروت ١٩٨٠م.

١٢. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،** الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ط٢ الاميرة للطباعة والنشر ٢٠٠٩م.

١٣. **الإنسان والعقيدة،** العلامة محمد حسين الطباطبائي، تحقيق الشيخ صباح الربيعي والشيخ علي الأسدي، الناشر باقيات ط١ ١٤٢٦هـ.

١٤. أوائل المقالات، الشيخ محمد بن محمد المفيد. دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان الطبعة : الثانية سنة الطبع : ١٤١٤ – ١٩٩٣

١٥. **بصائر الدرجات،** الثقة الجليل شيخ القميين أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار تقديم وتعليق ميرزا محسن منشورات الأعلمي طهران ١٤٠٤هـ.

١٦. **تاريخ بغداد،** الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م.

١٧. **التبيان في تفسير القرآن،** شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي نشر مكتب الإعلام الإسلامي ط١ ١٤٠٩هـ.

١٨. **تصحيح اعتقادات الإمامية،** الشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر بيروت ط٢ ١٩٩٣م.

١٩. **تفسر الصنعاني،** عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد نشر مكتبة الرشد الرياض ط١ ١٩٨٩م.

٢٠. **تفسير ابن كثير،** عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تقديم يوسف عبد الرحمن المرعشلي دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٩٢م.

٢١. **تفسير البحر المحيط،** أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ط١ ٢٠٠١م.

٢٢. **تفسير البحر المحيط،** أبو عبد لله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معرض نشر دار الكتب العالمية بيروت لبنان ط١ ١٤٢٢هـ.

٢٣. **تفسير الثعلبي،** الثعلبي تحقيق أبو محمد بن عاشور مراجعة نظير الساعدي نشر دار إحياء التراث العربي ط١ ١٤٢٢هـ.

٢٤. **تفسير السلمي،** السلمي تحقيق سيدعمران طبع دار الكتب بيروت ط٨ ١٤٢١هـ.

٢٥. **تفسير السمعاني،** السمعاني، تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس، نشر دار الوطن الرياض ط١ ١٤١٨هـ.

٢٦. **تفسير الصافي**، فيلسوف الفقهاء وفقيه الفلاسفة المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، تعليق حسن الأعلمي منشورات مكتبة الصدر طهران ط٢ ١٤١٦هـ.

٢٧. **تفسير العياشي**، المحدث الجليل أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي نشر المكتبة العلمية الإسلامية طهران.

٢٨. **تفسير القرآن الكريم**، العلامة المحقق السيد مصطفى الخميني مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني سنة ١٤١٨ط١ مطبعة مؤسسة العروج.

٢٩. **تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن **أ**حمد الأنصاري القرطبي، تحقيق وتصحيح عبد العليم البردوني دار إحياء الثراث العربي ط٢ ١٩٨٥م.

٣٠. **تفسير القمي**، علي بن إبراهيم القمي، تحقيق السيد طيب الموسوي مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم ١٤٠٤هـ.

٣١. **التفسير الكبير**، فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ط٣ بدون تاريخ.

٣٢. **تفسير كنز الدقائق**، المفسر الكبير الميرزا محمد المشهدي القمي، تحقيق مجتبى العراقي نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة ١٤٠٧هـ.

٣٣. **تفسير نور الثقلين**، المحدث الشيخ عبد بن جمعة العروسي الحويزي تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي مؤسسة إسماعيليان قم سنة ١٤١٢هـ.

٣٤. **تنوير المقابس من تفسير بن عباس**، الفيروزي آبادي نشر دار الكتب العلمية بيروت

لبنان.

٣٥. **التوحيد،** أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، تصحيح السيد هاشم الحسيني الطهراني منشورات جامعة المدرسين قم المقدسة.

٣٦. **جامع السعادات،** لجليل المولى محمد مهدي النراقي، تحقيق السيد محمد كلانتر تقديم محمد رضا المضفر منشورات مطبعة النعمان النجف الأشرف.

٣٧. **جوامع الجامع،** المفسر الكبير الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي تحقيق مؤسسة النشر الإسلامية قم المقدسة ط١ ١٤١٨هـ.

٣٨. **جواهر القرآن،** أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تحقيق وتصحيح وسام الخطاوي وكاظم الأسدي، مؤسسة المعارف الإلهية مكتبة الهلال بيروت ط١ ٢٠٠٩ م.

٣٩. **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة،** صدر الدين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت ط٣ ١٩٨١م.

٤٠. **الخصال،** الشيخ الأقدم الصدوق صححة وعلق عليه علي أكبر الغفاري منشورات جماعة المدرسين قم المقدسة ١٤٠٣هـ.

٤١. **دار الفوائد،** الآملي، الشيخ محمد تقي الآملي نشر مؤسسة دار التفسير ط٣ ١٤١٦هـ..

٤٢. **الدر المنثور،** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٤٣. **الدعوات،** المحدث الكبير المولى أبو الحسين سعيد بن هبه الله المشهور بقطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي مطبعة أمير قم المقدسة ط١ سنة ١٤٠٧هـ..

٤٤. **الروح،** ابن القيم الجوزي، تحقيق رضون جامع رضون مؤسسة المختار، القاهرة ط١ ٢٠٠٦م.

٤٥. **رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين،** السيد علي خان الحسيني المدنى، مؤسسة النشر الإسلامية قم المقدسة ١٥٤١هـ.

٤٦. **السنن الكبرى،** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسين دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٩٩١م.

٤٧. **السيرة الحلبية،** علي بن برهان الدين الحلبي، نشر دار المعرفة مطبعة دار المعرفة بيروت لبنان سنة ١٤٠٠هـ.

٤٨. **السيرة النبوية،** عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المطبعة المدني القاهر ١٩٦٣م.

٤٩. **سير أعلام النبلاء،** شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الارنؤوطي منشورات ط٩ مؤسسة الرسالة بيروت ط ١٩٩٣م.

٥٠. **الشافي،** الشريف المرتضى علي بن الحسين، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، الناشر مؤسسة الصادق للطباعة والنشر طهران ١٩٨٦م.

٥١. **شرح أصول الكافي،** المولى محمد صالح المازندراني تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني ضبط السيد علي عاشور نشر دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط١ سنة الطبع ١٤٢١هـ.

٥٢. **شرح الأسماء الحسنى،** الملة هادي السبزواري تحقيق د. نجفقلي حبيبي، نشر جامعة طهران ط٢ ١٣٧٥ش.

٥٣. **شرح العقيدة الطحاوية،** ابن أبي العزالحنفي ط٤ ١٣٩١هـ المكتبة الإسلامية بيروت.

٥٤. **شرح المواقف،** القاضي علي بن محمد الجرجاني، مطبعة السعادة، مصر.

٥٥. **شرح فصوص الحكم،** محمد داود قصيري رومي، تحقيق الأستاذ جلال الدين الأشتياني، المطبعة شركة نشر العلم للثقافة ط١ ١٤١٦هـ..

٥٦. **شرح نهج البلاغة،** ابن أبي الحديد المعتزلي تحقيق محمد أبو الفضل إبرهيم دار إحياء الكتب العربية ط١ ١٩٥٩م.

٥٧. **شفاء السقام،** السبكي، علي بن عبد الكافي الأنصاري الخزرجي الشافعي، تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي ط٤ ١٤١٩هـ.

٥٨. **الصائبة المندائيون،** الليدي دراور ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي طبع دارالمدى للثقافة والنشر سنة الطبع ٢٠٠٦م .

٥٩. **الصابئون حاضرهم وماضيهم،** عبد الرزاق الحسني ط٣ مطبعة العرفان صيدا

٦٠. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار،** محمد باقر المجلسي، مؤسسة العرفان بيروت ١٩٨٣م.

٦١. **الصحاح،** إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار نشر دار العلم للملايين بيروت ط٤ ١٤٠٧هـ.

٦٢. **صحيح البخاري،** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الطباعة العامرة أسطنبول ١٩٨١م.

٦٣. **صحيح مسلم،** أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري دار الفكر بيروت لبنان.

٦٤. **العدل الإلهي،** الشيخ الشهيد مرتضى مطهري، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم، ط ٥، ١٤١٦هـ.

٦٥. **عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة**، نائل حنون، مطبعة دارالسلام بغداد ط١ ١٩٨٧م.

٦٦. **علم اليقين،** المحدث محسن الكاشاني، تحقيق محسن بيدارفر دار الحوراء سنة ٢٠٠٨م.

٦٧. **عمدة القارى،** العيني، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٦٨. **العهد القديم،** مجمع الكنائس العراقية.

٦٩. **عين اليقين،** المحدث الكبير محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني، تحقيق فالح عبد الرزاق العبيدي دار الحوراء للطباعة والنشر ط١ ٢٠٠٧م بيروت.

٧٠. **عيون الحكم والمواعظ،** الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي تحقيق حسين الحسيني البيرجندي. نشر دار الحديث قم المقدسة ط١ ١٣٧١ش.

٧١. **عيون مسائل النفس،** حسن زادة آملي، نشر أمير كبير طهران سنة ١٣٨٥ش.

٧٢. **الغيب والشهادة**، محمد رضا آل كاشف الغطاء مطبعة الذخائر ٢٠٠٠م.

٧٣. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، شهاب الدين بن حجر العسقلاني، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط٢ بدون تاريخ.

٧٤. **الفروق اللغوية**، أبو هلال العسكري تنظيم الشيخ بيت الله بيات تحقيق مؤسسة نشر الإسلامية قم المقدسة ط١ ١٤١٢هـ.

٧٥. **الفصول المهمة في أصول الأئمة**، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق محمد بن الحسين القائيي نشر معارف الأسلام الإمام الرضا ﷺ مطبعة نكين قم المقدسة ط١ ١٤١٨هـ.

٧٦. **الفصول المهمة**، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق محمد بن محمد الحين القائيني نشر مؤسسة معارف الإسلام الامام الرضا ﷺ ط١ ١٤١٨هـ.

٧٧. **فقه السنة**، الشيخ سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٣ سنة ١٩٧٧م.

٧٨. **في ظلال التوحيد**، آية الله الشيخ جعفر السبحاني، نشر معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية ط١ ١٤١٢هـ.

٧٩. **قصة الحضارة**، ول ديورانت ترجمة محمد بدران مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١م.

٨٠. **كشف الاعتقاد في شرح تجريد الاعتقاد**، العلامة الحلي، منشورات جماعة المدرسسن قم .

٨١. **لسان العرب**، ابن منظور الناشر نشر أدب الحوزة قم ط٢ ١٤٠٥هـ.

٨٢. **مجمع البحرين،** العالم المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي، تحقيق السيد أحمد الحسيني الناشر مكتبة النشر للثقافة الإسلامية ط٢ ١٤٠٨هـ.

٨٣. **مجمع البيان،** الشيخ الطبرسي نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ط١ ١٩٩٥م.

٨٤. **المحاسن،** أحمد بن خالد البرقي تعليق وتصحيح جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٧٠هـ.

٨٥. **المحتضر،** عز الدين الحسين سليمان الحلي تحقيق سيد على أشرف، المكتبة الحيدرية ط١ ١٤٢٤هـ.

٨٦. **مسند أحمد،** الإمام أحمد بن حنبل دار صادر بيروت لبنان.

٨٧. **المظاهر الإلهية،** الحكيم المتأله صدر الدين الشيرازي، تحقيق السيد جلال الدين الأشيتاني مؤسسة بوستان كتاب مركز الطباعة التابع لكتب الإعلام الإسلامي قم ١٣٧٧ش.

٨٨. **المعاد في الكتاب والسنة،** آية الله محمد الجيلاني، تقديم حسين أنصاريان المطبعة المروي بدون تاريخ .

٨٩. **معاني الأخبار،** الشيخ الأقدم الصدوق منشورات جماعة المدرسين قم ١٣٧٩م.

٩٠. **معاني القرآن،** أبو جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني نشر جامعة أم القرى السعودية ط١ ١٤٠٩هـ.

٩١. **المعجم الوسيط،** الحافظ أبوالقاسم سلمان بن أحمد الطبراني قسم التحقيق بدار الحرمين نشر دار الحرمين ١٩٩٥م.

٩٢. **المعجم الوسيط،** الحافظ أبو القاسم سلمان بن أحمد الطبراني قسم التحقيق بدارالحرمين نشر دار الحرمين ١٩٩٥م.

٩٣. **معجم مقاييس اللغة،** أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون نشر وطبع مكتب الإعلام الإسلامي سنة ١٤٠٤هـ.

٩٤. **معرفة الثقات،** أحمد بن عبد الله صالح الكوفي العجيلي ، نشر مكتبة دار المدينة المنورة ط١ ١٩٨٥م.

٩٥. **معرفة المعاد،** السيد محمد حسين الحسيني الطهراني تعريب عبد الرحمن مبارك نشر دار المحجة البيضاء ط١ ١٤١٧هـ.

٩٦. **مفاهيم القرآن،** الشيخ جعفر السبحاني مؤسسة الإمام الصادق ﵇ ط٢ ١٣٧٩ قم المقدسة.

٩٧. **مفردات غريب القرآن،** أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني نشر دفتر نشر الكتاب ط٢ ١٤٠٤هـ.

٩٨. **المكتوبات،** بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي ط٤ شركة سوزلر للنشر القاهر ٢٠٠٤م.

٩٩. **ملحمة كلكامش،** طه باقر طبعة بغداد بدون تاريخ .

١٠٠. **الملل والنحل،** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تقديم وتحقيق أحمد حجازي السقا ومحمد رضون مهنا، مكتبة الإيمان ط١ ٢٠٠٦م.

١٠١. **من لا يحضره الفقيه،** الشيخ الجليل الأقدم أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن

بابويه القمي الصدوق جمعه وعلق عليه علي أكبر الغفاري منشورات جماعة المدرسين قم.

١٠٢ .**مناقب آل أبي طالب،** الإمام الحافظ ابن شهر آشوب السروي المازندراني تصحيح لجنة من أساتذة النجف الأشرف نشر المكتبة الحيدرية النجف الأشرف ١٩٥٦م.

١٠٣ .**منهج الرشاد،** محمد نعمه بن محمد تقي العرفي الطالقاني تحقيق رضا أستادي ط١ مدرسة النشر التابعة للإستانة الرضوية سنة الطبع ١٩٩٤م.

١٠٤ .**مواهب الجليل،** محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغزي المعروف بالحطاب الرعيني ضبط الشيخ زكريا عميرات نشر دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٩٩٥م.

١٠٥ .**مواهب الرحمن في تفسير القرآن،** السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري نشر دار التفسير، ط٢ ٢٠٠٧م.

١٠٦ .**ميزان الاعتدال،** أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان، تحقيق علي محمد البجاوي نشر دار المعرفة بيروت ط١ ١٩٦٣م.

١٠٧ .**ميزان الحكمة،** الشيخ محمد الري شهري دار الحديث قم ط٢ ١٤١٦.

١٠٨ .**الميزان في تفسير القرآن،** السيد العلامة محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.

١٠٩ .**الكتاب المقدس (العهد الجديد)، نشر دار الكتاب المقدس، ١٩٨٠.**

١١٠ .**الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق،** محمد عزت الطهطاوي، دار القلم - دمشق، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

١١١ .**الأفستا** (كتاب الزرادشت)

١١٢ .**قاموس الكتاب المقدس**، مجمع الكنائس الشرقية، مكتبة المشغل- بيروت، ط٦، ١٩٨١.

١١٣ .**الكنز المرصود في فضائح التلمود**، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.

١١٤ .**المعاد في نظر الإمام الخميني**، إعداد وتنظيم لجنة إحياء آثار الإمام الخميني، ترجمة حيدر محمد جواد، دار الرسول الأكرم-بيروت، ٢٠٠٢م.

١١٥ .**الإنسان ، محمد حسين الطباطبائي**، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١١٦ .**الأرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١١٧ .بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت، ط٢ المصححة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١١٨ .**الجامع في العلل ومعرفة الرجال**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: د.وصي الله بن محمد عباس، الدار السلفية-الهند، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١١٩ .**فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب-دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٢٠. **نهج البلاغة**، الشريف الرضي، تحقيق: محمد عبده، دار الذخائر- قم،ط١، ١٤١٢هـ.

١٢١. **غرر الحكم ودرر الكلم**، ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٢٢. **تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث- قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٢٣. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٢٤. **الأمالي**، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع-قم، ط١، ١٤١٤هـ.

١٢٥. **دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام**، حسين النوري الطبرسي، دار البلاغة-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ-٢٠٠٧م.

١٢٦. **الانوار النعمانية**، السيد نعمة الله الجزائري، دار القارئ ودار الكوفة-بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٢٧. **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، جلال الدين السيوطي، تحقيق:أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع-السعودية، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٦م.

١٢٨. **حق اليقين في معرفة أصول الدين**، السيد عبد الله شبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-

بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٢٩ .**دائرة معارف القرن العشرين**، محمد فريد وجدي، دار المعرفة-بيروت، ط٣، ١٩٧١م.

١٣٠ .**روضة الواعظين**، الفتال النيسابوري، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي-قم.

١٣١ .**سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٣٢ .تسلية **الفؤاد في بيان الموت والمعاد**، السيد عبد الله شبر، مؤسسة الوفاء-بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٣٣ .**أصول السنة**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، دار المنار-السعودية، ط١، ١٤١١هـ.

١٣٤ .**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، احمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، المطبعة الكبرى الأميرية-مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

١٣٥ .**كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء**، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي-قم، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٣٦ .**الفردوس الاعلى** الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء نشر دار المحجة البيضاء سنة ٢٠٠١م

١٣٧ .**الفرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

١٣٨ .**الضعفاء الكبير**، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، تحقيق: عبد لمعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٣٩ .**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٤٠ .**منازل الآخرة والمطالب الفاخرة**، الشيخ عباس القمي، تحقيق: السيد ياسين الموسوي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، ١٤١٩هـ.

١٤١ .**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي-القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٤٢ .**نور البراهين**، السيد نعمة الله الموسوي الجزائري، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٤٣ .**تهذيب الأحكام**، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية- طهران، ط٣، ١٣٦٤هـ.ش.

١٤٤ .**المواقف في علم الكلام**، القاضي عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٤٥ .**تفسير ابن عربي**، محيي الدين بن عربي، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٤٦ .**شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٤٧ .**حقائق الإيمان**، الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي-قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٤٨ .**جنة المأوى،** الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء تحقيق السيد محمد علي القاضي طبع مؤسسة الشهيد الانصاري قم المقدسة سنة ١٤٢٠ هجري قمري